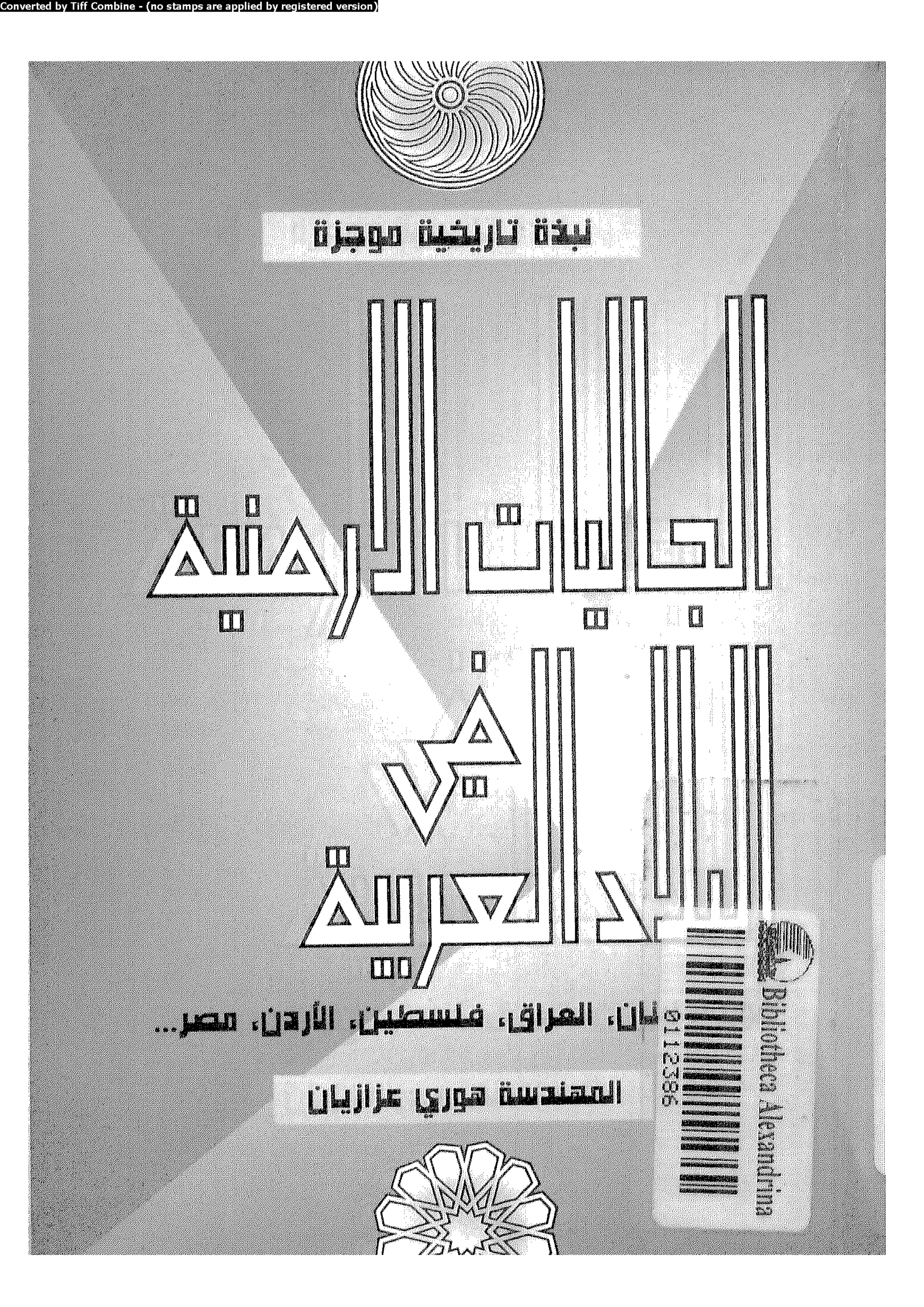

نبذة تاريخية موجزة
الجاليات الأرمنية
في
البلاد العربية
نان، العراق، فلسطين، الأردن، مصر...
المهندسة هوري عزازيان
Bibliotheca Alexandrina
0112386



نبـذة تاريــخـية مـوجـزة

عــن

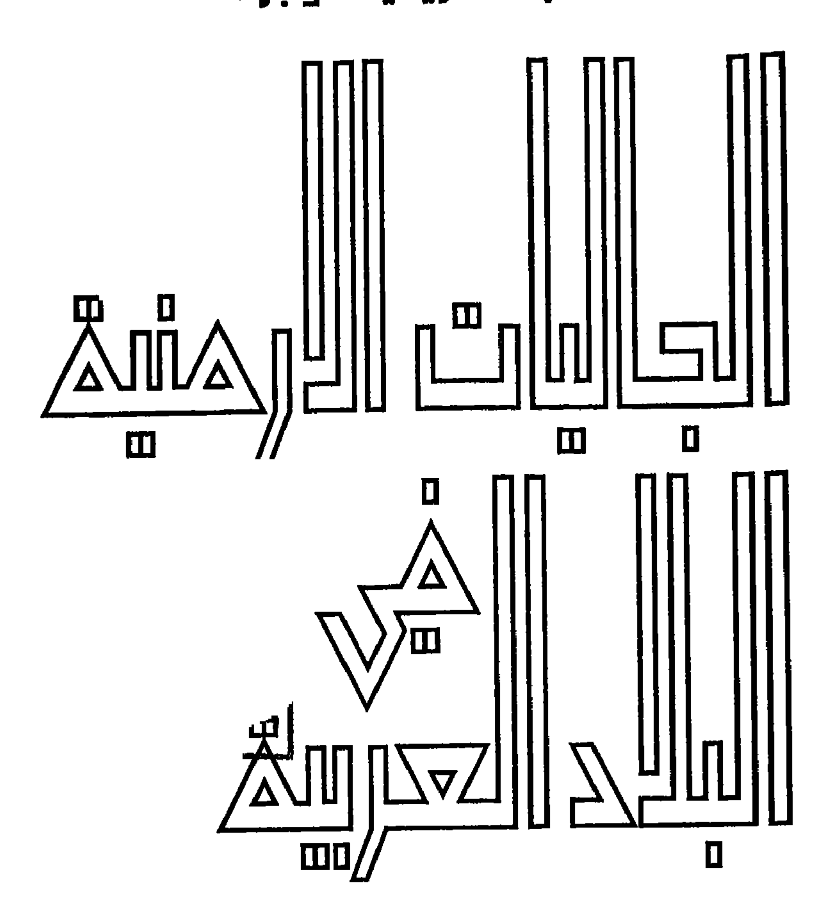
الجاليات الأرمنية في البلاد العربية

(سورية ، لبنان ، العراق ، فلسطين ، الأردن ، مصر ..)

* نبذة تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية في البلاد العربية .
* المهندسة هوري عزازيان .

* الطبعة الأولى 1993 / 2000
* الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع
اللاذقية ص . ب 1018 ـ هاتف 222339
تليكس 415086 Booth – sy ـ سورية .
نادي الشبيبة السّورية اللجنة الثقافية ـ ص ب 3699 حلب
تصميم الغلاف : الفنان : ارداشيس هامبارتسوميان

نبذة تاريخية موجزة



سورية، لبنان، العراق، فلسطين، الأردن، مصر

المهندسة هوري عزازيان



الفهرس



المقدمة

ظهرت في السنوات الأخيرة كتب كثيرة تبحث في تاريخ الأرمن وتدرس وتستقصي أوضاع الجالية الأرمنية في سورية ولبنان وما طرأ عليها من تبدّلات وتغيّرات في العصر الحديث . وتبقى مصنّفات المؤرخين العرب القدماء وبخاصة مؤلفات أولئك الذين صادفوا الفتح العربي لأرمينيا في القرن السابع للميلاد ، المصدر الرئيس الذي يتناول صفحات مطوّلة من تاريخ الأرمن وأرمينيا وتحدّثنا بالتفصيل عن شخصيات أرمنية بارزة كان لها تأثيرها الكبير في التاريخ العربي . وبالمقابل يخبرنا المؤرخون الأرمن بالعلاقات التاريخية بين الأرمن والعرب أثناء الحكم العربي على أرمينيا . وأعتقد أنّ تحقيق المخطوطات العربية والأرمنية سيلقي المزيد من الأضواء على موضوع احتكاك أرمينيا والأرمن مع البلاد العربية والعرب ، فضلاً عن المصادر الأجنبية والاستكشافات الأثرية .

بدأت الهجرات الأرمنية منذ أزمنة قديمة جداً واتخذت أبعاداً مأساوية أثناء الحكم البيزنطي على أرمينيا وأثناء غزوات المغول ـ التتار والسلاجقة ـ الأتراك ، واستمرّت في الحقب التاريخية التالية ، إلى أن بلغت ذروتها عقب الاضطهادات العثمانية للأرمن في تركية، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وكانت حصيلة المذبحة الكبرى سنة 1915 م مليون ونصف المليون شهيد من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، فضلاً عن 800000 من المنفيين الأرمن ، فتكوّن « الشتات الأرمني » بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني .

فقد تدفّقت الهجرات الأرمنية الكبرى إلى سورية ، ومنها انتشر الأرمن في البلاد العربية الأخرى وفي جميع أنحاء العالم . وكان دور الشعب العربي عظيماً في مساعدة الشعب المنكوب ليستطيع تجاوز نكبته . واعتبر أبناء الشعب الأرمني هذه البلاد وطنهم الثاني ، ويذلوا ما في وسعهم في سبيل تقدّمها وتطورها ، وهم يحملون في قلوبهم ذكرى الشهداء الأبرار ، لأنّه لا يمكن لأيّ أمّة أن تلقي بشهدائها في عالم النسيان ، فذلك يعني نسيان تاريخ تلك الأمّة ، وبدون التاريخ لا تحيا الأمم . فالعرب ما زالوا يتذكرون بمرارة شهداء السادس من أيار في ساحات دمشق وبيروت على يد السفّاح جمال باشا ، ومجازر دير ياسين وشهداء الانتفاضة .

فاليوم ، يُعرف الأرمن على امتداد الوطن العربي وفي العالم ، شعباً نشيطاً مبدعاً مسالماً ، له قضية عادلة يناضل بغية تسويتها تسوية مشروعة ، بيد أنّ القلائل جداً هم الذين يعرفون أنّ العلاقات العربية ـ الأرمنية قديمة جداً وأنّ الأرمن كانوا يعرفون البلاد العربية معرفة جيدة منذ العهود التاريخية القديمة ، وقد استقرّ كثير منهم في هذه البلاد .

ومن هنا تبرز أهمية موضوع هذا الكتاب : فمن حقّ جميع أبناء الشعب العربي أن يطّلعوا على الصلات التاريخية بين جمهورية أرمينيا وبين البلاد العربية وعن العلاقات الوطيدة بين الشعب العربي والشعب الأرمني ، ولا سيما في هذه المرحلة الدقيقة والحاسمة التي يمرّ بها الشعبان .

وتجدر الإشارة إلى أنّه بعد أن أصبحت أرمينيا جمهورية مستقلة (في 23 آب 1990 م ، كانت البلاد العربية (سورية ، مصر) من أولى الدول التي قام الرئيس الأرمني بزيارتها .

فتعميقاً لأواصر الصداقة العربية ـ الأرمنية ، وعرفاناً بجميل ما قدّمه العرب للأرمن أيام محنته الكبيرة ، قمت بتأليف هذا الكتاب ، وأنا ابنة حلب الشهباء ، المدينة العريقة التي كانت المركز الرئيس لتجمّع قوافل المنفيين الأرمن .

* * *

وهنا لا بدّ لي من أن أسوق بعض الملاحظات التي تتعلق بالأسس التي اتبعتها أثناء تأليف الكتاب .

ـ إنّ الكتاب مؤلف تاريخي ـ لموضوع واسع ـ ، يمكن أن يطّلع القارىء من خلاله على تاريخ الجاليات الأرمنية في البلاد العربية ، كما يمكن أن يكون هذا البحث منطلقاً لدراسات وأبحاث أشمل لكل فقرة من فقراته .

ـ إنّ موضوع العلاقات المتبادلة بين الشعبين العربي والأرمني ، لم تأخذ حتى الآن نصيبها الوافر من البحث العلمي ، ولذلك فإنّ الموضوعات الواردة في فقرات الباب الأول قد تكون معروفة ومطروقة ، وكان لا بدّ من تكرارها تمهيداً لموضوعات وفقرات الباب الثاني .

ـ يتناول الكتاب الفترة الزمنية الممتدّة بين العهود التاريخية القديمة ومطلع القرن العشرين ، لأنّ التطرق لموضوع الجاليات الأرمنية في الأزمنة الحديثة يحتاج إلى مجلّد بكامله كي يفي بالغرض المطلوب .

ـ بما تيسّر لي من المصادر والمراجع الأرمنية والعربية ، سعيت أن أورد في المؤلف ما شهد به المؤرخون العرب والأرمن عن أرمينيا وذلك ضمن نطاق البحث ، وما كان منه في متناول يدي وموجود في مدينة حلب .

ـ في جميع فقرات الكتاب حرصت أن أتّبع تسلسلاً زمنياً بما يخص الحقب أو المراحل أو الحوادث التاريخية ، بغية تسهيل متابعة موضوع البحث .

ـ إنّ اختيار الأمثلة الواردة في جميع فقرات الكتاب لم يكن مقصوداً ، فإن غاب عني شيء أو خفي مما هو جدير بالإشارة فلي العذر .

ـ ذكرت أسماء الأعلام وأسماء الأماكن الأرمنية مثلما تُلفظ في اللغة الأرمنية ، دون اتباع أية أسس ، لإطلاع القارىء العربي على الألفاظ الأرمنية .

وأخيراً لا أدّعي في عملي هذا أنّي ملكت ناصية التاريخ ، بل عمدت بما لدي من

إطّلاع بأمور الحضارات وتاريخ الشعوب ، إلى تقديم هذا العمل المتواضع ـ الأول من نوعه باللغة العربية ـ والذي قد لا يخلو من الأخطاء ، وأملي كبير أن يلقى من القراء ما هو جدير به من الإهتمام .

فتحية محبة واعتزاز وشكر لجميع الذين وقفوا بجانبي وقفة تقدير ، وأخص بالذكر السيد مهران ميناسيان لما قدّم لي من خدمات كبيرة وتوجيهات قيّمة ، وللقراء الأعزاء ، وكلي أمل أنّي وضعت لبنة ولو صغيرة في صرح الصداقة العربية ـ الأرمنية العريقة .

9 كانون الثاني 1993 م

حلب

المهندسة

هوري عزازيان

الباب الأول

صفحات من التاريخ ...

الفصل الأول ـ لمحة موجزة عن نشأة الأرمن وأسباب انتشارهم خارج أرمينيا .
الفصل الثاني ـ لمحة موجزة عن أقدم الهجرات والجاليات الأرمنية .
الفصل الثالث ـ أمثلة تاريخية موجزة عن العلاقات العربية ـ الأرمنية .

الفصل الأول

لمحة موجزة عن نشأة الأرمن وأسباب انتشارهم خارج أرمينيا

إنّ الأرمن : « امة من اقدم الأمم التي وجدت بعد الطوفان ابتدأت على قول مؤرخيها من هايكوس ولد توجرمة ابن جومر بن يافث بن نوح . وعندهم ان هايكوس كان من المناظرين على بناء برج بابل الا انه ابى السجود لبيل الجبار وهو نمرود الذي كان حينئذٍ ملك بابل وسار بعائلته وجماعته وكان الكل 300 رجل الى الجهات الشمالية قاصداً اقليم اراراط فبنوا مدينة سموها هايكاعمار اي مدينة هايكوس وملكوه عليهم وذلك قبل المسيح بالفين ومائة وسبع سنين . ثم اخذت دولة هايكوس تقوى والشعب ينمو والبلاد تمتد حتى صارت دولة ملكت نحو 3500 سنة وهكذا انتسبوا اولاً إلى هايكوس هذا فكانوا يسمون هايكانية »[1] .

فالشعب الأرمني هو من الشعوب الهندأوروبية[2] ، نشأ من القبائل المستوطنة في آسيا الصغرى والمنتشرة حول بحيرة ڤان ، وكانت لتضاريس هذه المنطقة المحاصرة بالجبال والسلاسل الجبلية الكبيرة والمناخ القاسي والطبيعة الجميلة ، الأثر المباشر في قيام حضارة متطورة وثقافة موحدة كوّنت صفات هذا الشعب عبر تاريخه الطويل .

بدأت هذه التجمعات القبلية تتحول إلى تجمع اجتماعي وسياسي ، انتهى بها إلى دولة عُرفت باسم مملكة أورارتو - وهي أولى الممالك في تاريخ الشعب الأرمني - وقد ظهرت في القرن التاسع قبل الميلاد[3] .

قال ياقوت الحموي عن أرمينيا : « سمّيت أرمينية بأرمينيا بن لَنْطا بن أوْمَر بن يافث بن نوح ، عليه السلام ، وكان أول من نزلها وسكنها ؛ وقيل : هما أرمينيتان الكُبرَى والصُغرىَ ، وحَدُّهما من بَرْذَعة إلى باب الأبواب ، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القَبْق وصاحب السرير ، وقيل : إرمينية الكُبرَى خِلاط ونواحيها وإرمينية الصغرى تفليس ونواحيها ، وقيل : هي ثلاث أرمينيات ، وقيل : أربع ، فالأوُلى : بَيلَقان وقَبَلَة وشِرْوان وما انضمّ إليها عُدَّ منها ؛ والثانية : جُرْزان وصُنْدَ بيل وباب فَيْروز قُباذ واللُّكز ؛ والثالثة : البُسْفُرجَان ودَبيل وسِرَاج طَيْر وبَغْرَوَند والنَّشوَى ، والرابعة وبها قبر صفوان بن المعطَّل صاحب رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وهو قرب حصن زياد عليه شجرة نابتة لا يعرف أحد من الناس ما هي ، ولها حَمْلٌ يشبه اللوز يُؤكَل بِقشْره وهو طيّب جدّاً ، فمن الرابعة : شِمْشاط وقاليقلا وأرجيش وباجُنَيْس . . . »[4] .

وورد في دائرة المعارف الإسلامية أنّ : « اسم أرمينية بمعناه الواسع اليوم ، يدل إجمالا كما كان يدل قديماً ، على أوسط البقاع وأكثرها ارتفاعاً من المنطقة الجبلية الواقعة في غربي آسية ، وهي البلاد الجبلية المترامية الأطراف التي تحد غرباً بآسية الصغرى وتحدها جنوبا بشرق وشرقاً هضبة آذربيجان والشاطىء الجنوبي لبحر الخزر ، وتحدها من الشمال والشمال الغربي البلاد الواقعة على شواطىء بحر بنطس (تسمى اليوم جانيق ولازستان) وبلاد القوقاس التي يفصلها عن أرمينية نهر الكّر وريونِه ، ويحدها من الجنوب السهل الشمالي الغربي من بلاد الجزيرة (البلاد الواقعة في حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى) الذي يمتد حتى بلاد آشور . . .

« وهذا الاقليم المسمى بأرمينية الذي تبلغ مساحته ثلاثمائة [ألف ـ المؤلفة] كيلومتر مربع تقريباً يكوّن وحدة جغرافية ذات طبيعة خاصة تميزها عن غيرها من البلاد »[5] .

إنّ أرمينيا أو بلاد آرارات أو الهضبة الأرمنية أو بلاد نائيري ، تقع بين خطي الطول 38 ـ 48 شرقاً ، وخطي العرض 37 ـ 41 شمالاً ، يحدّها من الغرب نهر الفرات ومن الشرق إيران وأذربيجان ومن الشمال جورجيا وجبال البونت وسلسلة جبال القفقاس ، ومن الجنوب سلسلة جبال طوروس وسهول الجزيرة السورية والعراق .

سرعان ما تبوّأ الشعب الأرمني في هذا المعقل الطبيعي مكانة مرموقة بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط . ولمّا كانت أرمينيا تقع على أحد أهم المعابر الاستراتيجية وأكثرها مطمعاً في العالمين القديم والوسيط ، فقد عبرتْها شعوب عدّة وغزتْها جيوش الميديين والفرس والإغريق والرومان والبيزنطيين والسلاجقة والتتار والأتراك . . . وبالرغم من كل هذه الاجتياحات والاحتلالات فقد نجح الأرمن في البقاء والاستمرار والرقي الحضاري وخلق ثقافة مميّزة .

فقدت أرمينيا مكانتها القيادية في القرن الأول قبل الميلاد حين تقاسمتها الامبراطوريتان الرومانية والفارسية . ولمّا كانت الدولة الأرمنية أوّل دولة في العالم أعلنَت المسيحية ديانة رسمية لها في مطلع القرن الرابع للميلاد (301 م) ، فقد اضطُهِد الأرمن لإيمانهم ، لكنّهم ظلّوا متمسكين بديارهم الجبلية ، توحّدهم اللغة الأرمنية وكنيستهم المسيحية .

وحافظ الشعب الأرمني على كيانه لقرون عدّة ، إلى أن بدأت غزوات السلاجقة الأتراك (1064 ـ 1220 م) ثمّ المغول والتتار (1220 ـ 1468 م) ، فانهارت آخر مملكة أرمنية وهي المملكة الأرمنية في كيليكيا في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد (سنة 1375 م) أمام ضربات المماليك والتتار ، وقد قال عنها المؤرخ ابن الشحنة : « . . . وبلاد الأرمن الكبار خمسة وهي اياس وسيس والمصيصة وأذنة وطرسوس . ومملكة الأرمن صغيرة مسيرة أربعة أيام في مثلها بالتقريب . وبها قلاع كثيرة أكثر من مائتي قلعة . وهي تسمى بلاد الجوف . . . »[6] .

وفي سنة 1473 م وإثر سقوط الدولة التتارية الثانية من قبل السلطان العثماني محمد الثاني ، دخلت أرمينيا تحت الاحتلال العثماني .

ظلّت أرمينيا إلى القرن السابع عشر واقعة بين حجري الرحى ، تتوسط الصراع الفارسي ـ العثماني ، إلى أن جاءت الحروب الروسية ـ الفارسية (1580 ـ 1600 م) ثمّ الحرب الروسية ـ التركية (1878 م) ، فأدّت إلى انقسام أرمينيا إلى أرمينيا الشرقية أو أرمينيا الروسية و أرمينيا الغربية أو أرمينيا التركية .

ومن هنا بدأت القضية الأرمنية تأخذ أبعادها الدولية ، ولا سيما بالنسبة للأرمن القاطنين في أرمينيا الغربية وتركية .

* * *

كان لهذه الحروب والغزوات المتواصلة ، وما كانت تجرّه من نتائج سلبية تأثيراً فاجعاً على أرمينيا والشعب الأرمني . ومن أهمّها الهجرات الجماعية التي وقعت عبر التاريخ . لقد توزعت الجاليات الأرمنية في القرون الوسطى على أكثر من خمسة وعشرين بلداً ، يعود بعضها إلى فترات تاريخية موغلة في القدم ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، توالت مجاعات كبيرة بعد غزوات طغرل بك (1040 ـ 1050 م) وتيمور لنك (1393 م) والحروب الروسية ـ الفارسية (1580 ـ 1600 م) والحرب الروسية ـ التركية (1878 م) في الوقت نفسه الذي كانت سهول موش وأرضروم ويريڤان وباسين وبابرث وخنوس وأودية نهري آراكس ودجلة تشكل مساحات زراعية خصبة وشاسعة .

وكانت الهجرات الجماعية المنظمة من أسوأ نتائج السياسة البيزنطية في أرمينيا . لقد كان الملوك والأباطرة البيزنطيون (ذوو النشأة الأرمنية) ، يشجّعون هذه الهجرات للمحافظة على عرشهم .

ولا بدّ من ذكر الهجرات القسرية أو التهجير الذي تعرّض له الشعب الأرمني . ونذكر منها الهجرة التي فرضها الملك الفارسي شابور الثاني (309 ـ 379 م) سنة 364 م ، ثمّ تلك التي فرضها الشاه عبّاس الأول (1587 ـ 1628 م) سنة 1604 م وسنة 1605 م . « ولما قَرُب الجيش العثماني امر الشاه عباس ان يجوز جيشهُ بالارمن الى بلادهِ فلما قربوا من نهر هناك لَم يجدوا سفناً كافية فامر العسكرُ الشعبَ ان يجتازوا سباحة فمن سبح خلص ومن لم يكن يعرف السباحة غرق فكان الشيوخ والنساء والصبيان يولولون بما تقشعر منه الابدان وهكذا هلك أكثرهم غرقاً وكان المرضى يئنون انيناً يسحق القلوب ومات اكثرهم اهمالاً وكل ذلك كان يزيد الشاه المذكور قساوة . فلمّا وصلوا الى اصبهان بعد مقاساة انواع العذاب امر الشاه بإبقاء قسم منهم هناك وفرّق الباقين في اماكن مختلفة . وكان من سلم من الغرق 12 الف عائلة . ومن ذلك الوقت كان الشاه عباس يعاملهم باللين والاكرام ورفع عنهم المظالم والضرائب واستدعى آخرين منهم من أماكن مختلفة للسكنى باصبهان وأنشأ لهم هناك ناحية اسمها جلفا »[7] ، بينما (وفق الاقتصادي الفرنسي جاك سافاري) كان عدد الأرمن المهجّرين يبلغ 30,000 عائلة أرمنية[8] .

بيد أنّ مذابح 1915 م ، وما رافقها من نفي وتهجير وتشديد ، تُعتبر أكثر هولاً وبشاعة من كلّ الجرائم التي عرفها تاريخ الإنسانية . لقد أُبيد مليون ونصف مليون أرمني ، وأُفرغت أرمينيا الغربية من سكانها الأصليين ، ولم ينجُ من غيظ السلطات العثمانية سوى بضع مئات الألوف من الأرمن ، منهم من لجأ إلى أرمينيا الشرقية أي جمهورية أرمينيا ، واستقرّ الباقون جماعات مبعثرة في جميع أرجاء العالم ، يؤلفون اليوم ما نسميه بـ « الشتات الأرمني » .

الحواشي

1) بطرس البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، 3 : 199 ـ 2 .

2) انظر رافائيل اشخانيان ، نشأة الأرمن وتاريخهم القديم (بالأرمنية) ، ترجمه إلى العربية المهندسة هوري عزازيان ، مطبعة كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا ، بيروت ، 1986 ، ص ص 17 - 38 .

3) انظر المصدر نفسه ، ص ص 55 ـ 77 ، ومروان المدوّر ، الأرمن عبر التاريخ ، ص ص 82 ـ 94 ، و ل . و . كينغ و هـ . ر . هال ، مصر وآسيا الصغرى في ضوء الاستشكافات الأخيرة (بالانكليزية) ، ص ص 415 ـ 422 .

4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1 : 160 ـ 1 .

5) دائرة المعارف الإسلامية ، النسخة العربية ، 3 : 33 ـ 34 .

6) ابن الشحنة ، الدّر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص 187 .

7) بطرس البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، 3 : 204 ـ 2 .

8) أسبوعية « ناقوس أرمينيا » (بالأرمنية) ، 29 أيار 1948 ، العدد 22 ، ص 509 .

الفصل الثاني

لمحة موجزة عن أقدم الهجرات والجاليات الأرمنية

إننا لا نملك عن تاريخ أقدم الجاليات الأرمنية سوى معلومات مبهمة وغير مستفيضة .

1 ـ لقد وَردت بعض المعلومات في المصادر التاريخية ، تشهد على وجود الأرمن خارج أرمينيا وذلك في الفيالق العسكرية التي كان حكّام أرمينيا يرسلونها إلى البلاد المجاورة أيام الحروب والمِحن العصيبة .

ذكر المؤرخ أكزينوفون في القرن السادس قبل الميلاد هذه الفيالق في مؤلفاته[1] ، كما أخبرنا فضلاً عن ذلك أنّ الحركة التجارية كانت نشيطة في أرمينيا ، وأنّ التجّار الأرمن كانوا يعرفون الطريق إلى الهند[2] .

وذكر المؤرخ هـيرودوتس سنة 480 ق . م أنّ الجيش الأرمني كان جيشاً مساعداً للجيش الفارسي[3] ، وأنّ الأرمن كانوا يشتركون في الحركة التجارية العالمية بنقلهم الأمتعة إلى بابل عن طريق نهر الفرات[4] .

وأشار كرتس روفس سنة 331 ق . م عن وجود فيلقين أرمنيين في جيش الملك الفارسي داريوس الثالث (336 ـ 330 ق . م)[5] . كان ذلك أثناء قتاله الاسكندر المقدوني .

وهناك أدلّة تاريخية تثبت وجود عسكريين أرمن في مصر وشمالي إفريقيا . ووفق استرابون : فقد كانت توجد فيالق أرمنية في الجيش السلوقي (305 ـ 64 ق . م) ، وجالية أرمنية في أنطاكية عاصمة السلوقيين[6] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الفيالق العسكرية كانت تعود غالباً إلى أرمينيا بعد انتهاء مهمّاتها ، وعلى الرغم من ذلك يُعتقد وجود جاليات أرمنية صغيرة في إيران أثناء الحكم الأخميني (559 ـ 330 ق . م) ، والتي كانت تضمّ التجّار والحرفيين .

2 ـ أثناء حكم المملكة الأرمنية الأرداشيسية (189 ق . م ـ 1 م) تتوفر المعلومات الكثيرة عن التاريخ الأرمني بفضل ما قدّمه المؤرخون الأرمن من مصادر ، فضلاً عن المؤرخين الأجانب .

وفق المصادر الأرمنية ، فقد وقعت هجرات إلى أرمينيا وإلى خارجها على حدٍّ سواء في هذه الحقبة التاريخية . ويذكر المؤرخون اليونانيون والرومانيون (المؤرخ استرابون على سبيل المثال) الذي يذكر ذكراً مفصّلاً آلاف المهاجرين الذين ساقهم إلى أرمينيا الملك الأرمني ديكران العظيم أو ديكران الثاني (95 ـ 55 ق . م) وخَلَفه آردافَست الثاني (55 ـ 34 ق . م) وذلك أثناء حملاتهم العسكرية إلى بلاد ما بين النهرين وكبادوكيا وبلاد أخرى[7] .

من الناحية الثانية ، لمّا كانت امبراطورية الملك ديكران العظيم تمتدّ إلى حدود فلسطين (84 ـ 64 ق . م)[8] ، انتشر الشعب الأرمني نحو الجنوب وغدا على تماس مباشر مع شعوب أخرى ، وتتكلّم المصادر العربية والسريانية والأرمنية واليونانية عن الهجرات والجاليات الأرمنية إلى سورية التاريخية وساحل المتوسط الشرقي (أو الساحل الفينيقي) وبلاد ما بين النهرين ، وسنتكلّم عنها بالتفصيل فيما بعد .

وباتجاه الشمال كان للأرمن علاقات مباشرة مع الجورجيين والأغوان وسكان بلاد البونت ، كما كانت لهم علاقات تجارية مع الشعوب القاطنة في حوض بحر قزوين

والبحر الأسود ، ونشطت هذه العلاقات بعد اعتناق الأرمن للمسيحية .

3 ـ بعد سقوط المملكة الأرمنية الأرداشيسية وقعت أرمينيا في خضم التناحر الفارسي ـ الروماني ، الذي كان يهدف إلى إضعاف أرمينيا وتفريغها من سكانها . ويظهر هذا واضحاً بخاصة بعد اقتسام أرمينيا سنة 387 م بين روما وبلاد الفرس ، وذلك في معاملة الملك الفارسي يزدجرد الثاني (440 ـ 457 ق.م) للفيالق الأرمنية والتي وصفها المؤرخون الأرمن ، نذكر منهم على سبيل المثال المؤرخ الأرمني يغيشه[9] .

ولم يكن مصير الفرق الأرمنية العسكرية في أرمينيا الغربية والواقعة تحت السيطرة الرومانية أفضل من ذلك .

4 ـ وفضلاً عن وجود الجنود الأرمن خارج أرمينيا ، فقد كان هناك الرهائن الأرمن أيضاً . إذ كان الفرس والرومان يلجؤون إلى الاحتفاظ بالرهائن من وجهاء الأرمن في بلاطاتهم ، بغية تقوية سيطرتهم على أرمينيا ، بخلق جيل وفيّ وصادق لهم[10] .

5 ـ وهناك معلومات تاريخية شيّقة عن الطلاب الأرمن الذين كانوا يدرسون في روما وأنطاكيا وأذيسا (الرّها) والاسكندرية وأثينا . فقد كان لهم دور كبير في تطوير الثقافة الأرمنية بعامة في أرمينيا ، إلاّ أنّ بعضهم بقي في البلاد التي درس فيها وغدا من ألمع نجوم ثقافتها ، ونذكر منهم (ديران هايكازن) في القرن الأوّل قبل الميلاد ، الذي كان عبداً ساقه القائد الروماني لوغوللص من أرمينيا إلى روما واستقرّ فيها ، و (باروير هايكازن) من القرن الرابع الميلادي الذي استقرّ في أثينا والمعروف باسم (بروويريسيسوس) في التأريخ اليوناني ، والشاعر والفيلسوف (غيفونت هايكازن) من القرن الخامس الميلادي وعاش في أنطاكية[11] .

6 ـ ترتبط الهجرة الأرمنية الجماعية الأولى بالحكم الساساني في إيران (224 ـ 642 م) . فالمعلومات التاريخية الأولية تشير إلى أعداد كبيرة من أسرى الأرمن ،

ساقهم الملك الفارسي أرداشير الأوّل (224 ـ 240 م) إلى بلاد الفرس (من المرجّح سنة 228 م) ، وقد ذكر هذه الحادثة أيضاً المؤرخ الأرمني آكاطنكيغوس[12] .

كما يذكر المؤرخ الأرمني بافستوس بيزنط أنّ الساسانيين قاموا بعملية ترحيل ثانية للأرمن في القرن الرابع للميلاد . فالملك الفارسي شابور الثاني (309 ـ 379 م) وبعد مؤامرة كان قد نظّمها للملك الأرمني آرشاق الثاني (351 ـ367 م) ،هاجم سنة 364 م أرمينيا ودمّر البلاد ثم عاد إلى بلاد الفرس وهو يجرّ أمامه العديد من أسرى الأرمن ،ساقهم من مدينة أرداشاد وڤاغارشاباد ويرونتاشاد ونخجوان وديكراناكيرت والمدن الأرمنية الأخرى[13] .

ويؤكد هذه المعلومات أيضاً المؤرخ الأرمني موسيس خوريناتسي[14] .

7 ـ وبدأ الأرمن في أواخر القرن الرابع للميلاد بالتوجّه إلى الغرب ،وبخاصة إلى بيزنطة . واستمرّ تدفّق هذه الموجات من الهجرات الجماعية حتى القرن الثالث عشر للميلاد . وقد كوّن المهاجرون الأرمن في مختلف المدن البيزنطية جاليات أرمنية لعبت دوراً بارزاً في جميع مجالات حياة الامبراطورية ،وتذكر المصادر التاريخية ثلاثين امبراطوراً أرمني النشأة تولّوا عرش بيزنطة ، فضلاً عن المئات من القوّاد الأرمن والعديد من الفيالق الأرمنية . كما يذكر المؤرخون الأرمن والبيزنطيون على حدّ سواء كثيراً من أخبار الجالية الأرمنية في بيزنطة[15] .

8 ـ لا ريب أنّ الظروف السياسية السائدة آنذاك في أرمينيا ، كانت من أهم أسباب هذه الهجرات . بيد أنّه رافقت هذه الهجرات التي قام الأرمن بها بملء إرادتهم ، هجرات إجبارية فرضتها الامبراطورية البيزنطية وعلى نحو منتظم ، بإتجاه تراقيا وماكدونيا لحماية حدودها الشمالية من جهة ولتفريغ أرمينيا من سكانها الأصليين من جهة ثانية ،بغية إضعاف القوى المعارضة لها هناك[16] . وتذكر المصادر التاريخية مثل هذه الهجرات الإجبارية .

وعلى هذا النحو كان الشعب الأرمني ينتشر خارج أرمينيا ، وكانت هناك جاليات أرمنية في سورية وكيليكيا وكبادوكيا وبلاد البونت والقسطنطينية وتراقيا وايطاليا وصقلية ومصر وشمالي إفريقيا وجزيرة كريت[17] .

9 ـ بعد إنهيار الامبراطورية الساسانية (224 ـ642 م) ،دخلت أرمينيا مرحلة الصراع العربي ـالبيزنطي ،وغالباً ما كانت الحروب والمجابهات تقع على أرض أرمينيا . لذلك راح الشعب الأرمني يتّجه نحو الغرب باحثاً عن الأمن والسلام . ومن المفجع أنّ تتابع الهجرات الأرمنية نحو بيزنطة استمرّت بعد فتح العرب لأرمينيا أيضاً ، على الرغم من أنّ الحكم العربي ترك للشعب الأرمني حرية العبادة الدينية[18] .

10ـ وفي الستّينات من القرن التاسع الميلادي بدأت مرحلة جديدة من الصراع العربي ـالبيزنطي ، انتهت بسيطرة بيزنطة على آسيا الصغرى . وشجّع البيزنطيون الهجرات الأرمنية بغية إسكان المناطق الحدودية من امبراطوريتهم بالشعب الأرمني[19] .

11 ـ عندما ظهر السلاجقة الأتراك على حدود أرمينيا ،كانت سياسة بيزنطة لإخلاء أرمينيا من سكّانها الأصليين مستمرّة ، وكانت هناك موجات كبيرة من الهجرات المتلاحقة نحو بيزنطة هرباً من ظلم الغزاة . لقد كان الأمراء الأرمن وبضغط من بيزنطة يتنازلون عن أملاكهم وأراضيهم في أرمينيا لها ، مقابل أملاك وأراض في مختلف أرجاء الامبراطورية البيزنطية[20] .

ولا يسعنا إلّا أن نكرر : إنّ هذه الهجرات المتتالية إلى بيزنطة كانت من أكبر الكوارث التاريخية التي شَهدتها أرمينيا والشعب الأرمني ،والتي كانت بحراً عميقاً غرق فيه الكثيرون من أبناء الشعب الأرمني .

12ـ مع اجتياحات السلاجقة الأتراك (1064 ـ 1220 م) ثمّ المغول التتار (1220 ـ 1468 م) ،بدأت في تاريخ أرمينيا وشعبها صفحة جديدة من التدمير والإبادة امتدّت على أربعة قرون رافقتها هجرات جماعية إلى كبادوكيا وبلاد ما بين

النهرين وبلاد الفرس وكيليكيا وجورجيا ومن هناك إلى بلغاريا وروسيا ومناطق أخرى[21] .

ومن الناحية الثانية ساق الغزاة أعداداً هائلة من الأرمن أسرى إلى بلادهم في الشرق .

ولجأ الأرمن الموجودون في المدن الكيليكية وشمالي سورية إلى إعادة إقامة استقلالهم السياسي . فتكلّلت جهودهم بالنجاح بإقامة المملكة الأرمنية في كيليكيا (1080 ـ 1375 م) ، وتجمّعت الجاليات الأرمنية الصغيرة المتفرّقة في الامبراطورية البيزنطية حول المملكة الجديدة وحافظت على كيانها ، إلى أن انهارت تحت ضربات المماليك والتتار سنة 1375 م .

13 ـ واستمرّت مسيرة تاريخ الشعب الأرمني ، وإثر المجزرة الكبرى سنة 1915 م تكوّن « الشتات الأرمني » .

* * *

وينتشر الأرمن اليوم في كل أنحاء المعمورة ، وهم يشكّلون جاليات كبيرة ومنظّمة ولا سيما في البلاد العربية ، التي كانت الملجأ الأمين للمنفيين الأرمن . فلا عجب في ذلك ، لأنّ العلاقات العربية ـ الأرمنية « قديمة قِدَم التاريخ نفسه »[22] .

الحواشي

1) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 18 .

2) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 101 ـ 102 .

3) هيرودوتس ، تاريخ (بالأرمنية) ، ترجمة سيمون قرقه ياشاريان ، ص 409 .

4) المصدر نفسه ، ص 80 ، وأرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 101 ـ 102 .

5) كرتس روفس ، تاريخ الاسكندر المقدوني (باللاتينية) ، 3 : 2 ، 6 (نقلاً عن لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، آ (شود) ك . أبراهاميان ، 1 : 18) ، وتاريخ الشعب الأرمني (بالأرمنية) ، 1985 م ، ص 38 .

6) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 18 ـ 19 ، وأرشاك ألبوياجيان ،تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 105 .

7) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 19 ـ 20 .

8) المستشار فؤاد حسن حافظ ،تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ،ص 31 .

9) يغيشه ، عن ڤارطان وحرب الأرمن (بالأرمنية) ، ص 33 .

10) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية

(بالأرمنية) ، 1 : 22 .

11) المصدر نفسه ، 1 : 23 ـ 24 .

12) آكاطنكيغوس ، تاريخ الأرمن (بالأرمنية) ، ص ص 32 ـ 33 .

13) بافستوس بيزنط ،تاريخ الأرمن (بالأرمنية) ، ص ص 214 ـ 225 .

14) موسيس خوريناتسي ،تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 351 .

15) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 30 ـ 33 .

16) المصدر نفسه ، 1 : 35 ـ 36 .

17) المصدر نفسه ، 1 : 41 .

18) المصدر نفسه ، 1 : 47 ـ 48 .

19) المصدر نفسه ، 1 : 53 .

20) المصدر نفسه ، 1 : 70 .

21) المصدر نفسه ، 1 : 75 .

22) صحيفة « تشرين » ، 26 نيسان 1992 .

الفصل الثالث

أمثلة تاريخية موجزة عن العلاقات العربية ـ الأرمنية

إن العلاقات العربية ـ الأرمنية قديمة قِدم التاريخ ،وقد تبلورت بإمتداد امبراطورية الملك الأرمني ديكران الثاني أو ديكران العظيم جنوباً إلى حدود فلسطين (84 ـ 64 ق . م) . فانتشر الأرمن في سورية التاريخية وساحل المتوسط الشرقي (أو الساحل الفينيقي) وبلاد ما بين النهرين . وتذكر المصادر التاريخية : أنّ جيش ديكران الثاني كان يضمّ فرقة عربية أيضاً ، كان لها دورها المهم في إقامة امبراطوريته الواسعة الممتدّة من بحر قزوين إلى البحر الأسود ،ومن حدود بلاد الفرس إلى البحر الأبيض المتوسط . كما تُذكر وجود بعض الكتائب العربية في جيوش خَلَفه آرداڤست الثاني (55 ـ 34 ق.م) .

ثمّ تطورت هذه العلاقات ذات الصبغة العسكرية على وجه السرعة ،وغدت متميّزة أيام الحكم العربي على أرمينيا وعلى مدى قرنين من الزمن (640 ـ 862 م) . ونشأت في أرمينيا في هذه الفترة إمارات عربية أثناء الخلافة العبّاسية ، أي منذ بداية القرن الثامن للميلاد كان أشهرها إمارة المروانيين (990 ـ 1096 م) .'

استمرّت هذه العلاقات في مختلف حقب تاريخ الشعبين ، وكان للتجارة أيضاً دورٌ فعّال في تقويتها . لقد كانت أرمينيا على إتصال دائم مع البلاد الواقعة في شرق

حوض البحر الأبيض المتوسط ، وازداد دورها أهمية في التجارة العالمية أيام حكم الامبراطور الأرمني ديكران العظيم[1] ، ولا سيما ما كان يأتيها من عائدات مرور القوافل التجارية (الترانزيت) . وأثناء حكم المملكة الأرمنية الأرشاقونية (66 ـ 429 م) كان الحرير الصيني يصل إلى حوض البحر الأسود ،وكذلك كانت تصل إليها مختلف المنتجات من الهند وآسيا الصغرى ومنها تصدّر إلى الغرب ، وبالمقابل كان يتصل الغرب بالقفقاس والهند والصين والخليج العربي مروراً بأرمينيا[2] .

* * *

ويروي التاريخ عن هذه العلاقات التي شملت مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية حوادث كثيرة :

فقد ذكر المؤرخون والرحّالة والجغرافيون العرب ـ أمثال : الأصطخري (المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) في « مسالك الممالك » وابن الفقيه (المتوفى سنة 902 م) في « مختصر كتاب البلدان » والطّبري (839 ـ 923 م) في « تاريخ الطّبري » والمقريزي (المتوفى سنة 1441 م) في « الخطط المقريزية » وأبو المحاسن بن تغرى بردى الأتابكي (المتوفى سنة 1469 م) في « النجوم الزاهرة » وغيرهم ـ معلومات قيّمة عن أرمينيا وعلاقاتها مع البلاد المجاورة ، ولا سيما عن التاريخ الأرمني أثناء حكم المملكة الأرمنية الباقرادونية (885 ـ 1071 م) و المملكة الأرمنية في كيليكيا (1080 ـ 1375 م) . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ، أنّ مؤلف ابن الفقيه يعدّ المرجع العربي الوحيد الذي أمدّنا بمعلومات وفيرة عن الثروة الطبيعية في أرمينيا ، وأنّ مؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب تعتبر المصدر الرئيس عن أنواع الضرائب المطبّقة في أرمينيا أثناء الحكم العربي ، وأنّ معلومات المؤرخين : الطبري والبلاذري (المتوفى سنة 892 م) تكمّلان إلى حد ملموس معلومات المؤرخين الأرمن فيما يخصّ فتح العرب لأرمينيا ، وأنّ المؤرخ العربي اليعقوبي (المتوفى سنة 897 م) زار أرمينيا « وقد طاف في

بلاد المملكة الإسلامية كلها ، فنزل أرمينية »[3] ، واطّلع بنفسه على ظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ووصف جغرافيتها وصفاً دقيقاً ، كما وصف مختلف نواحي الحياة فيها ، وأنّ المؤرخ ياقوت الحموي (1178 ـ 1229 م) ذكر مقالعها وأنهارها وقلاعها وأديرتها أيضاً فضلاً عن كل ما ذكره من أخبارها . . . .

وهنا نورد بعض الأمثلة التي تشهد على عراقة العلاقات العربية ـ الأرمنية .

ـ كانت العلاقات المتبادلة بين الملكة زنوبيا ، ملكة تدمر ، والملك الأرمني درطاد الثالث (252 ـ 278 م) وطيدة . فقد نصب ابن زنوبيا المدعو (آتيناطوروس) ملكاً على الجزء الجنوبي الغربي من أرمينيا في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 264 ـ 272 للميلاد[4] .

ـ بابتداع الأبجدية الأرمنية في مطلع القرن الخامس للميلاد (سنة 406 م) ، وبدء عهد الترجمة والتأليف في أرمينيا ، انتشرت الأديرة ورهبانيات الأرمن في شبه جزيرة سيناء والقدس . فقد وُجدت رُقم من الموزاييك مكتوبة باللغة الأرمنية في بعض الأماكن من القدس والضفة الغربية تعود إلى القرن السادس للميلاد[5] .

ـ وأعطى الخليفة عمر بن الخطّاب (634 ـ 644 م) كتاب الأمان التالي إلى أهالي مدينة القدس : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء[6] من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم ، ولا يُنتقص منها ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطو الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللصوت ؛ فمن خرج منهم فإنّه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ؛ ومن أقام منهم فهو آمن ؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْيَة ، ومنْ أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع

الرّوم ويخلّي بيعهم وصُلبُهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ،حتى يبلغوا مأمنهم ،ومَن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْية ،ومن شاء سار مع الرّوم ؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنّه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم ،وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمّة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ،وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ،ومعاوية بن أبي سفيان . وكتب وحَضَر سنة خمس عشرة . »(7) .

واستمر الخلفاء الراشدون والأمويون والعبّاسيون على هذا العهد إلى أن جاء العثمانيون فنقضه أحد سلاطينهم . وتجدر الإشارة إلى أنّ صلاح الدين الأيوبي عندما استرجع القدس من الصليبيين سنة 1187 م ، أصدر مرسوماً رسمياً اعترف بموجبه بحقوق المسيحيين والأرمن ،وسنتكلّم عنه فيما بعد .

ـ وعندما فتح العرب أرمينيا (640 ـ 642 م) أرسل الخليفة عمر بن الخطّاب بيد القائد العربي سُراقة بن عمرو كتاب الأمان التالي إلى سكّان أرمينيا : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملّتهم ألاّ يضارّوا ولا ينتقصوا ،وعلى أهل أرمينية والأبواب ؛ الطرّاء منهم والتّناء ومَنْ حولهم مدخل معهم أن ينفروا لكلّ غارة ،وينفذوا لكلّ أمر ناب أو لم يَنبْ رآه الوالي صلاحاً ، على أن توضع الجزاء عمّن أجاب إلى ذلك الاّ الحَشْر ، والحَشْر عِوَضٌ من جزائهم ومن استُغني عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذْرَبيجان من الجزاء والدلالة والنُّزْل يوماً كاملاً ،فإن حُشِروا وضع ذلك عنهم ،وإن تركوا أخذوا به شهد عبد بن ربيعة ،وسلْمان بن ربيعة ، وبكر بن عبد اللّه . وكتب مَرْضِيّ بن مقرن وشهد »(8) .

ـ بينما أرسل معاوية بن أبي سفيان كتاب الأمان التالي إلى أهالي مدينة دُبَيْل أو تفين الأرمنية وذلك بيد القائد العربي حبيب بن مسلمة ،وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من حَبيب بن مَسْلَمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم انّي أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأدّيتم الجزية والخراج شهد الله وكفى به شهيداً وختم حبيب بن مَسْلَمةَ »[9] .

ويشهد المؤرخ الأرمني سيبيوس أنّه أثناء الصراع العربي ـ البيزنطي وقف القائد الأرمني ثيودور رشدوني إلى جانب العرب ، ووقّع معهم سنة 652 م معاهدة الصلح المشهورة ، والتي حصلت أرمينيا بموجبها على استقلال ذاتي[10] . وتمكّن القائد الأرمني بمساعدة الجيوش العربية من قهر الامبراطور البيزنطي هيروكوليس ،وعندما زار دمشق بدعوة من القائد معاوية استُقبل بحفاوة كبيرة[11] .

ـ وتُجمع المصادر التاريخية على أنّ العلاقات العربية ـ الأرمنية أيام الخلافة الأموية بعامة (661 ـ 750 م) ،وحكم الخليفة معاوية بن أبي سفيان بخاصة (661 ـ 681 م) كانت وثيقة . وقد ورد فيها أنّه لمّا زار حاكم أرمينيا الأمير كريكور ماميكونيان (661 ـ 685 م) الذي كان يتقن اللغة العربية إتقاناً تاماً يرافقه الأمير الأرمني سمباط دمشق ، فقد استقبلهما الخليفة معاوية بالترحيب ،وعيّن الأول حاكماً رسمياً لأرمينيا[12] .

ـ وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (685 ـ 705 م) ، خرج بعض الأمراء (النخارار) الأرمن ، سنة 701 م على دولة الخلافة الأموية وقهروا الجيش العربي ، أصدر الخليفة أوامره لقائديه محمد بن مروان وعثمان بن الوليد بالإنتقام من الأرمن . فاستصوب الأرمن سنة 703 م إرسال رسالة مع الكاثوليكوس أو الجاثيليق الأرمني ساهاك الثالث تسورابورتسي (677 ـ 703 م) إلى الخليفة ، يعلنون فيها طاعتهم

وولاءهم وقبولهم دفع الجزية[13] . ويُقال إنّ الكاثوليكوس الأرمني توفي في مدينة حرّان وهو في طريقه إلى دمشق . وبناءً على وصيته وُضعت الرسالة في يده كي يستلمها منه محمد بن مروان الذي وصل على وجه السرعة إلى حرّان واستلم الرسالة . وكان لها أعمق الأثر في نفسه ، فأمر القائد عثمان بن الوليد بكتابة رسالة جوابية يعفو فيها عن الأرمن ،ووضعها في يد الكاثوليكوس المتوفى وأعاد جثته إلى الأرمن وهي تحمل الرسالة .

ـ ويذكر المؤرخون الأرمن أنّه في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (717 ـ 720 م) ، كانت العلاقات العربية ـ الأرمنية جيدة . ويشهد المؤرخ الأرمني كيراكوس كانتساكتسي : أنّ الخليفة وجّه دعوة للكاثوليكوس الأرمني هوفهانيس الثالث أوتسنتسي (717 ـ 728 م) ـ الذي كان بعيد الشهرة ،بليغ الثقافة والتقوى لزيارة دمشق . فاستُقبل استقبال الملوك وقيل : إنَّ دمشق لم تشهد مثيلاً لهذا الاستقبال الحافل . وقد كان بين الخليفة والكاثوليكوس لقاءاتٍ عدّة ،وافق الخليفة أثناءها على طلبات الكاثوليكوس الأرمني ، ألا وهي إعفاء رجال الدّين الأرمن من الضريبة ، ومنح حرية العبادة الدينية للأرمن في البلاد التي يحكمها العرب ،فاكتسب الأرمن بذلك حقّ إقامة أديرة ورهبانيات وكنائس في تلك البلاد[14] .

ـ في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (724 ـ 743 م) ، قام الجيشان الأرمني والعربي بصد الخزر ، عدوّهما المشترك . ويذكر المؤرخ الأرمني غيفونت أنّ الخليفة أكرَمَ ملك أرمينيا آشوط الثالث الباقرادوني (732 ـ 748 م) أثناء زيارته لدمشق ، وأمر بدفع رواتب وزراء الأرمن وفرسانهم المتوقفة قبل قدوم الملك آشوط بثلاث سنوات وقدرها مائة ألف درهم عن كلّ سنة ، ثمّ تابعت دمشق دفع هذا المبلغ بانتظام[15] .

ـ أيام الخلافة العبّاسية (750 ـ 1258 م) وأثناء حكم الخليفة هارون الرشيد (786 ـ 809 م) كانت العلاقات العربية ـ الأرمنية متينة أيضاً . فقد نصّب الخليفة

سنة 806 م الأمير الأرمني آشوط الرابع الباقرادوني (806 ـ 826 م) حاكماً على أرمينيا وقد حكمها مدة عشرين سنة ، وأخلص خلالها للخليفة الأمين (809 ـ 813 م) والمأمون (813 ـ 833 م)[16] .

ـ تمتّع الأرمن في عهد الخليفة المتوكّل (847 ـ 861 م) بمكانة مرموقة . فقد كان في الجيش المشترك الذي يدعم عرش الخلافة عدد كبير من الفرسان الأرمن ومقاتليهم الأشداء ، وكان الأمير الأرمني آشوط الخامس الباقرادوني من أقرب المقرّبين إلى الخليفة . إذ نصّبه سنة 861 م « أميراً للأمراء » (861 ـ 885 م) ، فخدم العرب خدمات جليلة . واستطاع الأمير آشوط أن يجتذب رعاياه والأمراء المحليين الخاضعين له ،فنصبه الخليفة المعتمد (870 ـ 892 م) سنة 885 م ملكاً على أرمينيا بلقب « الملك آشوط الأول الأكبر الباقرادوني » (885 ـ 890 م) . فكان يؤدي الجزية المفروضة عليه بانتظام مع أنّه كان حرّ التصرّف في إمارته ، كما كان الأمراء المحليون يتمتعون في عهده باستقلال يكاد يكون تاماً[17] .

ويروي الطبري عن الخليفة المتوكّل ما يلي : « **وذُكر عن سلمة بن سعيد النصرانيّ أنّ المتوكل رأى أشوط بن حمزة الأرمنيّ قبل قتله بأيام ، فتأفّف برؤيته ،وأمر باخراجه ، فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ،أليس قد كنت تُحبُّ خدمته ؟ قال : بلى ،ولكني رأيت في المنام منذ ليال كأني قد ركبته ، فالتفت إليّ وقد صار رأسه مثل رأس البغل ، فقال لي : الى كم تؤذينا ! إنما بقى من أجلك خمسة عشر سنة غير أيام . قال : فكان بعدد أيام خلافته** »[18] .

ـ وكان الأمير الأرمني أبو الحسن علي بن يحيى الأرمني يتولّى مركزاً قيادياً في دولة الخلافة العباسية أيام الخلفاء المعتصم (833 ـ 842 م) والواثق (842 ـ 847 م) والمتوكّل (847 ـ 861 م)[19] . إنّه تولّى ولاية مصر لمرتين (841 ـ 843 م) و (847 ـ 848 م)[20] ، وولاية الثغور الشامية ، ثمّ ولاية أرمينيا سنة 862 م . لقد

قال عنه أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي ما يلي : « هو علي بن يحيى الأمير أبو الحسن الأرمني، ولِي إمرة مصر . . . ووصل إلى الديار المصرية وأخذ في إصلاح أحوال الديار المصرية وإقماع المفسدين » .

« وكان عليّ بن يحيى هذا أميرا شجاعا مِقْداما جَوَادا مُمَدَّحا عارفا بالحروب والوقائع مُدَبِّرا سَيُوسا محمود السيرة في ولايته ،وأصله من الأرمن »[22] .

وعن موضع وفاته ذكر ياقوت الحموي في سياق حديثه عن نهر دجلة ما يلي :

« . . . ثم أول واد ينصبُّ إليه سوى السواقي والرواضع والأنهار التي ليست بعظيمة وادي صلْب ، وهو واد بين ميّافارقين وآمد ، قيل: إنه يخرج من هلورس ،وهلورس الموضع الذي استشهد فيه عليّ الأرمني »[23] .

لقد خدم ولدي الأمير أبو الحسن وهما القائد الحسين بن علي بن يحيى الأرمني والقائد محمد بن علي بن يحيى الأرمني دولة الخلافة العباسية أيضاً ، وذلك أيام الخليفتين العبّاسيين المستعين (862 ـ 866 م) والمعتمد (870 ـ 890 م) على التوالي[24] .

ـ ومن النساء الأرمنيات اللواتي دخلن التاريخ العربي تُذكر بدر الدّجى أو قطر الندى ،والدة الخليفة القائم بالله (1031 ـ 1075 م)[25] وزوجة الخليفة القادر (991 ـ 1031 م) . وقرّة العين ، أو أرجوان ، أم الخليفة العبّاسي المقتدى (1075 ـ 1094 م) ، وست الملك ،ابنة الوزير الأرمني بدر الدين الجماليّ وزوجة الخليفة الفاطمي المستعلي (1094 ـ 1102 م) . وابنة الوزير الأرمني طلائع بن رزيك وزوجة الخليفة الفاطمي العاضد (1160 ـ 1171 م) . وتقول بعض المصادر إنّ شجرة الدرّ كانت جارية أرمنية[26] .

ـ وفي المجالين الثقافي والعلمي . يُذكر أنّ العلاقات الثقافية المتبادلة بين الأرمن والعرب تاريخية وتعود إلى أيام الامبراطور الأرمني ديكران العظيم ، حين غدا الشعب الأرمني على تماس مباشر مع شعوب البلاد التي فتحها ، وأحد البراهين على ذلك وجود

الكثير من جذور كلمات عربية في اللغة الأرمنية قبل القرن الخامس للميلاد[27] . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أنّه كانت للفلسفتين العربية والأرمنية في العصور الوسطى سمات كثيرة مشتركة[28] . وأول ترجمة من اللغة العربية إلى الأرمنية تمّت سنة 1222 م وكانت كتاباً لتفسير الأحلام من تأليف السلطان خلف ، « **سلطان سيسيان وخرسان** »[29] .

وتوجد حالياً في دير « القديسة كاترينا » في شبه جزيرة سيناء مخطوطة عربية يُعتقد أنها كُتبت في السنوات 1328 ـ 1329 م وهي عبارة عن ترجمة لكتاب المؤرخ الأرمني آكاطنكيغوس نُقلت من اللغة اليونانية إلى العربية[30] . قام بتحقيقها الباحث الأرمني آرام دير غيڤونتيان ونُشرت سنة 1968 م في يريڤان[31] . ويُعد مؤلف العالم الأرمني بونياط سباستاتسي وهو بعنوان « كتاب الطب » والمترجم عن العربية سنة 1630 م دليلاً آخر عن العلاقات العربية ـ الأرمنية[32] .

ومن أبرز علماء القرن التاسع ومترجميهم قسطا بن لوقا البعلبكي (830 ـ 912 أو 923 م) الذي كان يتصف بالموسوعية العلمية : « **وقال بعض المؤرخين كان قسطا بن لوقا فاضلاً في العلوم مليح الطريقة في التصنيف اجتذبه البطريق سنحاريب إلى أرمينية وأقام بها وكان أبو الغطريف البطريق من أهل العلم والفضل فحمل إليه قسطا كتبا كثيرة جليلة في أصناف العلوم سوى ما حمله إلى غيره في أصناف شتى ومات هناك وبنى على قبره قبة إكراماً له كاكرام قبور الملوك أو رؤوساء الشرائع** »[33] .
و « **انّ للطب العربي علاقات وثيقة جداً بالطب الأرمني . فلما لاقت العلوم العربية نفوذاً وقبولاً حسناً في أوروبا تضاءل التأثير اليوناني في الطب في أرمينيا ، تاركاً المجال للأطباء العرب ليحضروا إلى أرمينيا ويعملوا في إماراتها المختلفة . وكثير منهم من اختص بدراسة الأعشاب الطبية في أرمينيا .**

« **كان الأطباء الأجانب كالعرب واليونان والسوريين يتمتعون بشهرة**

عظمية ،حتى أن بعضاً منهم خلفوا لنا كتباً طبية باللغة الأرمنية ، كالطبيب السوري فرج »[34] .

« إن العديد من الأدوية التي كانت تستعمل في أرمينيا انتقلت إلى الطب العربي والأوروبي ، كالارجيل الأرميني وبولوس أرمينا »[35] .

« كان في أرمينيا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر كثير من الشخصيات الطبية ،وردت اسماؤهم في المخطوطات التاريخية ، من بينهم أطباء عرب وسوريون كتبوا باللغة الأرمنية ـ أمثال : أبو سعيد وعيسى بن أبي سعيد »[36] .

ومن الأطباء الأرمن في العصور الوسطى والذي خلّد اسمه في تاريخ الطب العربي الطبيب الأرمني مخيتار هيراتسي ،وكان يتقن العربية واليونانية والفارسية والأرمنية ومؤلفه المشهور بعنوان « تفريج الحمّة » .

ـ وفي المجال التجاري ،كما ذكرنا فيما سبق ،كان التبادل السلعي بين أرمينيا وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر وغيرها من البلاد نشيطاً منذ أقدم العصور . ولقرون عدّة ، فقد كان التجّار الأرمن مشاركين في الحركة التجارية العالمية ووصلوا إلى الصين والهند وإلى البلدان الأوروبية وروسيا وسورية وفلسطين ومصر وأثيوبيا . لقد أظهرت التنقيبات التي تمّت مؤخراً في مدينة دُبَيْل الأرمنية أدوات زجاجية تعود إلى الفترة الممتدّة ما بين القرون التاسع والثاني عشر للميلاد ، ذات منشأ إيراني وبيزنطي ومصري ، فضلاً عن نقود عربية متنوّعة[37] .

وتجدر الإشارة : أنّه أثناء فترة الحكم العربي كانت أرمينيا تتفوق بجودة وكثرة منتجاتها الزراعية والحيوانية . « كانت أرمينية تعتبر من أخصب أملاك الخلافة »[38] . وكانت البسط الأرمنية على سبيل المثال تعدّ من أجود أنواع البسط في العالم ، « وكان الناس في القرن الرابع [للهجرة] يقدمون البسط الأرمنية على ما عداها من البسط ،وقد وصف أحد الخلفاء ، حتى في العصر الأموي ،وهو الوليد بن يزيد ، بأنه

كان جالساً في بيت منجّد بالأرمنيّ أرضه وحيطانه . وكانت الخيزران ،أم الهادي والرشيد ، تجلس في دارها على بساط أرمنيّ ،وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات هاشم على نمارق أرمنية . ولما مات الحسين بن أحمد المعروف بابن الجصاص ، وكان صاحب مال وجوهر وأثاث ، وكان أوسع أهل بغداد ثروة ،حوالي عام 300 هـ ـ 912 م ، كان من أهم ما ذكر في جملة ما احتوت عليه داره الفرش الأرمنية . وذكرت الفرش الأرمنية أيضاً من جملة ما كان في خزائن أم المقتدر ؛ ويحكى أن بعض عمال الخليفة أهدى إليه سبعة بسط أرمينية في جملة ما أهداه إليه .

« وكان يفضّل من البسط الفارسية ما هو أشبه بالأرمني في صناعته . وقد قال ماركو بولو (ج 1 ص 3) إن الفرش الأرمنية أجمل الفرش وأحسنها صناعة »[39] .

ويذكر أنّ نهر الفرات كان يعجّ بالسفن ، وكانت : « البضائع التي تنقل بكميات كبيرة على نهر الفرات هي خشب البناء من جبال أرمينية وزيت الزيتون من الشام »[40] .

يقول المؤرخ الفرنسي فوسيون « إن الحكم العربي على أرمينيا لم يكن ظاهرة انعزال بل على العكس من ذلك فقد كان فترة تبادل واسع لمختلف الحضارات والثقافات »[41] ، ويشهد المؤرخ الأرمني هرانتباصدرماجيانإنّ : « التأثير العربي على أرمينيا ساهم مساهمة ملموسة لتحتفظ أرمينيا بوجهها الحضاري المميّز بين الشرق والغرب »[42] .

ـ لقد كان موقف الشعب العربي مشرّفاً أيام النكبة الكبرى سنة 1915 م تجاه إخوانهم الأرمن ، أبناء الشعب المنكوب . وكذلك في السنوات التالية عندما بدأ الأرمن بتجميع الأيتام لم يكن باستطاعتهم أن ينجحوا في مهمّتهم لولا مساعدة ملك الحجاز الشريف حسين بن علي وابنه الأمير فيصل . لقد أصدر الملك العربي أوامره إلى الحكّام العرب بتسليم الأولاد والنساء الأرمنيات إلى الجهات المعنية ،ومدّ يد العون والمساعدة

إليهم . وفي هذا الصدد تغني الوثيقة التاريخية المشهورة التي أصدرها ، عن الكلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي ملك البلاد العربية وشريف مكة وأميرها إلى الأمراء الأجلاء الأماجد فيصل والأمير عبد العزيز الجربا ، السلام ورحمة الله وبركاته . أما بعد صدرت الأحرف من أم القرى بتاريخ 18 رجب 1336 هـ نحمد الله الذي لا إله إلاّ هو إليكم ثم نصلّي ونسلّم على نبيه وآله وصحبه وسلّم . ونخبركم بأنه والثناء له تبارك وتعالى بصحة وعافية ونعمة من فضله ضافية وافية أسبل الله علينا وإياكم سوابغ نعمه . وإن المرغوب بتحريره المحافظة على كل من تخلف بأطرافكم وجهاتكم وبين عشائركم من الطائفة اليعقوبية الأرمنية[43] تساعدوهم على كل أمورهم وتحافظون عليهم كما تحافظون على أنفسكم وأموالكم وأبنائكم وتسهّلون كل ما يحتاجون إليه في إقامتهم فإنهم أهل ذمة المسلمين والذي قال فيهم صلوات الله عليه وسلامه من شيمكم وهممكم والله يتولانا وإياكم بتوفيقه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ـ وبالمقابل اشترك الأرمن في سورية ولبنان جنباً إلى جنب مع إخوانهم العرب في تصدّيهم للإستعمار الأجنبي وفي الحروب التحررية ضد العدو الإسرائيلي[45] . فأثناء حرب الاستقلال من الاستعمار الفرنسي أشاد الرئيس شكري القوتلي بموقف الأرمن وقدرهم تقديراً كبيراً[46] ، بينما رحّب رئيس الوزراء اللبناني آنذاك رياض الصلح بالأرمن في لبنان ترحيباً حاراً[47] .

ومن الأفضل لنا ، أن نختتم هذا الفصل بأقوال الرئيسين السوري حافظ الأسد والأرمني ليفون دير بدروسيان .

ففي 25 نيسان 1992 م وبمناسبة زيارة الرئيس الأرمني الأول إلى سورية أعلن الرئيس حافظ الأسد ما يلي : « إنكم تحلّون في بلد فتح في ساعة المحنة والشدّة ذراعيه

للأرمن الذين لجؤوا إليه ، فوجدوا فيه الأمن والاستقرار ،وعاشوا في راحة وطمأنينة ،وأصبحوا جزءاً من شعبه ،لهم ما لسائر أبناء البلد من حقوق وواجبات المواطنين . فاندمجوا في حياة سورية التي وفّرت لهم فرص الحياة الكريمة والحرية الكاملة للحفاظ على لغتهم وتراثهم الروحي والقومي ،فبادلوها المحبة وعاشوا مواطنين شرفاء وساهموا بجهودهم ومهاراتهم في إغناء حياة البلاد ،واكتسبوا بفضل إخلاصهم للوطن السوري تقدير واحترام هذا الوطن حكومة وشعباً .

« والعلاقات بين الشعب العربي السوري والشعب الأرمني ، بل بين الأمة العربية والشعب الأرمني لها جذور ضاربة في التاريخ وليست وليدة الماضي القريب فقط . وثمّة تبادل حضاري بين العرب والأرمن يمتدّ على قرون عديدة . . . »[48] .

وكان رد الرئيس الأرمني ما يلي : « إنّ الصداقة بين الشعب الأرمني والعربي قديمة قِدم التاريخ نفسه . فقد تأصلت الروابط الأصيلة بين الأرمن والعرب في مطلع العصر الوسيط ، وواصلت تواصلها الحضاري إلى اليوم . . . »[49] .

الحواشي

1) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية ، (بالأرمنية) ، 1 : 428 .

2) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 294 ـ 295 .

3) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، 2 : 3 .

4) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 1 : 12 .

5) هاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 267 .

6) تعني القدس .

7) الطبري ، تاريخ الطبري ، 3 : 609 .

8) المصدر نفسه ، 4 : 156 ـ 157 .

9) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 200 .

10) المستشار فؤاد حسن حافظ ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، ص 94 ، و(بيدروس) هـ . هوفهانيسيان و (آشود) ك . أبراهاميان ، مختارات من تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور وحتى منتصف القرن التاسع (بالأرمنية) ، 1 : 692 ، و(هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 14 .

11) مروان المدوّر ، الأرمن عبر التاريخ ، ص ص 479 ـ 480 .

12) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 1 : 12 .

13)البطريرك ماغاكيا أورمانيان ، كنيسة الأرمن (بالأرمنية) ، ص 40 .
14) كيراكوس كانتساكتسي ، تاريخ الأرمن (بالأرمنية) ، ص ص 59 ـ 60 ، ومروان المدوّر ، الأرمن عبر التاريخ ، ص ص 480 ـ 481 ، وأديب السيد ، أرمينية في التاريخ العربي ، ص ص 89 ـ 90 ، وأرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 215 .
15) غيفونت ، تاريخ (بالأرمنية) ، ص 95 .
16) المستشار فؤاد حسن حافظ ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، ص ص 120 ـ 121 .
17) دائرة المعارف الإسلامية ، النسخة العربية ، 3 : 43 ، والمستشار فؤاد حسن حافظ ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، ص 123 ، وتوما آردزروني وآنانون ، تاريخ آل آردزروني (بالأرمنية) ، ص 213 .
18) الطبري ، تاريخ الطبري ، 9 : 229 .
19) المصدر نفسه ، 9 : 191 ، والمقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 191 .
20) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 312 .
21) ابن تغري بردى الأتابكي ، النجوم الزاهرة ، 2 : 245 ـ 255 .
22) المصدر نفسه ، 2 : 278 ـ 279 .
23) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2 : 441 ـ 1 .
24) المستشار فؤاد حسن حافظ ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، ص 104 .
25) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 1 : 189 .
26) المستشار فؤاد حسن حافظ ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، ص 156 وستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ص 237 .
27) سيتا برصوميان ـ دادويان ، يوحنا الأرزنجاني (بالأرمنية) ، ص 31 .
28) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 671 ـ 1 .
29) دراسات اشتراكية ، العدد التاسع (96) ، أيلول 1989م، ص 137

30) سيتا برصوميان ـ دادويان ، يوحنا الأرزنجاني (بالأرمنية) ، ص 29 .
31) انظر آرام دير غيفونيتان ، الترجمة العربية الجديدة لكتاب آكاطنكيغوس (بالأرمنية) ، يريڤان ، 1968 .
32) بونياط سباستاتسي ، كتاب الطب (بالأرمنية) ، ص 12 .
33) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة د . كمال اليازجي ، 2 : 177 ، وابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ص 329 ـ 330 ، والقفطي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص 173 ، وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 149 .
34) (ليڤون) آ . هوفهانيسيان ، تاريخ الطب الأرمني منذ العصور القديمة وحتى القرن التاسع عشر ، ترجمة الأستاذ نزار خليلي ، ص ص 17 ـ 18 .
35) المصدر نفسه ، ص ص 7 ـ 8 .
36) المصدر نفسه ، ص 25 .
37) تاريخ الشعب الأرمني (بالأرمنية) ، 1951 ، 1 : 174 .
38) دائرة المعارف الإسلامية ، النسخة العربية ، 2 : 58 ـ 2 .
39) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، 2 : 353 ـ 354 .
40) المصدر نفسه ، 2 : 389 .
41) هرانت باصدرماجيان، تاريخ الأرمن (بالفرنسية) ، ترجمه إلى الأرمنية (موشيغ) إشخان ، 1 : 193 .
42) المصدر نفسه .
43) ليس الأرمن من طائفة اليعاقبة ولربما ورد في النص نسبة لدير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس في القدس .
44) عثمان الترك ، صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية ، ص 109 .
45) انظر (نيكولا) هـ . هوفهانيسيان و هـ . س . سركيسيان ، سورية في نضالها من أجل الاستقلال (1917 ـ 1946 م) ، (بالأرمنية) ، يريفان ـ 1975 م ، و (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، مشاركة الأرمن في الحركات

التحررية ـ الديمقراطية في سورية ولبنان (بالأرمنية) ، يريفان ـ 1968 م .
46) جريدة « صوت الشعب » (بالأرمنية) ، 11 كانون الأول 1943 .
47) المصدر نفسه ، 1 كانون الثاني 1943 .
48) صحيفة « تشرين » ، 26 نيسان 1992 .
49) المصدر نفسه .

الباب الثاني
الجاليات الأرمنية في البلاد العربية

الفصل الأول - سورية
الفصل الثاني - لبنان
الفصل الثالث - العراق
الفصل الرابع - فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية
الفصل الخامس - مصر
الفصل السادس - دول المغرب العربي والسودان
الفصل السابع - الكويت والمملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي

الفصل الأول

سورية

منذ أزمنة موغلة في القدم كان نهرا الفرات والدجلة، بمثابة الشريانين اللذين ربطا أرمينيا بالبلاد الواقعة في جنوبها . وسورية التاريخية التي كانت تمتدّ من البحر الأبيض المتوسط إلى الصحراء السورية ومن سلسلة جبال آمانوس إلى حدود مصر ، كانت تجاور أرمينيا من الناحية الشمالية الشرقية ، فضلاً عن أنّ طرق الشرق القديمة التي كانت تربط سورية بالبحر الأسود كانت تمر عبر الهضبة الأرمنية . فقد استوطن الأرمن في مختلف المراحل التاريخية سورية وساحل المتوسط الشرقي وبلاد ما بين النهرين . وتُعدّ حواشي المخطوطات الأرمنية التي نُسخت في أنطاكية والرّها وبغداد وحلب من أهم المصادر التي تتكلّم عن الجاليات الأرمنية في هذه البلاد فضلاً عن المصادر السريانية والعربية[1]والوثائق والمراسيم الحكومية .

وكانت العلاقات التجارية القائمة بين المدن السورية وبلاد ما بين النهرين ومدن أرمينيا وإقليم دزوبك الأرمني نشيطة في العصر الهلنتسي .

وكما ذكرنا فيما سبق ، تتفق المصادر الأرمنية والأجنبية على أنّه في القرن الأول قبل الميلاد امتدّت امبراطورية الملك الأرمني ديكران العظيم جنوباً إلى حدود فلسطين (84 ـ 64 ق .م) ، وغدت أنطاكية إحدى عواصم الامبراطور الأرمني[2]التي حكمها أحد قواده المدعو ماكاتاد نائباً عنه[3] . ومن الجدير بالذكر أنّ أرمينيا وجميع البلاد الأخرى الواقعة في هذه الامبراطورية الواسعة الممتدّة من بحر قزوين إلى البحر الأسود ومن

حدود بلاد الفرس إلى البحر الأبيض المتوسط تمتّعت بسنوات رخاء وسلم وأمان ، وشهدت تطوراً اقتصادياً كبيراً ، وكانت شعوب هذه المناطق على تماس مباشر مع بعضها[4] .

ثمّ ، ولمّا كانت العاصمة الجديدة للامبراطورية الأرمنية«ديكراناكيرت (أقيمت سنة 77 ق . م) مركزاً ثقافياً وتجارياً كبيراً وهاماً ، فإنّها ربطت أرمينيا بسورية وبلاد ما بين النهرين عن طريق مدينة الّرها ونصيبين ومدن أخرى ، حتى غدت أرمينيا تتحكم في الطرق التجارية العالمية في الشرق . ومن المرجّح أنّ الامبراطور الأرمني شجّع هجرة أبناء شعبه إلى البلاد التي فتحها لغايات تجارية واقتصادية ، فاتجه الأرمن إلى الغرب والجنوب ، وتذكر بعض المصادر الأرمنية فقط هجرة جماعية للأرمن وقعت في هذه الفترة استقرّت في شمال سورية في منطقة جبل موسى[5] .

وبالمقابل ساق ديكران العظيم وخَلَفه آردافست الثاني (55 ـ 34 ق . م) ألوف المهاجرين إلى أرمينيا أثناء حملاتهم العسكرية المتكررة كما ذكرنا فيما سبق .

كما تذكر هذه المصادر أنّ العلاقات الاقتصادية ـ الثقافية المميّزة القائمة بين أرمينيا وسورية استمرّت بعد انسحاب الامبراطور الأرمني من هذه المناطق[6] .

في سنة 64 ق . م وحتى القرن الرابع الميلادي ، غدت سورية إحدى أقاليم الامبراطورية الرومانية فكانت العلاقات التجارية المتبادلة بين سورية وأرمينيا نشيطة[7] . ثمّ أصبحت سورية إحدى أقاليم الامبراطورية البيزنطية حتى القرن السابع الميلادي . ففي العهود الأولى لإنتشار المسيحية كانت مدينتا أنطاكية والّرها مركزين هامين لنشر التعاليم والثقافة المسيحية ، وكان كثير من الطلاب الأرمن يتلقّون تعليمهم في مدارسهما وأديرتهما ، مما يؤدي إلى الاعتقاد بأنّ الأرمن كانوا يعرفون هذه المناطق جيداً .

ومن ناحية أخرى ، يقول الباحث الأرمني ليو : إنّه في القرن السادس للميلاد

كانت مدينة دُبَيْل الأرمنية ، مركزاً ضخماً للتجارة العالمية ، وكان الثاني من طرقها التجارية الرئيسة الخمسة يربط أرمينيا مع سورية وبلاد ما بين النهرين وفلسطين ومصر[8] .

المعلومات التاريخية الجازمة ، عن أوّل هجرة أرمنية إلى سورية تعود إلى القرن السادس للميلاد ، بعد قهر الملك الفارسي خسروف الأول (كِسرى أنوشروان) (531 ـ 579 م) بيزنطة سنة 539 م ، واستيلائه على أنطاكية والّرها[9] . وقد نقل إلى هاتين المدينتين عدداً كبيراً من المهاجرين ، كان الأرمن يشكّلون أغلبية ساحقة منهم ، وعلى هذا النحو فقد أرسل كاثوليكوس الأرمن كريستابور الأول ديراريتشي (539 ـ 545 م) كلمة إلى الأرمن هناك دعاهم فيها إلى التمسّك بالمذهب الأرثوذكسي وعدم إعتناق النسطورية[10] .

في سنة 638 م ،فتح العرب سورية ، وقد وصلت إلى ذروة مجدها أيام الخلافة الأمويّة (661 ـ 750 م) . (ذكرنا في الفصل السابق بعض الأمثلة التي كانت تبرز متانة العلاقات العربية ـ الأرمنية في تلك الفترة التاريخية) . كان الأمراء والجثالقة الأرمن في زيارات دائمة إلى دمشق عاصمة الأمويين ، وسجّل التاريخ الاستقبال الودّي الذي كانوا يلاقونه هناك .

ومن الوثائق التاريخية الهامة التي تثبت هجرة الأرمن إلى سورية في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 717 ـ 728 م ، إحدى كتابات متروبوليت آمد (ديار بكر) مار ثيونسيوس يعقوب بار صليبي (المتوفى سنة 1173 م) الذي كان من أعلام الكنيسة السريانية ، ويذكر فيها : « **نريد أن نُعلم لمن يريد أن يعلم أنّ الأرمن دخلوا إلى سورية واستولوا على كنائسنا وأديرتنا وقرانا ، وذلك في زمن البطريرك مار آتاناس الثالث الذي دخل الكهنوت عند الأرمن مع الكاثوليكوس هوفهانيس[11] في مدينة مانزكرت سنة 726 للمسيح . ولمّا كان الفرس قد استولوا على بلاد الأرمن ، فإنّهم**

بدؤوا بالنزوح إلى سورية . عندما رأى البطريرك آتاناس أنّ الأرمن القادمين من أرمينيا كانوا يعتنقون المذهب الخلقدوني لعدم وجود أساقفة يقومون برعايتهم ، كتب للكاثوليكوس هوفهانيس الذي أرسل ثلاث أساقفة إلى سورية لرعاية الأرمن المهاجرين . ووهب البطريرك آتاناس ديراً لكاثوليكوس الأرمن يقع على الحدود السورية ـ الأرمنية ، وكان الطلاب الأرمن والسريان يتلقّون تعليمهم هناك ، ويتقنون اللغات فترجموا كتب الكنيسة السريانية إلى الأرمنية »[12] .

وفي أيام الخلافة العبّاسية (750 ـ 1258 م) هاجر الأرمن إلى سورية وبلاد ما بين النهرين هرباً من جور السياسة البيزنطية واضطهادات السلاجقة والتتار .

ويمكن القول : بشكل عام إنّه لمّا كانت مدن سورية وبلاد ما بين النهرين مراكز مزدهرة للتجارة العالمية أثناء الحكم العربي وترتبط مع مدن أرمينيا بطرق تجارية عدّة ، كانت العلاقات التجارية القائمة بين الشعبين الأرمني والعربي متطوّرة ، واستمرّت بعد سقوط الخلافة العربية أيضاً . فازداد عدد الأرمن في سورية . ففي القرن العاشر ، كانت الحاجة ماسّة لإقامة أبرشية منظّمة مع أسقفها[13] .

ويُذكر أنّ الهجرة الأرمنية الثالثة إلى سورية ، وقعت في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 973 ـ 992 م ، وانتشر الأرمن باتجاه الغرب ، فاضطر كاثوليكوس الأرمن خاتشيك الأول آرشاروني (973 ـ 992 م) إلى إرسال أساقفة إلى سورية[14] . ويذكر المصدر نفسه أيضاً أنّ الملك الأرمني آشوط الأوّل الأكبر الباقرادوني (885 ـ 890 م) رفض اقتراح الامبراطور البيزنطي باسيل الأوّل (876 ـ 886 م) بالتحالف مع بيزنطة ضد سورية[15] .

ويُعتقد أنّ الأرمن في هذه المرحلة التاريخية استقرّوا في : آرامو والغنيمية واليعقوبية واللاذقية وكسب والسويدية (جبل موسى) وقراها . علماً أنّه أثناء احتلال الفاطميين لسورية سنة 969 م ، اتّجهت موجاتٌ من الهجرات الأرمنية من سورية إلى

مصر ، لِما كانت تتمتع به الدولة الفاطمية آنذاك من رخاء وأمان . وازدادت هذه الهجرات في النصف الثاني من القرن الحادي عشر مع زحف السلاجقة الأتراك .

في القرن الحادي عشر سقطت المملكة الأرمنية الباقرادونية (885 ـ 1071 م) ، أمام ضربات السلاجقة الأتراك (1064 ـ 1220 م) ، ثمّ تبعتها الموجات المغولية التتارية (1220 ـ 1468 م) ، فهاجر كثير من الأرمن برفقة الطبقة الحاكمة إلى سورية وبلاد أخرى هرباً من الظلم والاضطهاد . فلم يشغلوا الأقاليم الشرقية للامبراطورية البيزنطية فحسب بل أصبحوا يؤلفون الأغلبية العظمى من سكان وادي الفرات الشمالي ، وسكان شمالي بلاد ما بين النهرين والمناطق الواقعة بين الّرها وسورية الشمالية وأنطاكية إلى فلسطين . وقامت في شمال سورية وكيليكيا وفي شمالي بلاد ما بين النهرين إمارات أرمنيّة صغيرة نذكر منها على سبيل المثال « إمارة مرعش » و« إمارة ملاطية » و« إمارة كيسون » و« إمارة الّرها » و« إمارة زوفك » و« إمارة بيري » و« الإمارة الروبينية » (1080 ـ 1198 م) في كيليكيا[16] . لقد ناضلت هذه الإمارات ضد السلاجقة والصليبيين على حد سواء ، وتمكّنت الإمارة الروبينية من البقاء والإرتقاء والإتساع حتى شكّلت المملكة الأرمنية في كيليكيا (1198 ـ 1375 م) .

ومن الجدير بالذكر أنّ العلاقات المتبادلة بين المملكة الأرمنية في كيليكيا والدولة الأتابكية الزنكية في حلب (1127 ـ 1174 م) كانت جيدة لا سيما في المجال التجاري . فقد استقرّ عدد كبير من التجار الأرمن ووجهائهم في حلب .

وحين حصلت مجاعات كبيرة في آسيا الصغرى في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1070 ـ 1080 م ، استمرّت الهجرات الأرمنية إلى الّرها وشمالي سورية ومناطق آخرى . لقد وجّه كاثوليكوس الأرمن كريكور الثاني ڤكاياسير (1066 ـ 1105 م) سنة 1081 م كلمة إلى الرعية الأرمنية في الّرها بمناسبة عيد الفصح ، وفي

سنة 1105 م زار كاثوليكوس الأرمن ، بارسيغ الأول آنتسي (1105 ـ 1113 م) مدينة الّرها برفقة وفد رسمي واستُقبل من قبل الوالي . وإن دلّ كل هذا على شيء فإنّما يدلّ على كثرة الأرمن في سورية ، ولا سيما في المناطق الشمالية الغربية منها[17] .

من ناحية أخرى ، ازدهرت تجارة القوافل في الفترة الممتدّة ما بين القرنين ، الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ازدهاراً كبيراً ، وشَهدت المدن الساحلية السورية بعامة تطوراً اقتصادياً هاماً[18] ، وغدت أنطاكية بدورها مركزاً تجارياً كبيراً ، فضلاً عن كونها مركزاً ثقافياً ودينياً ضخماً .ويشهد لوران أنّ أغلب سكان أنطاكية كانوا من الأرمن واليونانيين[19] ، وأنّ كاثوليكوس الأرمن خاتشيك الأول آرشاروني (973 ـ 992 م) قد أقام هناك كرسياً أسقفياً ، ظل يواصل مهماته إلى منتصف القرن الثالث عشر ، وأنّ بعض ولاة أنطاكية كانوا من الأرمن ، ومنهم : قُست خجادور آنتسي (1068 ـ 1071 م) وڤاساك بهادڤوني (1071 ـ 1078 م)[20] .

تذكر المصادر التاريخية : إنّه فضلاً عن أنطاكية ، كانت توجد جاليات أرمنية صغيرة في كل من اسكندرونة وبيلان وحمص ودمشق وبيروت وطرابلس وصور وصيدا أيضاً . ففي سنة 1179 م عندما عقد كاثوليكوس الأرمن كريكور الرابع دغى (1173 ـ 1193 م) مجمعاً دينياً في مدينة روم قلعة ، كان من بين الأساقفة المشتركين ممثلون عن الجالية الأرمنية في حمص واللاذقية[21] .

وفي القرن الثاني عشر ، كان للأرمن دور بارز في حياة سورية التجارية ،وسمح لهم بحرية الانتقال إلى مدينة صور وغيرها من المناطق . ويذهب بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنّ اللّغتين الأرمنية والفارسية ، كانتا متداولتين عالمياً في تلك الفترة . كما احتلّ بعضهم مراكز مرموقة في الدولة ، نذكر منهم شمس الدين لؤلؤ الحاجب الأرمني ، « . . . **وفي سنة 634[1237 م] خرج الملك العزيز إلى حارم للصيد ورمى البندقي واغتسل بماء بارد فحم ودخل حلب في ربيع الأول من هذه السنة وكان**

عمره ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وكان حسن السيرة في الرعية وتقرر في الملك بعد ولده الملك الناصر يوسف وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبيره وبتدبير الدولة شمس الدين لؤلؤ الحاجب الأرمني »[22] .

في القرن الثالث عشر ومع زوال مكانة أنطاكية التاريخية ، غدت مدينة حلب المركز الرئيس للجالية الأرمنية في سورية .

وتجدر الإشارة إلى أنّ سورية أو بعض أجزائها تأرجحت بدءاً من القرن الحادي عشر ، ما بين حكم السلاجقة الأتراك (1078 ـ 1193 م) ثمّ الأيوبيين (1193 ـ 1260 م) فالمغول والتتار والمماليك (1260 ـ 1517 م) ثمّ العثمانيين (1517 ـ 1918 م)مع فترة حكم محمد علي الممتدّة ما بين السنوات 1832 ـ 1840 م ، ثمّ الإنتداب الفرنسي إلى أن نالت الاستقلال في 17 نيسان سنة 1946 م .

* * *

لا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد الأرمن وأماكن انتشارهم في سورية ،وتذكر بعض المصادر الأرمنية أنّ عدد الأرمن في سورية (ولاية حلب) ولبنان في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1870 ـ 1890 م كان يبلغ نحو 000 80 ـ 000 85 أرمني[23] .

زحفت الهجرات الأرمنية الكبيرة إلى سورية ،عقب الإضطهادات العثمانية للأرمن في تركية في سنة 1876 م وسنة 1895 م وسنة 1909 م ثمّ بعد وقوع المأساة الكبرى سنة 1915 م ونكبة كيليكيا سنة 1922 م . ووفق بعض المصادر الأرمنية فقد بلغ عدد الأرمن في سورية ولبنان في تلك الفترة 000 125 أرمني على نحو تقريبي ،كان 000 75 منهم يتمركزون في مدينة حلب وضواحيها[24] .

وكان عدد الأرمن في سورية سنة 1930 م يبلغ نحو 000 40 أرمني[25] .
ولا بدّ من ذكر الهجرة الأرمنية الأخيرة التي وقعت أثناء سلخ لواء اسكندرونة بعد

توقيع المعاهدة ، الفرنسية ـ التركية المشؤومة ، في 23 حزيران سنة 1939 م[26] .

وبالمقابل في 23 حزيران سنة 1946 م هاجر 000 40 أرمني من سورية ولبنان إلى أرمينيا ،وتبعت هذه الهجرة ، هجرات أخرى لكنّها كانت على نطاق محدود .

ويقدّر جميع السكان دور الأرمن البنّاء في المهجر . ففي هذا الصدد يشهد الشيخ كامل الغزي على نشاط الأرمن الموجودين في سورية بما يلي : « نورد في هذا الاستطراد بعض ما وقفنا عليه من الأحوال الروحية والتقاليد القومية التي سارت على سننها الهيأة الاجتماعية من الطائفة الأرمنية التي مضى على مجاورتنا إياها بضع سنوات غبّ ان هاجرت إلى حلب بعد الحرب العالمية ،وقد أصبح فيها منهم العدد الكبير الذي يقدر بستين ألف نسمة فنقول :

« الأرمن مهما اختلفت أجناسهم وتباينت أقطارهم أمة نشيطة جدية عاملة . . . ، وهي ثابتة في مقاصدها قوية الارادة في منازعها تمارس من صعاب الأمور ما يعجز عنه غيرها من أمم الشرق لا تعتمد إلا على نفسها ولا يعوقها عائق في سبيل غاية تطلبها . ترى كل فرد من أفرادها ذكراً كان أم أنثى كبيراً كان أم صغيراً ـ منكبا على عمله مهرولاً إلى حانوته مبكراً لمزاولة مهنته التي ارتضتها له قوة جسمه وسعة مداركه فمنهم التجار بأنواع البضائع الشرقية والغربية ومنهم الصيدلي والطبيب والمحامي والمهندس والصراف والخادم والكاتب والميكانيكي والخياط والحائك والنجار والحداد والحجار والمعمار والطاهي واللحام وصاحب المقهى والنزل وبائع الخضر والبقول وغير ذلك من المهن التي لا تخلو واحدة منها شريفة كانت أم حطيطة إلا والمشتغلون بها من الأرمن عدد كبير يزاولونها باعتناء وإتقان لا مزيد عليهما . . . .

« كل فرد من أمة الأرمن ذكراً كان أم أنثى لا يرضى أن يكون عاطلاً عن العمل متقاعداً عن الاحتراف ولذا لا ترى منهم متسولاً ولا متشرداً ولا من هو عيلة على غيره سوى من أعجزته العاهات والزمانات عن النهوض بعمل ما سوى الأيتام الذي ليس

لهم مال ولا أولياء ينفقون عليهم فإن هؤلاء الجماعة قد تكفلت بإعاشتهم الجمعيات الخيرية الأرمنية المؤلفة في حلب وغيرها من بلاد أميركا وأوروبا ففتحت لهم دور العجزة والمياتم والمدارس وأغنتهم عن الحاجة إلى غيبهم وعنت بأمورهم أحسن عناية »[27] .

أجل ،فالأرمن بادلوا إخوانهم العرب الحب والمحبّة والاحترام ومزجوا عرق جبينهم في تعمير وتطوير هذه البلاد المضيافة ، وناضلوا في سبيل حريتها واستقلالها . وكان رجال الدين الأرمن بدورهم يحثون رعاياهم على تلبية نداء الواجب . ففي 30 أيار سنة 1945 م زار المطران يبريم دوهموني مطران الأرمن الأرثوذكس لأبرشية دمشق وتوابعها وزير الداخلية السوري ،وبحضور خمسة من أعضاء البرلمان أعلن أنّه مستعدّ شخصياً مع رعيته للتضحية من أجل حرية الوطن[28] . وأصدر الأسقف زاريه باياسليان ، مطران الأرمن الأرثوذكس لأبرشية حلب وتوابعها ، نداءً إلى المقاتلين الأرمن في الجيش الفرنسي كي ينضمّوا وبمعداتهم إلى الجيش السوري ، فلبّى الجنود الأرمن نداء الواجب[29] ، ومنحته الحكومة وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى بموجب المرسوم رقم 381 تاريخ 2 نيسان 1946 م ،تقديراً لموقفه النبيل تجاه الوطن السوري . ونذكر هنا مقتطفات من الكلمة التاريخية التي ألقاها محافظ حلب آنذاك الأمير مصطفى الشهابي بمناسبة تقليده للوسام : **« عندما بدأ الأرمن يهاجرون إلى ديار الشام ،عقب الحرب التي امتدت من سنة 1914 م إلى سنة 1918 كان أبناء هذه الديار تحت تأثير عاملين مختلفين : الأول العطف على هذا الشعب الباسل النشيط الذي نكلت به سياسة الاتحاديين الغاشمة في الدولة العثمانية كما نكلت بنا على السواء . والثاني الخوف من أن يكون له في بلادنا أطماع سياسية أو يكون في وجوده بين ظهرانينا مزاحمة اقتصادية تمس سواد الشعب بابرارها .**

« وها قد مضى نحو ربع قرن على هذه الهجرة فإذا بظنوني الماضية تتحقق ،وإذا

بهم يعدون الشام وطناً ثانياً لهم ،فيرفضون مطالب الأجانب في تأليبهم علينا ، ويشاركوننا في السراء والضراء ، يفرحون لأفراحنا ويحزنون لأحزاننا ،ويعرضون خدمتهم علينا في كل ملمّة ، شأنهم في ذلك شأن المواطن المخلص الذي لا يفصله عن أخيه أي فاصل .

« ولئن حمدنا مسلكهم السياسي الذي لا غبار عليه فلم ندمم أيضاً تأثيرهم الاقتصادي ،فقد جاء على ما توقعت من حيث إيجاد صناعات جديدة ورخص في الأيدي العاملة ورخاء لا ينكر .

« وبعد ، إن لهذه الطائفة الكريمة قادة كراماً لم يخلفوا ظننا بهم في وقت من الاوقات . ويسعدني أن أرى على رأسها اليوم راعياً صالحاً تقياً أديباً هو سيادة المطران زارح وارتا بيت فهو ما انفك منذ مجيئه إلى حلب يبث روح المحبّة والتآخي وإطاعة القانون والابتعاد عن الشقاق والعمل على ما فيه الخير لوطننا السوري المحبوب

« ويسرني . . . أن أعلق على صدره وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى الذي تفضل فخامة الرئيس الزعيم بمنحه لسيادته تقديراً لخدماته الجلى وأتمنى لسيادته الصحة والخير العميم . . . »[30]

* * *

ـ الجالية الأرمنية في حلب . تعدّ الجالية الأرمنية في حلب[31]من أهم جاليات المهجر الأرمني .

من المرجّح أنّ الأرمن كانوا يعرفون مدينة حلب جيداً منذ القرن السادس للميلاد ، من خلال مرور قوافل الحجاج الأرمن ـ القادمين من أرمينيا وكيليكيا منها في طريقهم لزيارة الأماكن المقدّسة .

ويذكر الباحث الأرمني المعاصر ، أرشاك ألبوياجيان : أنّ الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (996 ـ 2021 م) عيّن سنة 1016 م حاكماً أرمنياً على قلعة حلب

كان يُدعى عزيز الدولة ومنحه لقب « أمير الأمراء » . لقد قام عزيز الدولة بأعمال عمرانية كبيرة في حلب ، ورمّم تحصيناتها . ثمّ تحالف مع أمير أنطاكية اليوناني وأعلن استقلاله عن الخليفة وامتنع عن دفع الجزية له وصكّ نقوداً باسمه . إلاّ أنّه تصالح مع الخليفة الظاهر (1021 ـ 1036 م) فعيّنه هذا الأخير ، والياً على مدينة حلب بينما غدا حاكم القلعة شخص يدعى بدر . ويُعتقد أنّ بدراً قد قضى على عزيز الدولة سنة 1023 م بعد دسيسة كان قد أوقعه فيها[32] .

وورد في مؤلف آخر ، للمؤلف نفسه أنّه : عندما احتلّ هولاكو خان (1256 ـ 1265 م) مع حليفه الملك الأرمني هيثوم الأول (1226 ـ 1269 م) حلب ودمشق والقدس في منتصف القرن الثالث عشر ، تنازل عن البلاد التي يحكمها سلطان حلب لهيثوم الأول ، ولصهره أمير أنطاكية بوهيمند السادس (1252 ـ 1268 م) . وعلى الأرجح فأنّ الأرمن قدموا إلى حلب في هذه الفترة واستقرّوا فيها[33] .

لقد ورد ذكر الأرمن في الكتابة الجدارية التي تتصدّر مدخل قلعة حلب ، سجّلها سنة 1291 م الأمير سنقر تخليداً لذكرى قهر السلطان المملوكي الأشرف قلاوون (1290 ـ 1293 م) الجيوش التتارية واستيلاءه على مدينة حلب وترميمه لقلعتها[34] هذا نصها : **« بسمه أمر بعمارتها بعد دثورها مولانا السلطان الأعظم الملك الأشرف العالم العادل الغازي [المجا]هـ [د] المرابـ [ط] المثاغر المؤيد المظفر المنصور صلاح الدنيا والدين أوحد الملوك ناصر الاسلام والمسلمين عماد الدولة ركن الملّة مجير الأمة ظهير الخلافة نصير الامامة سيّد الملوك والسلاطين سلطان جيوش الموحّدين ناصر الحقّ بالبراهين محيى العدل في العالمين [مبيد] الخوارج والمتمرّدين قاتل الكفرة والملحدين قاهر الطغاة والمارقين قامع عبدة الصلبان اسكندر الزمان فاتح الأمصار هازم جيوش الفرنج والأرمن والتتار هادم عكّا والبلاد الساحلية محيي الدولة الشريفة العبّاسية ناصر**

الملّة المحمّدية خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون أعزّ الله أنصاره وذلك في سنة أحد [وتسعين] وستمائة بالاشارة العالية المولوية الأميريّة الكبيرة الشمسية قراسنقر الجوكندار المنصوري الأشرفي كافل المملكة الحلبيّة أعزّ الله أنصاره »[35] .

تؤكد حاشية مخطوطة أرمنية ، كُتبت في حلب سنة 1329 م من قبل الأب استيبان كراكتسي ، ثمّ مذكّرة مخطوطة أرمنية ثانية كُتبت في حلب أيضاً سنة 1355 م من قبل الأب هوفهانيس ،وجود جالية أرمنية في حلب في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، غدت في النصف الثاني منه جالية منظّمة يرعاها المطران هوفاكيم الذي اشترك سنة 1439 م في مجمع ديني عُقد في فلورانسا . وكانت كاتدرائية الأربعين شهيداً للأرمن الأرثوذكس الكائنة في حيّ الصليبة ـ آنذاك مصلّى صغيراً ـ وكنيسة السيدة العذراء للأرمن الأرثوذكس بجانبها (حالياً متحف « زاريهيان »)[36] تقومان بسدّ إحتياجات المؤمنين الأرمن الروحية .

تشهد المصادر الأرمنية بأنّ الأرمن في حلب في هذه الفترة كانوا يتمتعون بأحوال جيدة ، ويُذكر من أبرز وجهائهم « الريّس عيسى » الذي وسّع سنة 1499 ـ 1500 م على نفقته الخاصة مصلّى الأربعين شهيداً التي غدت كنيسة جيلة ، كما رمّم كنيسة الموارنة « مار الياس » ،وكنيسة الروم « مار جرجس » الواقعتين بالقرب من كنيسة الأرمن . وعمّر في باحة كنيسة الأربعين شهيداً مبنى مطرانية الأرمن الأرثوذكس ،وغرف صغيرة لإقامة الرهبان والحجّاج الأرمن فيها . وقد ظلّ هذا المبنى مساهماً في خدمة مقرّ مطرانية الأرمن الأرثوذكس، حتى تمّ تشييد مبنى المطرانية الجديدة سنة 1970 م في الجهة المقابلة للكاتدرائية ،ولا يزال البناء القديم قيد الاستعمال حتى اليوم .

في مطلع القرن السادس عشر للميلاد وعلى مدى قرنين من الزمن غدت مدينة حلب مركزاً تجارياً كبيراً نتيجة إستيلاء العثمانيين على القسطنطينية سنة 1453 م وعلى

طرابزون سنة 1461 م وعلى غرمانا سنة 1471 م ،فاحتلّ الطريق التجاري الجديد ، وهو طريق تبريز ـ حلب الذي كان يمرّ بمدن أرمينيا : بركري وآرجيش وآردزني وخلاط وباغيش ، مكان الطريق التجاري البرّي : بحر قزوين ـ آستراخان ـ آزوف . ولم يكن الطريق التجاري : تبريز ـ أرضروم ـ سباستيا ـ حلب أقلّ أهمية من سابقه . وكانت حلب تتصل بالبحر الأبيض المتوسط بطريقين هما : طريق حلب ـ حماة ـ حمص ـ دمشق ـ طرابلس وطريق حلب ـ أنطاكية ـ بيلان ـ اسكندرونة . فازدهرت الجاليات الأرمنية الموجودة في هذه المدن والمناطق ، وبدأ التجّار الأرمن يقدمون إلى مدينة حلب من مختلف أنحاء أرمينيا . لقد ظهر من كتابات (شواهد) أضرحة مقبرة الأرمن الأرثوذكس السابقة بحلب أنّ الأرمن في تلك الفترة كانوا يأتون من مدينة موش وڤان وبتليس وملاطية وصاصون وآمد (ديار بكر) والرّها وغراباغ وأرضروم ومن مدينة جلفا الايرانية[37] . لقد عُثر في 13 أيار سنة 1965 م على بعد 80 كم جنوبي مدينة دير الزور على كتابات أرمنية منقوشة على الصخور في سفح سلسلة جبلية ، يزيد عددها على العشرين كتابة تعود تواريخها إلى سنة 1628 م وسنة 1674 م ، ويُعتقد بأنّها تُركت من قبل أولئك القادمين من إيران[38] .

في هذه الأثناء ، بدأ ممثلو الدول الأوروبية ،ولا سيما ممثلي هولندا وفرنسا وايطاليا واسبانيا ، يستقرّون في حلب لغايات تجارية وكانت لهم قنصلياتهم أيضاً . وتتفق المصادر الأرمنية والأجنبية على أنّهم كانوا يتعاملون مع التجّار الأرمن ، الذين كان دورهم كبيراً جداً آنذاك في الحياة التجارية والصناعية للمدينة .

لقد كانت حلب مشهورة منذ القديم بإنتاج الحرير ، وكان التجّار الأرمن يتحكّمون في تجارته . وكانت الصباغة أو الدباغة ـ التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصناعة النسيج ـ بيد الأرمن وهي معروفة بأنّها حرفة أرمنية . ويبرز من بين حرفيي حلب الخياطون الأرمن وصانعو الأحذية . . . ، بينما كانت الصياغة حرفة أرمنية خالصة

على نحو قاطع . يشهد على ذلك الزينات الرائعة في كاتدرائية الأربعين شهيداً وكذلك المعروضة في متحف « زاريهيان » فقد كانت من صنع الأرمن .

ومن أهم أعيان الأرمن في هذه الفترة « آل شلبي » أو « آل جلبي » و « آل المعلّم سليمان » و « الخواجة خاتشيك » و « الخواجة ناظار » . . . وغيرهم . ويجدر بنا الوقوف قليلاً عند « آل شلبي » .

فقد كان الأمير بديك شلبي رئيس جمارك حلب وصوباشي حلب ، ويوجد عقد لتصدير الحرير إلى هولندا يعود تاريخه إلى سنة 1616 م مبرم بين الهولنديين والأمير بديك وأخيه صانوص ـ الذي كان رئيس جمارك مدينة أرضروم ـ ، وفيه يبدو الأمير بديك ممثلاً لأعمال ملكة هولندا التجارية في حلب .

لقد وسّع الأخوان شلبي سنة 1616 م كنيسة الأربعين شهيداً مرة ثانية من الناحية الشمالية وهي باقية على ذلك الوضع حتى يومنا هذا . وتذكر بعض المصادر أنّ السلطان العثماني مراد الرابع حين عاد إلى حلب من بغداد سنة 1634 م ، أقام لمدة ثلاثة أيام في قصر الأمير بديك الفخم الكائن في حي الجديْدة . شُنق الأمير بديك سنة 1634 م بأمر سلطاني في قلعة حلب بعد عدّة أشهر من زيارة السلطان مراد الرابع له ، ولا يزال ضريحه موجوداً في مقبرة الأرمن الأرثوذكس الحالية والكائنة في حي الشيخ مقصود بحلب .

ويشهد الرحّالة الأرمني سيمون ليهاتسي الذي زار حلب سنة 1616 م ، أنّ أحوال الأرمن في حلب كانت جيدة ، وأنّ الجالية كانت تضم ثلاثمائة عائلة[39] .

ولعل إنشاء « الهوكيدون » سنة 1624 م على بُعد بضعة أمتار من كاتدرائية الأربعين شهيداً مقرّاً ونزلاً لإقامة الحجّاج والتجّار الأرمن ، يدلّ على كثرة الأرمن في حلب في تلك الفترة . ويُذكر أنّ استقبال قوافل الحجّاج الأرمن القادمين من الأماكن المقدّسة كان يتمّ في خان طومان الذي كان مركزاً رئيساً لتجمّع القوافل ، كما كانت

تتجمّع هذه القوافل في خان العسل أيضاً . . . .

في النصف الثاني من القرن السابع عشر ومع زوال أهمّية حلب التجارية ، خملت الجالية الأرمنية بدورها ، ويذكر أليكس رسّل أنّ عدد الأرمن في حلب سنة 1745 م كان يبلغ 6750 أرمني[40] ، بينما تذكر بعض المصادر الأخرى أنّ الجالية كانت تقدّر بنحو 500 عائلة أرمنية .

وفي السنوات 1881 ـ 1882 م كان عدد الأرمن في حلب يبلغ نحو 6470 أرمني .

وفي الأربعينات من القرن التاسع عشر ، بدأ التجّار الأرمن في اسطنبول بالإهتمام بالحركة التجارية في سورية . يُذكر أنّه سنة 1846 م حصل ميساك ميساكيان (من اسطنبول) على امتياز استثمار جمارك سورية .
وتجدر الإشارة إلى النساء الأرمنيات أيضاً اللواتي أنشأن في حلب وضواحيها في نهاية القرن التاسع عشر ، مائة واثنين معملاً للتطريز ، كانت تُصدِّر منتوجاتها إلى البلاد الأوروبية .

بدأت الإضطهادات العثمانية والمجازر الرهيبة ضد الشعب الأرمني في تركية في السنوات 1876 م و 1898 م و 1909 م ، فهاجر كثير من الأرمن إلى سورية واستقرّوا في حلب وأنطاكية وكلّس ومرعش . وعلى الرغم من أنّ الشعب العربي آنذاك كان بدوره يرزح تحت نير الاحتلال العثماني ، فإنّه ندّد بهذه الاجراءات اللاإنسانية ، وأدانت الصحافة السورية هذه المجازر والإضطهادات[41] .

وفي أيام المأساة الكبرى كانت مدينة حلب المركز الرئيس لتجمّع قوافل المنفيين الأرمن ، الذين بلغ عددهم نحو 000 500 أرمني . لقد دبّرت حكومة الأتراك خطة لإبادتهم وذلك بإرسالهم إلى أغوار الصحراء السورية ، فكانت دير الزور والشدّادي وانتيلّي ورأس العين ، المقابر الجماعية للبقية الباقية من الشعب المنكوب .

وتذكر بعض المصادر الأرمنية أنّ عدد الأرمن في حلب وضواحيها سنة 1918 م كان يبلغ نحو 60 000 أرمني ،وفي السنوات 1919 ـ 1920 م نحو 35 000 أرمني ، ما لبث أن ارتفع هذا العدد إلى 75 000 أرمني إثر نكبة كيليكيا سنة 1922 م . وفي سنة 1924 م كان عدد الأرمن في حلب يبلغ نحو 48 000 أرمني ، كان 35 000 أرمني منهم من المهاجرين[42] ،وكان نحو 17 000 أرمني منهم يعيشون في مخيّمات للاجئين ، تقع في حي الميدان وحي السبيل وحي السليمانية وحي الحميدية .

إلاّ أنّ أبناء الشعب الأرمني أثبتوا وجودهم الحي ، فغدت المخيّمات ضاحيات جميلة ، ولمعت مهارتهم في مختلف المجالات وارتقوا إلى مراكز مرموقة . وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر أنّه في سنة 1926 م كانت توجد في حلب وبيروت العديد جداً من مشاغل السّجاد ،كان الأرمن يديرونها ،وكان أشهرها معمل « تشارنقا » في مدينة حلب .

والأرمن هم أول من أدخلوا إلى حلب مِهن التصوير الفوتوغرافي والزنكوكراف ونجارة المفروشات والتطريز . . . .

أمّا في المجال الثقافي[43] . فقد كان الأمراء الأرمن يرعون « تاسادون »[44] حلب المغمور ،والواقع في باحة كاتدرائية الأربعين شهيداً ،ونُسخ هناك في الفترة الممتدّة من نهاية القرن السادس عشر إلى نهاية القرن السابع عشر للميلاد نحو مائتين من المخطوطات الدينية باللغة الأرمنية ،وقد حفظت هذه المخطوطات تاريخ الجالية الأرمنية في حلب .

وبرز في هذه الفترة فنّانون أرمن ، ومنهم الفنّان مراد (1612 م(؟) ـ ؟) (رُسّم فيما بعد كاهن باسم دير مكرديج) . وقد نَسخ مخطوطات عدّة في « تاسادون » حلب وكان رسّاماً مبدعاً أيضاً ، ومن أعماله الفنيّة الرائعة التي لا تزال محفوظة في كاتدرائية الأربعين شهيداً لوحة « القديس ماريهنا » (من المحتمل أنّها رُسمت سنة 1664 م) ،

وفي كنيسة السيدة العذراء الجديدة للأرمن الأرثوذكس لوحة « العذراء والطفل » (1663 م) . واشتهر من أبناء الجالية الأرمنية في حلب العالم مراد (1592 ـ 1662 م) . وكان سبّاك أختام حلب ومحاسب ولاية حلب . (رُسّم فيها بعد كاهناً باسم دير سركيس) ، وكان شاعراً مبدعاً كما كان ضليعاً بمعرفة الأحجار الكريمة ، وقد تُرجم مصنّفه عن هذا الموضوع إلى اللغة الروسية ونُشر سنة 1873 م من قبل المعهد القيصري للعلوم في سان بطرسبورغ . وله كتاب آخر عن الفلك باسم : « شجرة » . وفضلاً عن هذين الفنانين ، يُذكر من الفنّانين الأرمن في النصف الأول من القرن السابع عشر ، الفنّان خجادور الذي زيّن القصور الفخمة الواقعة في حي الجديْدة ـ أغلبها كانت تخصّ الأرمن ـ بنماذج من الفن الأرمني والعربي .

ومن أبرز فنّاني الجالية الأرمينة في حلب كان أعضاء آل المصوّر ، يوسف ونعمة الله وحنانيا وجرجس . وتحتفظ كاتدرائية الأربعين شهيداً بخمسة لوحات من أعمالهم ، أهمها لوحة « الدينونة الأخيرة » (1706 م)[45] .

ويعود تاريخ تأسيس أول مدرسة أرمنية في حلب إلى القرن السادس عشر للميلاد ، وكانت تعرف باسم « تبرادون » وتقع في باحة كاتدرائية الأربعين شهيداً . لقد رمّمت سنة 1834 م وتحوّلت سنة 1876 م إلى مدرسة ابتدائية مختلطة باسم مدرسة « نرسيسيان » ، ثمّ سنة 1919 ـ 1920 م غدا اسمها ابتدائية « هايكازيان ـ الأمجاد » ، التي لا تزال تعمل إلى يومنا هذا .

وفي سنة 1858 م افتُتحت أول روضة أرمنية في حلب باسم « دزاغكوتس » ، وسنة 1862 م تأسست أول ابتدائية خاصة للبنات[46] .

في سنة 1880 م كانت توجد مدارس ابتدائية في كل من كسب واسكندرونة وبيلان والسويدية .

وفي مطلع القرن العشرين لعبت الجمعيات الثقافية والنسائية الأرمنية في حلب

دوراً ملموساً في الحياة التربوية للجالية ، فكان عدد الطلاب في السنوات 1901 ـ 1902 م يبلغ نحو 700 طالباً وطالبة وسنة 1911 م نحو 905 طالباً وطالبة .

في السنوات 1924 ـ 1925 م كانت توجد في حلب 19 مدرسة أرمنية ابتدائية تخصّ الطوائف الأرمنية الثلاثة على النحو التالي : عشر مدارس تخص الطائفة الأرثوذكسية ، خمس مدارس تخص الطائفة الإنجيلية وأربع مدارس تخص الطائفة الكاثوليكية . والجدير بالذكر أنّ طائفة الأرمن الأرثوذكس كانت ولا تزال ، الطائفة الرئيسة ، في حلب ، وفي جميع أرجاء المهجر الأرمني وجمهورية أرمينيا .

ولا بدّ من ذكر المفكّرين الأرمن الذين لعبوا دوراً هاماً في النهضة الثقافية العربية في القرن التاسع عشر للميلاد ، ومنهم آسدوادزادور حسّونيان أو رزق الله حسّون المولود في حلب (1823 ـ 1880 م) وأديب اسحق المولود في دمشق (1856 ـ 1885 م) .

وفي المجال العلمي . فقد أسس الدكتور آصادور آلطونيان مشفاه الخاص سنة 1912 م (1912 ـ 1962 م)(إعدادية الحكمة حالياً) الذي قدّم لمدينة حلب خدمات جليلة . وبعد سنوات النكبة كان طبيب البلدية سنة 1922 م الدكتور ليڤون بابازيان ، وطبيب مؤسسة السكك الحديدية : الدكتور هوفهانيس هريشتاكيان . وفي الفترة الممتدة ما بين السنوات 1920 ـ 1930 م كان يعمل في حلب ثلاثين طبيباً أرمنياً وخمسة عشر صيدلانياً ، وكان الكيميائي ـ الصيدلاني ، ڤاهان سمرجةباشيان ، أوّل من حصل على ترخيص لتحضير وبيع الأدوية ، وأحد عشر طبيب أسنان . ومن أطباء العيون برز الدكتور روبير جبه جيان ، ومشفاه الخاص في حي السبيل (تأسس سنة 1953 م) وهما لا يزالان يقدمان خدماتهما إلى أبناء حلب .

وفي المجال العسكري[47] . لمع من بين القوّاد الأرمن الذين خدموا في الجيش

العربي السوري اللواء آرام قره مانوكيان ، الذي كان في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1949 ـ 1950 م القائد العام للقوات المدفعية السورية ـ عضو هيئة الأركان العامة . وقد مُنح أرقى الأوسمة من قبل الحكومات السورية واللبنانية والمصرية كما منحته حكومة فرنسا وِسام الشرف من الدرجة الأولى ، وانتُخب سنة 1961 م ، عضواً في مجلس الشعب ممثلاً عن مدينة حلب . وكذلك العميد هرانت مالويان ، واللواء آلبير كيليجيان ، والرائد جوزيف بيراميان ، والنقيب كريكور هندويان ، وكثير غيرهم .

وفي مجال الصحافة . فقد صدرت في حلب في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1918 ـ 1978 م النشرات التالية : عشر جرائد ، إحدى عشرة مجلة اسبوعية ، اثنتان وثلاثون مجلة شهرية ، ثلاث وأربعون دورية ، عشرة تقاويم سنوية .

وأول جريدة باللغة الأرمنية صدرت في حلب كانت باسم « فرات » وذلك في 6 حزيران 1868 م واستمرت الى سنة 1914 م . (كانت الجريدة الرسمية لولاية حلب ، بدأت تصدر باللغتين العربية والعثمانية في 27 أيار 1867 م ثم سنة 1868 م أضيف لها القسم الأرمني)[48] .

وفي الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1918 ـ 1974 م كان عدد المطابع الأرمنية في حلب يبلغ تسعاً وعشرين مطبعة ، صدرت منها 440 نشرة بمختلف اللغات[49] .

واليوم فإنّ واقع أبناء الشعب الأرمني في حلب ـ ويقدّر عددهم بنحو 000 60 أرمني ـ أبلغ من الكلام . فللطوائف الثلاثة العديد من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والكنائس والجمعيات الثقافية والخيرية والأندية الرياضية . . . . وتشارك مشاركة فعّالة في النهضة العمرانية لمدينة حلب ، كما زيّنوها بأبنية شامخة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر « دار مطرانية الأرمن الأرثوذكس » في حي الفيللات (1988 م) و « صرح الشهداء الأرمن » (1989 م) في باحة كاتدرائية الأربعين شهيداً والأبنية السكنية الشعبية ولا سيما في حي الميدان وذلك بمبادرة مطرانية الأرمن الأرثوذكس في

حلب برئاسة المطران سورين قاتارويان مطران الأرمن الأرثوذكس لأبرشية حلب وتوابعها ،وكذلك « مستوصف الصليب لإعانة الأرمن » (1985 م) الكائن في حي الميدان وذلك بمبادرة جمعية الصليب لإعانة الأرمن . والكلام عن كل هذا قد يأخذ حيّز كتاب بكامله فلا مجال لذكره هنا .

* * *

ـ الجالية الأرمنية في دمشق . المعلومات التاريخية عن الجالية الأرمنية في دمشق غير مستفيضة ،ربّما لأنّ هذه الجالية لم تكن كثيرة العدد في مختلف المراحل التاريخية .

تتفق المصادر على أنّ الأرمن استقرّوا في دمشق أيام حكم الامبراطور الأرمني ديكران العظيم على سورية (84 ـ 64 ق . م) ، وتُذكر أنّه لاقى مجابهة عنيفة أثناء استيلائه على المدينة[50] .

وأول ذكر للجالية الأرمنية في دمشق ، كان في القرن السابع للميلاد عندما كانت دمشق عاصمة الدولة الأموية ، وكانت العلاقات العربية ـ الأرمنية وثيقة . وتذكر المصادر الأرمنية : أنّه عندما فتح العرب مدينة دُبيْل الأرمنية (654 م) ساقوا نحو 35 000 أرمني إلى دمشق ،وقد جلبوا معهم بعض الحرف والمِهن وفيها الصياغة وإنتاج الحرير . . . ، وورد في حاشية مخطوطة أرمنية كتبها القديس بارسيغ ،ما يدلّ على وجود جالية أرمنية صغيرة في دمشق في منتصف القرن السابع للميلاد[51] .

ويَذكر المقريزي والمؤرخون الأرمن والعرب أنّه في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (1067 م) ، كان والي دمشق (بدر الدين الجماليّ) الأرمني النشأة . وقد لمع اسمه في مصر ، حين دعاه الخليفة الفاطمي المستنصر إلى القاهره لإخماد الثورة الناشبة هناك . وسنأتي على ذكره بالتفصيل فيما بعد .

في بداية القرن الخامس عشر للميلاد عندما احتلّ تيمورلنك حلب ثمّ دمشق ،ساق في طريق عودته إلى الشرق عدداً كبيراً من الأسرى كان فيهم كثير من

الأرمن أيضاً . ووفق المصادر الأرمنية ، فقد نُسخت في دمشق ، سنة 1445 م مخطوطات أرمنية[52] ، وهذا يؤدي إلى الاعتقاد بأنّ دير « القديس سركيس » للأرمن الأرثوذكس قد تأسس في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر للميلاد وذلك لوجود جالية أرمنية منظمة في دمشق في تلك الفترة . لقد رُمّم الدير والكنيسة من قبل بـطريـرك الأرمن الأرثوذكس في القدس كريكور باروندير (1612 ـ 1656 م) في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1632 ـ 1641 م ، ثمّ رُمّما سنة 1867 م ثم سنة 1910 م . وشُيّد مبنى مطرانية الأرمن الأرثوذكس بجانبها ، سنة 1906 م . وهذا المجمّع الديني لا يزال يخدم الأرمن في دمشق[53] .

في القرن السابع عشر للميلاد وعلى الرغم من أنّ دمشق كانت مركزاً تجارياً هاماً ، فلم تكن أحوال الجالية الأرمنية جيدة ، وكانت تُقدّر بنحو خمس أو ست عائلات .

ويُعتقد بأنّ أوضاع الأرمن تحسّنت في القرن الثامن عشر للميلاد . ففي سنة 1726 م طلب التجّار الأرمن في حلب ودمشق من الحكومة الروسية امتيازات إقامة علاقات تجارية مع روسيا ، فاستجابت الحكومة الروسية لطلبهم[54] . وفي سنة 1740 م كان عدد الأرمن في دمشق يقدّر بنحو 75 ـ 85 عائلة أرمنية قدمت من خربوط وڤان وبتليس وديكـــرانـاكـــيرت ونصيبين والرّها ، بينما كان عددهم يبلغ سنة 1866 م نحو 120 أرمني[55] .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد شَهدت دمشق نشاطاً تجارياً كبيراً ، فقد ازدهرت المدينة ، وتطورت مختلف مجالات الحياة فيها ، ويُذكر أنّ عدد الأرمن كان يبلغ بنحو 1100 أرمني[56] ، يحتلّ بعضهم مراكز مرموقة ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أنّه في سنة 1870 م كان المهندس هوسيب خياط يشغل منصب المعماري الأول في المدينة ، كما يُذكر في هذا المجال الأخوة كريكوريان الذين كانت لهم علاقات تجارية هامة مع أوروبا .

عقب الإضطهادات العثمانية للأرمن الآنفة الذكر ، ونكبة كيليكيا سنة 1922 م ، كان عدد الأرمن في دمشق يبلغ نحو 000 15 أرمني ، وكانت قد تكوّنت جاليات أرمنية صغيرة في حوران ودرعا أيضاً .

وفي الفترة الممتدة بين السنوات : 1925 ـ 1927 م انخفض عدد الأرمن إلى 500 7 أرمني ، ويُقدّر عددهم اليوم بنحو 000 5 أرمني ، لهم مدارسهم وإعدادياتهم وجمعياتهم وأنديتهم ، ولهم دور فعّال في المجالات التجارية والاقتصادية .

وفي المجال الثقافي . يعود تاريخ تأسيس أول مدرسة أرمنية ابتدائية إلى سنة 1849 م ، ثمّ تأسست مدرسة ثانية سنة 1898 م وهي اليوم إعدادية باسم « طاركمانتشاتس » . وكان عدد الطلاب في تلك الفترات يبلغ نحو 310 طالب وطالبة . بينما تأسست أولى جمعيات الجالية سنة 1922 م وكان لها نشاط رياضي .

* * *

ـ الجالية الأرمنية في اللاذقية . أقدم المعلومات التاريخية عن وجود الأرمن في الساحل السوري تعود إلى أيام حكم الامبراطور الأرمني ديكران العظيم على سورية (84 ـ 64 ق . م) . يُذكر اعتماداً على المعطيات النقدية لمدينة اللاذقية أنّ ديكران العظيم منح مدينة لاوديسا (اللاذقية) استقلالها وجعلها مرفأ رئيساً على الساحل السوري . ويُعتقد أنّ الأرمن استقروا في اللاذقية ومناطق جبل الأقرع منذ تلك الأزمنة البعيدة[57] .

وبغض النظر عن الهجرات الأرمنية إلى أنطاكية لإنّها كانت مركزاً ثقافياً ودينياً وتجارياً هاماً ، فإنّ أولى الهجرات الأرمنية المعروفة إلى الساحل السوري وقعت في القرن الحادي عشر للميلاد عقب غزوات السلاجقة الأتراك على أرمينيا ، وانتشر الأرمن في اللاذقية والسويدية والغنيمية واليعقوبية وآرامو وكسب[58] ، حيث الجالية الأرمنية لا تزال باقية في كسب وكان عدد الأرمن فيها سنة 1911 م يبلغ 2786 أرمني ، وفي

سنة 1920 م كان يبلغ 1629 أرمني وسنة 1955 م كان يبلغ 653 أرمني ، ويُقدّر عدد الأرمن هناك اليوم بنحو 700 2 أرمني[59] .

في القرن الثاني عشر وأثناء حكم الصليبيين ، كانت توجد في اللاذقية جالية أرمنية كبيرة ، فقد اشترك أسقف اللاذقية في مجمع ديني عُقد في مدينة روم قلعة ، كما ذكرنا فيما سبق ، ووفق المصادر الأجنبية ،وبعد احتلال الأيوبيين للمدينة سنة 1188 م كانت لا تزال توجد في اللاذقية جالية أرمنية نشيطة .

تذكر بعض المصادر الأرمنية أنّ الجالية اضمحلّت على نحو ملموس أثناء حكم المماليك . ولا ريب أنّ الزلازل التي ضربت المدينة في سنة 1287 م ثمّ في سنة 1469 م أدّت إلى خمول المدينة عامة .

نشطت الهجرات الأرمنية إلى اللاذقية في القرن السابع عشر للميلاد وتمّ إنشاء « الهوكيدون » ـ على النمط الموجود في مدينة حلب ـ سنة 1755 م ، وكان مقرّاً ونزلاً للحجّاج الأرمن القادمين من أرمينيا في طريقهم إلى الأماكن المقدّسة ، كما شُيّدت كنيسة السيدة العذراء » للأرمن الأرثوذكس سنة 1755 . التي لا تزال باقية إلى يومنا هذا مع الهوكيدون[60] .

سنة 1866 م كان عدد الأرمن يبلغ نحو 100 أرمني[61] .

ووفق معطيات ف . كينه كان عدد الأرمن في اللاذقية سنة 1895 م يبلغ نحو 600 1 أرمني[62] .

سنة 1911 م كان عدد الأرمن في اللاذقية يبلغ 200 أرمني[63] .

وفي سنة 1980 م كان عدد الأرمن يبلغ 363 عائلة أرمنية[64] .

واليوم يبلغ عدد الأرمن في اللاذقية نحو 500 1 أرمني . وللجالية ابتدائية مختلطة تأسست سنة 1922 م وبعض الجمعيات الخيرية والنسائية .

أما ما يخص الجاليات الأرمنية الأخرى على الساحل السوري فإنّ عدد الأرمن

اليوم ليس كثيراً في كلٍ من الغنيميّة واليعقوبية وآراموا .

ففي آرامو توجد كنيسة « القديس استيبان » للأرمن الأرثوذكس لقد ذكر راعي أبرشية اللاذقية الأب زكريا (1874 ـ 1904 م) أنّ الكنيسة في منتصف القرن التاسع عشر كانت مخرّبة ، ورُمّمت سنة 1958 م . بينما توجد خارج القرية كنيستا « مار جرجس » و « السيدة العذراء » ، حيث ورد في مخطوطة أرمنية تعود إلى سنة 1416 م أنّهما كانت تعملان بنشاط آنذاك[65] .

ويُعتقد بأنّ كنيسة الغنيمية « مار جرجس » للأرمن الأرثوذكس تعود إلى القرن الخامس عشر للميلاد ، وتمّ ترميمها مرتين في السنوات 1875 م و 1960 م[66] .

وأما كنيسة « القديسة آنّا » للأرمن الأرثوذكس في اليعقوبية (فيما سبق كنيسة « مار جرجس ») ، فيعودتاريخ تشييدها إلى سنة 1320 م ورُمّمت مراراً ولا سيما سنة 1914 م . بينما شُيّدت كنيسة « القديسة هربسيمة » للأرمن الأرثوذكس سنة 1954 م مكان دير « القديس ثيوطوروس » القديم[67] .

وعقب المذبحة الكبرى سنة 1915 م تكوّنت جاليات صغيرة في الجزيرة السورية وعلى نحو خاص في جرابلس ،والقامشلي ،والرقّة ،والحسكة وتل الأبيض ودير الزور ،لها مدارسها الابتدائية وكنائسها وجمعياتها .

* * *

وقد خلّد أبناء الشعب الأرمني في سورية ذكرى الشهداء والصداقة العربية ـ الأرمنية بتشييد كنيسة في دير الزور سنة 1990 م ، بمبادرة مطرانية الأرمن الأرثوذكس في حلب برئاسة المطران سورين قاتارويان ، مطران الأرمن الأرثوذكس لأبرشية حلب وتوابعها . وقد تمّ تدشين حجر الأساس في الثاني عشر من أيار سنة 1985 م وتدشينها في الخامس من أيار سنة 1991 م بحضور نيافة الكاثوليكوس كاركين الثاني لبيت كيليكيا الكبير في أنطلياس في احتفالات دينية و جماهيرية حاشدة[68] .

الحواشي

1) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 425 .

2) المصدر نفسه ، 1 : 428 ،و (بيدروس) هـ . هوفهانيسسيان و آ (شود) ك أبراهاميان ،مختارات من تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور حتى منتصف القرن التاسع (بالأرمنية) ، 1 : 256 .

3) هرانت ك . آرمين ، ديكران العظيم (بالأرمنية) ، ص 84 .

4) هاكوب مانانتيان ،دراسة علمية لتاريخ الشعب الأرمني (بالأرمنية) ، 1 : 162 ، 176 .

5) آ (شود) ك . أبراهاميان ،لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 428 .

6) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 8 .

7) المصدر نفسه .

8) ليو ، الأعمال الكاملة (بالأرمنية) ، 1 : 143 ـ 144 .

9) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 1 : 5 .

10)البطريرك ماغاكيا أورمانيان ، « آزكابادوم » (بالأرمنية) ، 1 : 530 ـ 533 .

11) يقصد الكاثوليكوس هوفهانيس الثالث أوتسنتسي (717 ـ 728 م) .

12) المطران آردافشت سورمايان ، تاريخ الأرمن في حلب (1355 ـ 1908 م)

(بالأرمنية) ، 3 : 4 .

13) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 430 .

14) أسبوعية « ناقوس أرمينيا » (بالأرمنية) ، 3 تموز 1948 ، العدد 27 ، ص 630 .

15) المصدر نفسه .

16) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 413 ـ 424 ، و (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 17 .

17) جوشوا براور ، مملكة القدس اللاتينية (بالانكليزية) ، ص 52 ، وهاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 57 .

18) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 21 .

19) ج . لوران ، أرمينيا بين بيزنطة والاسلام (بالفرنسية) ، ص 301 (نقلاً عن (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 21) .

20) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 20 .

21) المصدر نفسه .

22) كامل الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، 3 : 115 .

23) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 46 .

24) المصدر نفسه ، ص ص 166 ـ 171 ، وآ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 20 ـ 22 .

25) أسبوعية « ناقوس أرمينيا » (بالأرمنية) ، 15 شباط 1930 ، العدد 7 ،

ص ص 202 ـ 204 .

26) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1350 ـ 1908) (بالأرمنية) ، 3 : 230 ـ 241 . ، وآ (شـود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 20 ـ 22 .

27) كامل الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، 3 : 428 ـ 429 .

28) جريدة « صوت الشعب » (بالأرمنية) ، 31 أيار 1945 .

29) جريدة « النصر » ، 29 أيار 1945م.

30) جريدة « النذير » ، 25 أيلول 1946م.

31) انظر المطران آردافست سورمايان ، تاريخ الأرمن في حلب (1355 ـ 1908م) (بالأرمنية) ، المجلد الثالث ،باريس ـ 1950 م ، و (جان) سوفاجيه ،حلب : الأصول في أواسط القرن التاسع عشر (بالفرنسية) ، النص ، باريس ، 1941م، ص ص 91 ، 157 ، 179 ،والحواشي 446 ، 574 ، 588 ، 764 ، 772 ، 849 .

32) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 17 .

33) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 236 .

34) زين الدين عمر بن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 2 : 236 .

35) سنوية « هاسك » الأدبية (بالأرمنية) ، 2 ـ 3 : 303 .

36) تأسس المتحف « زاريهيان » في حلب سنة 1991 م من قبل مطرانية الأرمن الأرثوذكس بحلب برئاسة المطران سورين قاتارويان ، مطران الأرمن الأرثوذكس لأبرشية حلب وتوابعها .

37) المطران آردافست سورمايان ، تاريخ مقبرة الأرمن الأرثوذكس بحلب والكتابات على الأضرحة باللغة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 19 ـ 20 .

38) سنوية « كيغارت » (بالأرمنية) ، 1 : 370 ـ 373 .

39) المطران آردافشت سورمايان ، تاريخ الأرمن في حلب (بالأرمنية) ، 3 : 230 ـ 241 .

40) آليكس رسّل ، التاريخ الطبيعي لمدينة حلب (بالانكليزية) ، 2 : 28 .
41) على سبيل المثال جريدة « التقدم » الحلبية سنة 1913 م .
42) (هوفهانيس) ، خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 169 .
43) انظر المطران آرداڤست سورمايان ، تاريخ الأرمن في حلب (1355 ـ 1908 م) (بالأرمنية) ، المجلد الثالث ، باريس ـ 1950 م .
44) مدرسة حلب الأرمنية لنسخ المخطوطات وفق التقليد الأرمني .
45) انظر فردينان توتل ، وثائق تاريخية عن حلب ، بيروت ـ 1958 م (نقلاً عن جريدة « آزتاك » الأرمنية ، 22 كانون الأوّل 1990 م) .
46) انظر الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 10 : 416 ، و (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص ص 141 ـ 152 .
47) سنوية « كيغارت » (بالأرمنية) ، 1 : 405 ـ 408 .
48) انظر هاكوب تشولاكيان ، وصف موجز لتاريخ الصحافة الأرمنية في حلب (بالأرمنية) ، حلب ـ 1978 م ، ودورية « البراعم » (بالأرمنية) ، 1977 ، العدد 1 ، حلب ، مهران ميناسيان ، « جريدة فرات » .
49) انظر هايك باريكيان وهوڤنان ڤارجابيديان ، تاريخ المطابع الأرمنية في سورية (بالأرمنية) ، حلب ـ 1973 م .
50) هاكوب مانانتيان ، دراسة علمية لتاريخ الشعب الأرمني (بالأرمنية) ، 1 : 155 ـ 156 .
51) الكاثوليكوس كاركين الأول هوسيبيان ، حواشي المخطوطات (بالأرمنية) ، 1 : 47 .
52) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 17 .
53) سنوية « كيغارت » (بالأرمنية) ، 3 : 254 ـ 266 .

54) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 35 ، و آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 17 .

55) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 17 .

56) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 50 .

57) سنوية « كيغارت » (بالأرمنية) ، 2 : 268 ـ 277 .

58) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 428 .

59) كريكور دونكيان ، مواد لتاريخ الأرمن في اللاذقية وضواحيها (بالأرمنية) ، ص ص 23 ـ 24 .

60) سنوية « كيغارت » (بالأرمنية) ، 3 : 267 ـ 268 .

61) كريكور دونكيان ،مواد لتاريخ الأرمن في اللاذقية وضواحيها (بالأرمنية) ، ص 18 .

62) ف . كينه ، سورية ،ولبنان وفلسطين (بالفرنسية) ، ص 82 (نقلاً عن (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 50) .

63) كريكور دونكيان ، مواد لتاريخ الأرمن في اللاذقية وضواحيها (بالأرمنية) ، ص 18 .

64) المصدر نفسه ، ص 41 .

65) الأسقف ڤارطان دميرجيان ، تاريخ أبرشيات الأرمن الأرثوذكس في سورية ولبنان (بالأرمنية) ، 1 : 371 ـ 372 .

66) المصدر نفسه ، ص ص 380 ـ 386 .

67) سنوية « كيغارت » (بالأرمنية) ، 2 : 366 .
68) انظر حلب تروي (بالأرمنية) ، منشورات مطرانية الأرمن الأرثوذكس بحلب ، حلب ، 1992 .

الفصل الثاني

لبنان

الوثائق التاريخية عن أقدم جالية أرمنية في لبنان غير مستفيضة ، إلّا أنّ النبي حزقيال ، ذكر عن الأرمن في سياق حديثه عن مدينة تير الفينيقية (صور) ما يلي : « **ومن بيت توجرمة[1] بالخيل والفرسان والبغال أقاموا أسواقك** »[2] ، في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 592 ـ 570 ق . م .

ويتفق المؤرخون ، على أنّ القائد الفينيقي : هانيبال القرطاجي لجأ إلى بلاط الملك الارمني ، آرداشيس الأول (186 ـ 160 ق . م) إثر هزيمته مع الرومان ، وهو الذي وضع مخطط مدينة آرداكسادا أو آرداشاد ، العاصمة الجديدة للمملكة الأرمنية الأرداشيسية (189 ق . م ـ 1 م) على الضفة اليسرى لنهر آراكس ، التي غدت مركزاً حضارياً كبيراً[3] . وورد في كتاب « تاريخ الأرمن » أو « تاريخ الأمّة الأرمنية » للمؤرخ الأرمني موسيس خوريناتسي (في القرن الخامس للميلاد) أنّ الملك الأرمني آرداشيس الأول « . . . **استولى على اليابسة الواقعة بين البحرين وملأ المحيط [يُعتقد بأنّه يعني البحر الأبيض المتوسط] بالسفن ، وهو راغب بالاستيلاء على المناطق الغربية بكاملها** »[4] .

ويقول الباحث الأرمني المعاصر هاكوب مانانتيان في هذا الصدد إنّه وفق استرابون فقد لاقى ديكران العظيم مجابهة عنيفة أثناء استيلائه على فينيقيا[5] .

كما وجد الباحث الأرمني ليو : أنّ الطريق التجاري الرئيس للفينيقيين ، كان

يمتدّ من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى سفوح جبل آرارات ثمّ يتفرع إلى فرعين ، يصل أحدهما إلى بابل والثاني إلى حوض بحر قزوين[6] .

وعندما نشطت الحركة التجارية العالمية في العصر الهلنستي ، نشطت العلاقات المتبادلة بين مختلف الشعوب ، في اليونان ومصر والشرق الأدنى والأوسط .

ولا ريب أنّ جماعات من الأرمن قد توجّهت إلى الساحل الفينيقي ،واستقرّت في مدنه أثناء الهجرات الأرمنية السالفة الذكر التي وقعت على سورية في مختلف مراحل التاريخ .

في القرن العاشر ، أجبر الأباطرة البيزنطيون ، نقفور الثاني فوقاس (963 ـ 969 م) ، وحنّا الأول (أو يانس الشمشقيق) (969 ـ 976 م) وباسيل الثاني (976 ـ 1025 م) ، الأرمن على الهجرة وأسكنوهم في سورية ولبنان وفلسطين[7] .

وفي القرن الثاني عشر للميلاد ، انتقل أبناء الجالية الأرمنية مع جيش الصليبيين من شمالي سورية باتجاه الجنوب ، فشغلوا المناطق الجنوبية من سورية ولبنان وفلسطين ،واستقرّوا في صيدا وصور وطرابلس وبيروت وعكّا ، لأنّ العلاقات الثقافية والتجارية المتبادلة بين الأرمن واللبنانيين كانت نشيطة على نحو ملموس آنذاك .

ويَذكر الباحث الأرمني المعاصر أرشاك ألبوياجيان أنّه في سنة 1232 م كان مرفأ طرابلس يزدحم باليونانيين واللاتين والأرمن والنسطوريين وغيرهم الذين كانوا يقطنون في مدينة طرابلس ، وأنّ تجارة الحرير والأنسجة الأخرى كانت نشيطة هناك[8] .

وأثناء إحدى غزوات المماليك على المملكة الأرمنية في كيليكيا (سنة 1375 م) ، ساق المماليك عدداً كبيراً من الأرمن أسرى ، وهرب بعضهم وهم في طريقهم إلى مصر واستقرّوا في الجبال اللبنانية[9] .

في الواقع لم يثبت تاريخياً قيام هجرات أرمنية جماعية إلى لبنان إلا لمرّة واحدة .

فقد كان الأرمن ، على الأغلب ، يأتون إلى لبنان أفراداً أو مجموعات قليلة عن طريق : حلب ـ دمشق ـ بيروت . فالهجرة الجماعية الأولى وقعت أثناء سقوط المملكة الأرمنية في كيليكيا سنة 1375 م ، ويُذكر أنّ الأرمن سلكوا طريق اسكندرونة ـ أنطاكية ـ طرسوس ـ طرابلس ـ بيروت ، واستقرّوا في طرابلس وزغرتا وأهدن وجونية ومنطقة غزير الجبلية[10] ، ولا تزال توجد في هذه المناطق عائلات تحمل أسماء أرمنية وتعترف بأنّها أرمنية النشأة .

ووفق بعض المصادر الأرمنية وردت في حاشية مخطوطة أرمنية محفوظة في دير « بزمّار » أنّه في الفترة الممتدّة بين السنوات 1683 ـ 1690 م ، هاجر 10000 أرمني من مدينة سيس في كيليكيا إلى لبنان بقيادة رجل أرمني يدعى حنانيا غريب ، إلاّ أنّ مصير هؤلاء الأرمن لم يُعرف ، كما أنّ هذه المعلومة لم تثبتها مصادر تاريخية أخرى .

بدأت الجالية الأرمنية في لبنان تنتظم في مطلع القرن الثامن عشر للميلاد ، عندما تأسس في ربوعه دير « بزمّار » للأرمن الكاثوليك سنة 1749 م[11] ، الذي غدا على وجه السرعة نواة الحياة الثقافية للجالية . ثمّ وبعد مدة وجيزة من تأسيس الدير قَدم إلى لبنان أيضاً أقرباء الرهبان واستقرّوا في المناطق المجاورة منه . ويحتفظ الدير اليوم بالعديد من الوثائق التي تثبت أنّ الأرمن كانوا يسكنون في بعض القرى المجاورة للدير ، فضلاً عن 716 مجلداً من المخطوطات الأرمنية[12] .

وفي الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1847 ـ 1860 م كانت الجالية تضم نحو 60 عائلة[13] ، ومن المرجح بأنّ الأرمن استقرّوا في لبنان ، لغايات اقتصادية عندما أُنجز مرفأ بيروت وسكة حديد بيروت ـ دمشق وغدت بيروت مركزاً تجارياً نشيطاً .

في سنة 1860 م وأثناء خلافات وقعت في لبنان أرسل السلطان العثماني مفوّضاً رسميّاً إلى دمشق يدعى : فؤاد باشا ، وذلك برفقة وفد رسمي يضم العديد من المختصّين في المجالات السياسية والاقتصادية والصحية ، وكان أغلبهم من الأرمن

وفيهم استيبان آرزومانيان والدكتور نهابيد روسينيان والدكتور كابرئيل سيفيان والمفكّر رزق الله حسّون وغيرهم . وقد كان دورهم بنّاءً لرفع لبنان من محنته .

وفي سنة 1861 م وبمبادرة من بعض الدول الأوربـيــة تأسست متصرّفية جبل لبنان (1861 ـ 1914 م) ، وكان الحاكم أو المتصرّف يُنتخب من قبل سبع دول أوروبية ويُصدّق عليه من قبل السلطان العثماني . وكان أول الحكّام آرتين باشا داوديان (1861 ـ 1868 م) . وآخرهم هوفهانيس باشا قيوميجيان (1912 ـ 1915 م) .

سنة 1895 م كان عدد الأرمن في لبنان يبلغ نحو 600 أرمني ، وكانت توجد جاليات أرمنية صغيرة في كل من صور وضواحيها وكان عدد الأرمن يبلغ نحو 530 أرمنياً ، بينما كان عدد الأرمن في مرجعيون يبلغ نحو 201 أرمني[14] . وبعامة يمكن القول : إنّه في الفترة الممتدّة ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر للميلاد وقعت هجرات أرمنية متفرّقة إلى لبنان وقد توزّع الأرمن في مختلف أرجائه .

وعلى مدى قرنين من الزمن على نحو تقريبي (1700 ـ 1895 م) وبالرغم من أنّ لبنان كان يرزح تحت نير حكم العثمانيين ، فقد لمعت نخبة من أبناء الجالية الأرمنية في لبنان ، خلّدهم التاريخ وفيهم آرتين باشا داوديان وهوفهانيس باشا قيوميجيان واسكندر أبكاريوس والدكتور يوحنّا وارتباد وأديب إسحق وبشارة المهندس ورزق الله حسّون وغيرهم[15] . ويجدر أن نتوقف عندهم قليلاً .

ـ آرتين باشا داوديان (1816 ـ 1873 م)

في أواخر تموز سنة 1861 م وصل آرتين باشا إلى دير القمر وأسماه عاصمة لبنان ، وعلى وجه السرعة بدأ أعماله لتطوير لبنان ، ونذكر من جملة منجزاته ما يلي :

1 ـ عمل على استتباب الأمن في ربوع لبنان .
2 ـ أولى الزراعة أهمية كبيرة .
3 ـ أولى الحياة العمرانية أهمية كبيرة ومن أهم إنجازاته : جسر الدامور

4 ـ طوّر شبكة الطرقات . فقد أنجز نحو 700,000 م . ط من الطرقات .
5 ـ أولى التربية والتعليم اهتماماً كبيراً ، والمدرسة المعروفة باسم « المدرسة الداوودية » لطائفة الدروز ما زالت قائمة إلى يومنا هذا .
6 ـ عمل على تحقيق العدالة .
7 ـ قسّم لبنان إلى ست أقاليم وعيّن والياً على كل منها .
8 ـ عمل على تنظيم الضرائب وتخفيضها .
9 ـ عمل على تنظيم الجيش اللبناني .
10 ـ عمل على إصدار أول نشرة رسمية باللغتين العربية والفرنسية باسم « لبنان » في بيت الدين .
11 ـ عمل على الحفاظ على استقلال لبنان .

اضطر آرتين باشا إلى الاستقالة سنة 1868 م وتوفي في 4 تشرين الثاني سنة 1873 م في اسطنبول .

ـ هوفهانيس باشا قيوجيان (1858 ـ 1933 م)

وصل إلى بيروت في 15 كانون الأول سنة 1912 م ، وعمل بدوره على نهضة لبنان والحفاظ على استقلاله . اضطر إلى الاستقالة سنة 1915 م ، وتوفي سنة 1933 م .

ـ عائلة خاجو

وُلد أنطون خاجو في تفليس عاصمة جورجيا سنة 1820 م . واستقرّ في دمشق ، وهو في طريق عودته من زيارة الأماكن المقدّسة . من أولاده جوزيف خاجو الذي وُلد في دمشق سنة 1824 م وغدا تاجراً ومتعهد أبنية مشهور ، وأميل خاجو بن جوزيف الذي غدا سنة 1904 م المهندس الأول في لبنان ، وله العديد من المنجزات العمرانية الفخمة .

- رزق الله حسّون (آسدوادزادور حسّونيان) (1823 ـ 1880 م)

وُلد في حلب سنة 1823 م ، وتلقّى تعليمه الابتدائي في حلب ، ثمّ انتقل إلى دير « بزمّار » في بيروت . بدأ اهتمامه بالسياسة مع نشوب الحروب الروسية ـ التركية . أصدر سنة 1854 م في اسطنبول أول جريدة باللغة العربية باسم « مرآة الأحوال » ، وكان أحد أعضاء لجنة المفوّض فؤاد باشا إلى لبنان سنة 1860 م ثمّ انتقل إلى لندن ، وأصدر هناك أوّل دورية باللغة العربية ، باسم « رجوم وغاسق » وجريدة « أبناء سام » التي توقفت مع وفاته سنة 1880 م .

- عائلة فرج اللّه

وهي عائلة أمراء أرمنية باسم شاهينيان شاهين شاه ، هاجرت من أرمينيا إلى حلب . وبعد أن استقرّ فرج اللّه شاهين في لبنان بدأت العائلة تُعرف باسم فرج اللّه . وقد شُيّدت بفضل جهود هذه العائلة كنيسة « القديس مار الياس » للأرمن الكاثوليك في بيروت والأبنية المجاورة لها . ولعل من أبرز وجوه هذه العائلة النبيلة ، أميل فرج اللّه ، الذي كان ولمدة طويلة قنصل الامبراطورية العثمانية في لندن وروما .

- عائلة خاتشيان

فيما بعد آل خياط . هاجرت من القفقاس واستقرّت في حلب ثمّ في لبنان . من أبرز وجوهها جوزيف خياط الذي كان سنة 1870 م مهندس مدينة دمشق ثمّ مهندس بلدية بيروت . وكان بعيد الشهرة ، ولا سيما في هندسة الطرقات .

- عائلة مكريان

هاجرت من اسطنبول إلى دمشق ، ومن أبرز وجوه هذه العائلة في لبنان جورج مكر . وإلى يومنا هذا فإن أحد شوارع منطقة الباب الشرقي في دمشق ، يسمّى بشارع « مكر » .

وفي الفترة الممتدّة بين السنوات 1823 ـ 1825 م ، وقعت خلافات في دير القديس يعقوب للأرمن الأرثـوذكس في القدس ، فترك ثلاثة من الأساقفة الكهنوت ، وهاجروا إلى لبنان واستقرّوا فيه . وهم الأسقف هاكوب الأكشيهيري والأسقف ثيونسيوس قره بتيان والأسقف هاكوب بولوتسي . وقد اعتنقوا المذهب البروتستانتي ، بعد استقرارهم في لبنان ـ بيروت وهم يُعدّون مؤسسي البروتستانتية في سورية ولبنان .

ـ عائلة وارتباد

وُلد الأسقف هاكوب بولوتسي سنة 1793 م في مدينة بولو الواقعة على سواحل البحر الأسود ، ودخل الكهنوت في دير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس في القدس . وترك الكهنوت إثر خلافات ثمّ انتقل إلى صيدا ، ثمّ إلى بيروت ، وعُرف باسم كريكور وارتباد ، وهو والد البروفسور يوحنّا وارتباد .

لقد وُلد البروفسور يوحنّا ، في صيدا سنة 1836 م ، ويُعدّ من مؤسسي الجامعة الأمريكية في بيروت . لم يكن طبيباً ماهراً وعالماً باهراً فحسب ، بل كان ضليعاً في اللغات ، يتقن العربية والانكليزية والفرنسية والتركية واليونانية واللاتينية والعبرية . وله العديد من المؤلفات نذكر منها :

1 ـ أصول الفيزيولوجيا
2 ـ مختصر في أعضاء الجسد البشري
3 ـ التوضيح في أصول التشريح
4 ـ قواعد حفظ الصحة

نال عدداً من الأوسمة من الحكومات اللبنانية والعثمانية ، وأطلقت الحكومة اللبنانية اسمه على أحد شوارع حي بيت مري في بيروت . توفي في بيروت سنة 1908 م .

أما شقيق البروفسور ، كريكور وارتبـاد فقد وُلد في صيدا سنة 1827 م ، وكان أديباً وشاعراً . ومن أشهر مؤلفاته « سورية والسوريون » (بالانكليزية) ، نُشر في لندن سنة 1856 م .

- عائلة أبكاريوس

جد العائلة هو الأسقف هاكوب الأكشيهيري الذي وُلد في أكشيهير سنة 1781 م ، ودخل الكهنوت في دير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس في القدس . وإثر الخلافات الناشبة هناك انتقل إلى صيدا وعُرف باسم هاكوب أبكاريان . وفي سنة 1825 م عُيِّن قنصلاً للحكومة الانكليزية في صيدا ثمّ انتقل إلى بيروت ، وشغل منصب القنصل الانكليزي في سورية حتى وفاته سنة 1845 م . وهناك باب في بيروت القديمة لا يزال يسمّى باسم « باب يقعوب » .

وتجدر الإشارة إلى أنّ منزل هاكوب أبكاريوس في بيروت ، تحوّل بعد وفاته إلى دير ونزل للأرمن باسم « دير القديس نيشان للأرمن الأرثوذكس » وذلك بمبادرة بطريركية الأرمن الأرثوذكس في القدس ، لخدمة الحجّاج الأرمن الذاهبين لزيارة الأماكن المقدّسة . ثمّ تحوّل سنة 1914 م إلى كنيسة وفي سنة 1938 م تحوّل إلى كاتدرائية باسم « القديس نيشان » ، وهي قائمة إلى يومنا هذا .

أمّا الشاعر والمؤرخ اسكندر أبكاريوس بن يعقوب بن أبكار الأرمني فهو غني عن التعريف . وُلد سنة 1826 م في بيروت . وله العديد من المؤلفات نذكر منها .

1 ـ نهاية الأرب في أخبار العرب .
2 ـ تزيين نهاية الأدب في أخبار العرب .
3 ـ روضة الأدب في طبقات شعراء العرب .
4 ـ نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان .

وقد وُلد شقيقه ، الشاعر يوحنّا أبكاريوس ، في بيروت سنة 1832 م ، وكان

يتقن اليونانية والعربية والأرمنية والتركية والانكليزية والفرنسية والايطالية . عُيِّنَ مستشاراً في القنصلية الانكليزية ببيروت وأسس بنك « أبكاريوس ـ عكرش » . وله العديد من المؤلفات ، نذكر منها :

1 ـ قصص مقتطفة من تاريخ الكنيسة .
2 ـ قطف الزهور في تاريخ الدّهور .
3 ـ قاموس انكليزي ـ عربي .
4 ـ قاموس انكليزي ـ عربي مختصر .

توفي في لبنان سنة 1886 م .

ـ أديب إسحق

ينحدر من عائلة أرمنية هاجرت من أرضروم إلى دمشق هرباً من الإضطهادات العثمانية . كان جدّه يدعى إسحق زولماطيان ويشغل منصباً هاماً في مديرية جمارك دمشق . دُعي والده أبراهام فيما بعد باسم عبد الله بن إسحق فعُرفت العائلة بهذا الأسم . وُلد إسحق سنة 1856 م في دمشق ،وبدأ بكتابة الشعر وهو في العاشرة من عمره . ثمّ انتقل إلى بيروت ، واستلم رئاسة تحرير جريدة « التقدّم » . لقد أطلقت الحكومة اللبنانية على أحد الشوراع في حي السرسق ببيروت اسم المفكّر والشاعر أديب إسحق .

* * *

وقعت الهجرة الأرمنية الكبرى إلى لبنان عقب الإضطهادات العثمانية للأرمن في تركية سنة 1895 م وسنة 1909 م . وقد هاجر الأرمن من قيصرية وأضنة ومرعش وعينتاب والرّها . . . ، وللتو أسسوا المدارس والكنائس والجمعيات المختلفة والأندية الرياضية وأولوا التعليم العالي بخاصة أهمية كبيرة ،مما ساعد على تنظيم الجالية واستقرارها في لبنان . ويُذكر أنّ عدد الأرمن في الفترة الممتدّة ما بين السنوات

1895 ـ 1914 م كان يبلغ نحو 800 ـ 1 000 أرمني أو نحو 100 ـ 120 عائلة أرمنية[16] .

انتظمت الجالية الأرمنية في لبنان بعد المذبحة الكبرى سنة 1915 م . فقد قَدم المنفيون الأرمن إلى سورية في بادىء الأمر ، ثمّ هاجر بعضهم إلى لبنان سنة 1918 م . وازداد عددهم ازدياداً كبيراً أثناء نكبة كيليكيا سنة 1922 م . ويُذكر في هذا الصدد أنّ الأرمن دخلوا إلى لبنان عن طريق مرفأ بيروت سنة 1922 م ،وبقي 53 000 منهم على امتداد سكة حديد بيروت ـ طرابلس ، بينما توزع 12 000 أرمني في الجبال اللبنانية[17] .

ولا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد الأرمن وأماكن انتشارهم في سورية ولبنان ، بيد أنّه ذُكر في بعض المصادر الأرمنية ، أنّ عدد الأرمن في سورية ولبنان سنة 1925 م كان يبلغ 150 000 أرمني يتوزعون على النحو التالي[18] :

- حلب وضواحيها 90 000
- بيـــروت 18 000
- دمـــشـــق 8 000
- اسكندرونة 8 000
- مختلف المناطق اللبنانية . 6 000
- طرابلس وزغرتا 5 000
- زحلة والمناطق المجاورة .. 2 000
- صور وصيدا................ 3 000
- جونية 2 500

في سنة 1930 م كان عدد الأرمن في بيروت يبلغ 500 عائلة أرمنية[19] . وفي بيروت كان الأرمن يتمركزون في مخيّمات للاجئين ،سرعان ما تحولت إلى

ضاحيات جميلة وغدت بيروت المركز الرئيس لتجمّع الأرمن ، بل كان لهم أحياء خاصة بهم فيها : « كرم الزيتون » أو « هاياشين » (أُقيم سنة 1927 م) و « مرعش الجديدة » (أُقيمت في 29 أيار 1929 م) و « آمانوس » (أُقيم في 24 آب سنة 1935 م) و « هاجن الجديدة » و « أنطلياس » و « الأشرفية » . وكانت توجد جاليات أرمنية صغيرة في جونية وغزير وبكفيّا وعالية وزحلة وشتورة وبعلبك ورياق وطرابلس وصيدا وصور .

وفي سنة 1928 م انتقل الكرسي الكاثوليكوسي لبيت كيليكيا الكبير للأرمن الأرثوذكس من مدينة سيس في كيليكيا إلى أنطلياس في بيروت . وتباعاً أُنشئت مباني الكاثوليكوسية والتي كانت من أهمها كاتدرائية « القديس كريكور المنّور » (سنة 1940 م)وصرح الشهداء (23 نيسان سنة 1939 م) . وافتُتحت مدرسة اللاهوت في 12 تشرين الأول سنة 1930 م وأُنجزت مبنى المدرسة سنة 1938 م ، ونُظّمت المكتبة وبدأت المطبعة بعملها سنة 1949 م ،وأُقيم مبنى مقرّ الكاثوليكوس الجديد سنة 1966 م وضريح الجثالقة سنة 1965 م . . . .

وفي السنة نفسها (1928 م) أيضاً انتقلت بطريركية الأرمن الكاثوليك من اسطنبول إلى بيروت وأُقيم مقرّها الجديد سنة 1932 م . بينما أُنجزت كنيسة الأرمن الانجيليين سنة 1945[20] .

وقعت هجرة أرمنية أخرى إلى لبنان سنة 1939 م أثناء سلب الأتراك للواء الاسكندرونة . فقد هاجر نحو 15 000 أرمني من منطقة السويدية واستقرّوا في بلدة عنجر اللبنانية التي وضع مخططها المهندس الأرمني هاكوب كيشيشيان سنة 1940 م ، وفي نهاية سنة 1941 م كان قد تمّ إنجاز 1065 منزلاً ، وهي اليوم بلدة جميلة خضراء[21] .

وأثناء الحروب العربية ـ الاسرائيلية سنة 1948 م ، هاجر الألوف من الأرمن من فلسطين إلى لبنان .

سنة 1963 م كان عدد الأرمن في لبنان يبلغ 000 110 أرمني ، 000 100 أرمني تمركز في مدينة بيروت ، بينما توزع الباقون في زحلة وعنجر وطرابلس وشتورة وبكفيّا وعاليه وصيدا .

* * *

وتُعدّ الفترة الممتدّة بين السنوات 1930 ـ 1970 م أهم مرحلة من مراحل حياة الجالية الأرمنية في لبنان . لقد برع الأرمن وبرزوا في مختلف الميادين وامتدّ نشاطهم إلى الفعاليات الاقتصادية والثقافية والفنية والرياضية والمِهن الحرّة ، بل وانخرطوا في الحياة السياسية ، وانتُخب أول نائب لهم سنة 1934 م وهو السيد وهرام ليلكيان ، بينما كان أول عضو في مجلس المحافظة الدكتور كاركين طابوريان (ما بين السنوات 1934 ـ 1937 م)[22] .

وتبنّى الأرمن قضية استقلال لبنان ودافعوا عنها ، وقدّرت الصحافة اللبنانية موقف أبناء الشعب الأرمني في لبنان[23] . وفي 24 تشرين الثاني سنة 1943 م زار وفد حكومي رسمي كاثوليكوسية الأرمن الأرثوذكس لبيت كيليكيا الكبير ، وعبّر أعضاء الوفد عن إمتنانهم إزاء موقف الأرمن في لبنان من قضية استقلال لبنان ، وفي 11 كانون الأول سنة 1943 م زار سيادة الرئيس بشارة الخوري مطرانية الأرمن الأرثوذكس ، وأعلن أنّ الجالية الأرمنية في لبنان جزء لا يتجزأ من الشعب اللبناني[24] .

وكان الاستقلال في 22 تشرين الثاني سنة 1946 م .

وازداد مع الزمن عدد النوّاب الأرمن في المجلس النيابي اللبناني وبرز منهم المحامي خاتشيك بابيكيان والسيد سورين خانامبريان ، وهناك العديد من الوزراء الأرمن في الحكومة اللبنانية نذكر منهم المحامي شاهي برصوميان .

في المجال الثقافي . يعود تاريخ تأسيس أول مدرسة أرمنية في لبنان إلى سنة 1859 م في باحة دير القديس نيشان للأرمن الأرثوذكس ، ثمّ تأسست من

جديد سنة 1902 م وكان عدد الطلاب يبلغ نحو 40 ـ 50 طالباً وطالبة[25] .

وفي الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1887 ـ 1915 م بلغ عدد الخريجين الأرمن من الجامعتين الأمريكية والفرنسية في بيروت 188 طبيباً و 62 صيدلانياً وثلاثة أطباء أسنان وتسع ممرضات[26] .

وفي سنة 1963 م بلغ عدد الأطباء الأرمن في لبنان 90 طبيباً و 40 صيدلانياً و 85 طبيب أسنان وعشرة كيميائيين و 225 ممرضة وعشر قابلات قانونيات[27] .

وفي المجال الصناعي . طوّر الأرمن صناعة الدباغة في لبنان وامتلكوا عشرة من معاملها التي تصدر منتوجاتها إلى الخارج . وكذلك صناعة الاسفنج الصناعي ويصدّر معظم إنتاجها إلى دول الخليج العربي والبلاد العربية الأخرى . ثمّ صناعة الأدوات المنزلية التي تطورت بعض معاملها إلى شركات لبنانية مساهمة .

وتفوّق الأرمن في مختلف الحرف والمِهن ولا سيما في الصياغة والميكانيك والخياطة والتصوير الفوتوغرافي وتصليح الساعات وصناعة السجّاد والبسط والتطريز . . . .

وفي المجال التجاري . أنشأ هوفهانيس خوكازيان أو حنّا خوكاز في منتصف القرن التاسع عشر أو سوق تجاري كبير في بيروت والمعروف باسم « سوق الأرمن » . وكان الأرمن يتاجرون بالأصبغة والجلود والصابون والتوابل والحبوب ، وكانت مؤسسة « كلبنكيان » من أبرز المؤسسات التجارية في لبنان منذ مطلع القرن العشرين .

وعمد الأرمن في بداية الخمسينات إلى تأسيس شركات تجارية صغيرة ما لبثت أن تحولت إلى شركات ضخمة لها علاقات واسعة ليس مع الدول العربية ودول الشرق الأوسط فحسب بل مع الدول الأوروبية أيضاً . كما أنّ المحلات التجارية المختلفة في بيروت والمدن اللبنانية الأخرى ساهمت مساهمة فعّالة في تنشيط التجارة اللبنانية .

وفي المجال المعماري . لَمَعَ الأرمن في لبنان في مجال الهندسة أيضاً ،ونذكر على سبيل المثال : المهندس باسكال بابوجيان الذي صمّم بعض المساجد في العراق

والكويت ، والعديد من الكنائس والمصحّات والمدارس في لبنان . والمهندس كيورك كراجرجيان الذي صمّم بعض الحدائق العامة في بيروت ومبنى « معهد هايكازيان » سنة 1960 م وبعض أبنية مجمّع كاثوليكوسية الأرمن الأرثوذكس لبيت كيليكيا الكبير في أنطلياس . والمهندس خسروف يراميان وقد بلغ عدد طلابه الذين تخرجوا من الجامعة الأمريكية نحو 1 600 طالب ، وله العديد من المنجزات العمرانية الضخمة . والمهندس الفنّان مارديروس ألطونيان الذي صمّم مبنى مجلس النوّاب اللبناني ومبنى المتحف في بيروت وكنسية « القديس كريكور المنّور » في مجمّع كاثوليكوسية الأرمن الأرثوذكس .

وعلى صعيد المحاماة . فقد عرفت المحاكم اللبنانية أسماء لامعة وضمّت نقابة المحامين بين صفوفها العشرات من أبناء الجالية الأرمنية في لبنان . وفي سنة 1974 م ولأول مرة في تاريخ لبنان انضمّ المحامي زوهراب عيوازيان إلى سلك القضاء اللبناني .

ولا بدّ من ذكر الصحافة الأرمنية في لبنان ،التي نشأت في العشرينات من هذا القرن ، وأول جريدة صدرت كانت باسم « بونيك » سنة 1924 م ،ثمّ استبدلت سنة 1927 م بجريدة « آزتاك » التي لا تزال تصدر إلى اليوم . وهناك جريدة « زارتونك »التي صدرت سنة 1936 م وجريدة « آراراد » التي صدرت سنة 1937 م وهما لا تزالان تصدران إلى اليوم أيضاً ، ثمّ شهرية « هاسك » وهي النشرة الرسمية لكاثوليكوسية الأرمن الأرثوذكس وقد تأسست سنة 1931 م ولا تزال تصدر إلى اليوم ،فضلاً عن العديد من النشرات والدوريات التي استمرت في الصدور أيام المحنة اللبنانية الأخيرة[28] .

في المجال الفني . برز من الجالية الأرمنية في لبنان رسّامون محترفون ونحّاتون محترفون أمثال : بول كيراكوسيان وزافين خدشيان ، ومخرجون قديرون ، أمثال : جورج سركيسان وڤاروجان خدشيان . وعازفون وعازفات ومغنّون ومغنّيات ومفكّرون

وأدباء أمثال : سيمون سيمونيان والباحث العالم الكاثوليكوس كاركين الأوّل هوسيبيان ، والكاتب الصحفي آنترانيك زاروكيان والكاتب الأديب موشيغ إشخان والأديب الصحفي بوغوص سنابيان وغيرهم .

والجالية الأرمنية في لبنان حافظت وتحافظ على كيانها بفضل مدارسها وثانوياتها ومعاهدها العالية وكنائسها وجمعياتها الثقافية والخيرية وأنديتها الرياضية ومستوصفاتها ومكتباتها ودور نشرها ومطابعها ، مما لا مجال لذكره هنا .

* * *

ولا ريب أنّ محنة لبنان الأخيرة تركت آثارها الأليمة على الجالية الأرمنية في لبنان أيضاً من الناحيتين المادية والمعنوية على حد سواء ،فهاجر الأرمن ، على الأغلب ، إلى كندا والولايات المتحدة الأمريكية وهم لا يزالون يحنّون إلى لبنان وربوعه الخضراء .

الحواشي

1) إنّ الأرمن وفق المؤرخ الأرمني موسيس خوريناتسي ينحدرون من نسل جومر أو توجرمة أو توغرومة أو طوغرومة الذي ينحدر من سلالة نوح ، (موسيس خوريناتسي ، تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 22).

2) الكتاب المقدس ، الاصحاح ، 27 : 14 .

3) مروان المدوّر ، الأرمن عبر التاريخ ، ص 517 .

4) موسيس خوريناتسي ، تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 141 .

5) هاكوب مانانتيان ، دراسة علمية لتاريخ الشعب الأرمني (بالأرمنية) ، 1 : 155 ـ 156 ، و (بيدروس) هـ . هوفهانيسيان و آ (شـود) ك . أبراهاميان ، مختارات من تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور حتى القرن التاسع (بالأرمنية) ، 1 : 221 ، ومروان المدوّر ، الأرمن عبر التاريخ ، ص 518 ، و (نيكولا) هـ . هوفهانيسيان ، المحنة اللبنانية وموقف الجالية الأرمنية في لبنان (1975 ـ 1982) (بالأرمنية) ، ص 34 .

6) ليو ، الأعمال الكاملة (بالأرمنية) ، 1 : 143 .

7) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 240 ـ 241 ، 376 .

8) المصدر نفسه ، 2 : 453 .

9) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 1 : 8 .

10) المصدر نفسه ، 1 : 9 .
11) الأب ميسروب طرزيان ، دير بزمّار الأرمني (بالأرمنية) ، ص 14 .
12) المصدر نفسه ، ص ص 21 ـ 22 . (بالأرمنية) ،
13) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 18 .
14) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 2 : 19 .
15) انظر المصدر نفسه ، 1 : 51 ـ 228 ، والأب لويس شيخو ، كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص 3 .
16) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 1 : 432 .
17) د . صالح زهر الدين ، الأرمن شعب وقضية ، ص 237 .
18) أسبوعية « ناقوس أرمينيا » (بالأرمنية) ، 20 حزيران 1925 م ، العدد 25 ، ص 794 .
19) المصدر نفسه ، 15 شباط 1930 م ، العدد 7 ، ص ص 202 ـ 204 .
20) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 2 : 227 ـ 230 .
21) المصدر نفسه ، 3 : 404 ـ 405 ، 414 ـ 417 .
22) المصدر نفسه ، 2 : 72 .
23) جريدة « بيروت » ، 26 تشرين الثاني 1943 م .
24) جريدة « صوت الشعب » (بالأرمنية) ، 11 كانون الثاني 1943 م .
25) سيساك هاكوب فرجبيديان ، الأرمن في لبنان (بالأرمنية) ، 2 : 441 .
26) المصدر نفسه ، 1 : 458 ـ 465 .
27) المصدر نفسه ، 2 : 26 .
28) انظر جيراير تانيليان ، الصحافة الأرمنية في لبنان أثناء سنوات الحرب (1975 ـ 1984م) (بالأرمنية) ، بيروت ـ 1986م.

الفصل الثالث

العراق

إن بلاد ما بين النهرين ـ وهي التي نشأ العراق على امتدادها فيما بعد ـ ، تُعدُّ إحدى البلاد المجاورة لأرمينيا من الجنوب ، والتي نزلت ميدان التاريخ معها منذ أزمنة موغلة في القدم . وحواشي المخطوطات الأرمنية ولا سيما تلك التي نسخت في انطاكية والرها وبغداد وحلب ، هي من أهم المصادر التي تمدّنا بأخبار الجاليات الأرمنية في بلاد ما بين النهرين[1] .

العلاقات التاريخية بين أرمينيا وبلاد ما بين النهرين قديمة جداً ، فقد وردت في الكتابات المسمارية الأورارتية والآشورية أدلّة عدّة على وجود علاقات مباشرة ، بين الشعوب في كلا البلدين[2] ، وكانوا يحاربون بعضهم بعضاً أحياناً ويتحالفون أحياناً أخرى . ويَعتقد البروفسور آشود : ك . أبراهاميان أنّ أسطورة «آرا وشاميرام» خُلقت في تلك الأزمنة البعيدة[3] ، والتي سجّلها موسيس خوريناتسي للمرة الأولى في مؤلفه « تاريخ الأرمن » أو « تاريخ الأمة الأرمنية »[4] .

ووفق البروفسور آ . ك . أبراهاميان ، فإنّ أقدم المعلومات الموثوقة عن هذه العلاقات يخبرنا بها المؤرخ اليوناني هيرودوتس (484 ـ 425 ق . م) ، الذي يصف بدقّة كيف كان الأرمن يشتركون في الحركة التجارية العالمية وينقلون الأمتعة المختلفة عن طريق نهر الفرات إلى بابل[5] . إلاّ أنّه لا يُعتقد بوجود جاليات أرمنية في بلاد ما بين النهرين في

تلك الفترة ، على الرّغم من أنّ المؤرخين يتّفقون في موضوع وجود جاليات أرمنية صغيرة في بلاد الفرس الأخمينية (559 ـ 330 ق . م) حيث وَرد في الكتابات التي سجّلها الملك الفارسي ،داريوس الأول (522 ـ 486 ق . م) على صخرة بهستون سنة 520 ق . م ،أنّ رجلاً أرمنياً يدعى آراخا ثار في بابل ونصب نفسه ملكاً بمساندة السكان المحليين . ولربّما كان آراخا يخدم في الجيش الفارسي الذي كان يضمّ فيالق أرمنية دائمة[6] .

وعلى الأرجح فإنّ أولى الجاليات الأرمنية في شمالي بلاد ما بين النهرين تكوّنت أثناء حكم المملكة الأرمنية الأرداشيسية (189 ق . م ـ 1 م) في أرمينيا . وفق استرابون لقد احتلّ الامبراطور الأرمني ديكران العظيم أديابن وسائر مناطق بلاد ما بين النهرين أيضاً (89 ـ 85 ق . م)[7] . فهاجرت جماعات من الأرمن إلى هناك ، فضلاً على أنّ العاصمة الجديدة للامبراطورية الأرمنية ديكراناكيرت (أو ميّافارقين) كانت مركزاً حضارياً ثقافياً وتجارياً كبيراً وتقع على الحدود الجنوبية من أرمينيا[8] .

ويُذكر أنّ المصادر الخطية تؤكد وجود هذه الجاليات ، وفق معلومات المؤرخين الرومان فإنّه أثناء حملات غراسوس سنة 53 ق . م ،كانت تعيش جماعات من الأرمن على سفوح سلسلة الهضاب الواقعة من حرّان ، بينما ذكر المؤرخ آبّولينس سنة 44 ق . م أنّه أثناء رحلة قام بها إلى بلاد ما بين النهرين ،رأى في شمالي البلاد العديد من القرى التي كان يسكنها الأرمن[9] .

يؤكد المؤرخون الأرمن أنّه أثناء فترة حكم الفرس الساسانيين (224 ـ 642 م) كانت توجد جالية أرمنية في العاصمة طيسفون تتألف ، على الأغلب ،من التّجار والعاملين في الدولة ،ومن الرهائن . وعندما

قُسّمت أرمينيا سنة 387 م بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ، وحصلت الامبراطورية الساسانية على القسم الأكبر منها ،كان الأمراء (النخارار) الأرمن ،مجبزين على الذهاب إلى العاصمة طيسفون وحفظ ممثلين عنهم في البلاط الفارسي[10] .

ووفق المؤرخين الأرمن في القرنين الرابع والخامس للميلاد فقد تمّ نقل أعداد كبيرة من الأرمن أسرى ولمرّات عديدة إلى بلاد ما بين النهرين .يشهد المؤرخ الأرمني بافستوس بيزنط أنّ الملك الفارسي شابور الثاني (309 ـ 379 م) هاجم أرمينيا سنة 364 م ودمّر مدنها الزاهرة وساق العديد من الأرمن أسرى إلى خوزستان ومناطق نهري الفرات والدجلة[11] . كما يشهد المؤرخ الأرمني يغيشه أنّه عندما بدأت الحركات التحررية في أرمينيا سنة 451 م ضد الفرس الساسانيين ، نُفيت جماعات كبيرة من الأرمن إلى بابل[12] .

ومن الأدلّة الموثوقة على وجود جالية أرمنية كبيرة في بلاد ما بين النهرين في القرن الخامس للميلاد ، أنّه في سنة 410 م اشترك ممثلو أبرشية نصيبين أيضاً ، والتي كانت تدخل بعض مناطق بلاد ما بين النهرين الشمالية في حدودها[13] ، في المجمع الديني الكبير الذي عقده كاثوليكوس الأرمن ساهاك الأول بارثيف (387 ـ 436 م) . ولا بدّ من ذكر دور التجارة أيضاً عندما غدت مدينة دُبّيل الأرمنية في القرن السادس للميلاد مركزاً تجارياً كبيراً ،وكان الرابع من طرقها التجارية الخمسة يربط أرمينيا مع بلاد ما بين النهرين[14] .

يذكر البروفسور آشود ك . أبراهاميان أنّه عندما احتلّ البيزنطيون مدينة آمد سنة 504 م ، قتلوا عدداً كبيراً من الأرمن المحليين لتعاطفهم مع

الفرس بينما ساقوا 600 18 أرمني أسيراً إلى بيزنطة ، مما يدلّ على كثرة الأرمن آنذاك في شمالي بلاد ما بين النهرين[15] .

ومما يثبت وجود جالية أرمنية في بلاد ما بين النهرين ، تلك الكلمة التي وجهها كاثوليكوس الأرمن كريستابور الأول ديراريتشي (539 ـ 545 م) إلى الأرمن القاطنين في خوزستان وآشور ، وكان يحث فيها المؤمنين الأرمن على عدم اعتناق النسطورية[16] . وهناك معلومات تفيد أنّ الكاثوليكوس نفسه زار تلك الجاليات للغاية نفسها[17] .

أثناء النزاعات الفارسية ـ البيزنطية في القرن السادس وفي الربع الأول من القرن السابع للميلاد ، انتقل بعض الأمراء الأرمن إلى بلاد ما بين النهرين هرباً من ظلم السياسة البيزنطية . ويشهد المؤرخ الأرمني سيبيوس ـ الذي كان شاهد عيّان للفتح العربي لأرمينيا ـ أنّ الأمراء الأرمن الذين لجؤوا مع عائلاتهم وجيوشهم إلى البلاط الفارسي استُقبلوا استقبالاً حافلاً من قبل الملك الفارسي خسروف الثاني (كِسرى أبرويز) (590 ـ 628 م)[18] .

مع بدء الخلافة العربية سنة 637 م حتى وقوع عاصمة العبّاسيين بغداد بيد السلاجقة سنة 1065 م ، يذكر المؤرخون الأرمن أنّه وقعت حوادث تهجير من أرمينيا ، إحداها كانت إلى بغداد سنة 852 م ويشهد عليها المؤرخ الأرمني موسيس كغانكدواتسي[19] . ويُعتقد بأنّ عدد الأرمن في بغداد كان كبيراً أثناء إنشائها سنة 762 م[20] ، كما يشهد المؤرخ الأرمني توما آردزروني بأنّهم كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة[21] .

من ناحية أخرى ، وأثناء الحكم العربي على أرمينيا كانت المدن الأرمنية ترتبط مع سورية وبلاد ما بين النهرين بطرق تجارية عدّة ، وعلى

سبيل المثال فإنّ الطريق الذاهب من آسيا الوسطى إلى الغرب كان ينقسم في مدينة الموصل ـ أحد المراكز الرئيسة لتجمّع القوافل ـ إلى قسمين ، أحدهما كان يذهب إلى أغوار آسيا الصغرى ماراً من مدينة نصيبين ، والثاني كان يصل إلى الرقّة ماراً من آمد وسمساط والرها وحرّان[22] بيد أنّه يُقال : إنّ الجاليات الأرمنية القديمة اضمحلّت في الفترة المذكورة ، بغض النظر على أن المؤرخين العرب ذكروا في مؤلفاتهم شخصيات أرمنية بارزة خدمت دولة الخلافة العربية أمثال أبو الحسن علي بن يحيى الأرمني .

نشطت الجاليات الأرمنية في القرن العاشر للميلاد ، ولا سيما في المناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين ، عندما احتلّ البيزنطيون هذه المناطق وأسكنوا الأرمن واليونانيين والسريان فيها . وهناك معلومات تُفيد بأنّ الجالية الأرمنية في شمالي بلاد ما بين النهرين ، في نهاية القرن العاشر للميلاد كانت كبيرة ، مما استدعى قيام أبرشية كانت تابعة لكاثوليكوسية آخطامار الأرمنية ، التي كانت تصل حدودها الجنوبية إلى الموصل[23] . ويقول المقدسي إنّ حركة الملاحة على نهر الدجلة أيضاً كانت نشيطة ، وكانت البضائع تنحدر من أرمينيا إلى بغداد مارّة بالموصل[24] .

وعندما حصلت مجاعات كبيرة في آسيا الصغرى ، في السنوات 1079 ـ 1080 م هاجر الألوف من الأرمن واستقرّوا في بلاد ما بين النهرين وشمالي سورية[25] .

لقد ألحقت غزوات السلاجقة الأتراك أضراراً بالغة في الجاليات الأرمنية ، وكانت غزوات المغول والتتار أكثر مأساوية من سابقتها . وتُفيد المعلومات التاريخية أنّه في سنة 1222 م كانت توجد جالية أرمنية كبيرة في البصرة وضواحيها ، فقد أُقيمت أبرشية جديدة فيها يُعتقد بأنّ مطرانها كان

الأسقف صوغمون أو سليمان[26] . بينما يشهد المؤرخ الأرمني كيراكوس كانتساكتسي أنّه بعد سقوط بغداد بيد المغول والتتار سنة 1258 م ، كانت لا تزال توجد جاليات أرمنية في بغداد[27] . وتجدر الإشارة إلى أنّه أثناء فترة حكم الإلخانيين في إيران (1256 ـ 1336 م) كان الأرمن في العاصمتين ، السلطانية وتبريز ، يحتلّون مراكز مرموقة ، ويُعتقد أنه كانت توجد أبرشيتان في العراق إحداهما في السلطانية والثانية في بغداد[28] . لقد ورد في حاشية مخطوطة أرمنية نُسخت سنة 1354 م في السلطانية أنّ الأسقف سركيس كان مطران الأرمن في بغداد[29] .

وتقرّ المصادر الأرمنية بوجود جالية أرمنية في الموصل أيضاً في هذه الفترة ، وكذلك في مدينتي أربيل وكرمليس القريبتين من الموصل . وقد نُسخت سنة 1352 م في الموصل مخطوطة أرمنية ، مما يؤكد على وجود الأرمن في تلك المناطق[30] .

تقهقرت الجالية الأرمنية في العراق تقهقراً كبيراً عقب غزوات تيمورلنك سنة 1397 م وسنة 1401 م ، ولم ترد أية شهادات عن هذه الجالية في المصادر التاريخية الخاصة بالربع الأول من القرن الخامس عشر للميلاد ، بل أُخذ الأرمن بأعداد كبيرة أسرى إلى الشرق . بيد أنّه في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر للميلاد ازدهرت الجالية الأرمنية في مدينة ماردين ، ونُسخت هناك مخطوطات أرمنية في السنوات 1356 م و 1372 م و 1426 م ، وذُكرت في إحدى هذه المخطوطات كنيسة الأرمن الأرثوذكس « مار جرجس » والأسقف أبراهام . وورد في حاشية مخطوطة أرمنية كتبها الأب هاكوب سنة 1452 م أنّه كان يوجد في ماردين كرسي أسقفي كان لا يزال قائماً حتى ذلك الزمان[31] .

في القرن السابع عشر وقعت ثلاث هجرات جماعية إلى العراق ،فنشطت الجالية الأرمنية في بغداد وكذلك في الموصل .

فالموجة الأولى كانت تضمّ الأرمن الذين ساقهم الشاه عباس سنة 1604 ـ 1605 م إلى أصفهان ،إذ هاجرت جماعات منهم إلى العراق واستقرّت في المدن الجنوبية منه .

والموجة الثانية قدمت حوالي سنة 1616 م من تركية هرباً من ظلم الجلاليين .

أما الموجة الثالثة فقد وقعت سنة 1638 م عندما احتلّ الأتراك مدينة بغداد(32) .

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر كانت توجد جاليات أرمنية صغيرة في بندر عبّاس وبوشير وغيرها من المناطق العراقية .

في الثمانينات من القرن السابع عشر للميلاد بدأت بغداد تُذكر في حواشي المخطوطات الأرمنية وفي مؤلفات الرحالة الأرمن والأجانب على أنّها مركز تجاري كبير . ويُذكر أنّه في سنة 1604 م كانت توجد في بغداد وضواحيها جالية أرمنية صغيرة(33) . وتذكر المصادر الأرمنية أنّ بغداد في هذه الفترة كانت من أبرز مراكز نسخ المخطوطات الأرمنية في الشرق الأدنى .

في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر للميلاد قدمت موجة جديدة من المهاجرين الأرمن من مختلف المدن الإيرانية ،استقرّوا في البصرة ،وتتفق المصادر على أنّها كانت ثاني مدن العراق بعد بغداد . وفي هذه المرحلة كانت الجالية الأرمنية في العراق تضمّ كبار التّجار الذين كانوا يتاجرون بالأحجار الكريمة ، كما ذكر أنّ بعض التجّار الأرمن في البصرة كانوا يملكون سفناً تجارية تعمل في المحيط الهندي ، فضلاً عن الأطباء

والمهندسين والحرفيين والزراعيين والعمال .

يُعدّ النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد أهم مرحلة من مراحل تاريخ الجالية الأرمنية في العراق ، ذلك لأنّ المدن العراقية الساحلية كانت قد غدت مراكز تجارية هامة في تلك الفترة . ويُذكر أنّ أبرشية الأرمن الأرثوذكس في العراق كانت تضمّ بغداد والبصرة وبندر عبّاس وبندر بوشير وغراجوران وبندر ريق والقرى والبلدات المجاورة لهذه المدن .

ووفق المصادر الأرمنية ، فقد تلقّت الجالية الأرمنية ضربة قاضية من مرض الطاعون المنتشر في العراق في السنوات 1771 ـ 1772 م ، فقد توفي في البصرة 55 000 نسمة كان 40 000 منهم من الأرمن . وفي سنة 1831 م وعقب انتشار الطاعون مرة ثانية في بغداد فإنّه من أصل 130 عائلة أرمنية كانت تضمّ 673 أرمنيّاً بقي 27 أرمنيّاً ، بعد أن هاجر بعضهم الآخر إلى مناطق أخرى[35] .

لا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد الأرمن في بغداد في القرن الثامن عشر للميلاد ، ويُعتقد أنّه كانت تعيش في بغداد نحو 200 ـ 300 عائلة أرمنية[36] ، ولا توجد معلومات مستفيضة عن حياة الأرمن هناك .

عقب الإضطهادات العثمانية للشعب العراقي في نهاية القرن التاسع عشر ، تعرضت الجالية الأرمنية بدورها إلى خسارات فادحة ، فهاجر بعض الأرمن إلى الهند وإيران وبعضهم الآخر إلى البلاد الأوروبية ، وتذكر بعض المصادر الأرمنية أنّه بقيت في العراق 150 عائلة أرمنية ، منها 90 عائلة في بغداد والباقي في البصرة والموصل .

وكان عدد الأرمن حتى بداية الحرب العالمية الأولى لا يتجاوز الألف . وفي أيام النكبة الكبرى سنة 1915 م ، تمتّع أبناء الجالية الأرمنية في العراق

بحماية الشعب العراقي . وكان والي بغداد ، سليمان باشا أحد أولئك الذين وقفوا ضد الإجراءات اللاإنسانية لحكومة الأتراك وضحّوا بوظائفهم في سبيل حرية الضمير .

في آذار سنة 1917 م عندما احتلّ الانكليز بغداد هاجر نحو 25 000 أرمني من المناطق الجنوبية ـ الشرقية لأرمينيا الغربية ومن منطقة أُرمية في إيران إلى العراق .

سنة 1918 م كانت مخيّمات اللاجئين الكائنة في بلدة باكوبا تضمّ نحو 50 000 ـ 60 000 لاجيء أرمني وآشوري ، منهم 15 000 أرمني كانوا من المنفيين من منطقة الڤاسبوراكان[37] . بينما بلغ عدد الأرمن في الموصل 8 000 أرمني[38] .

وفي سنة 1924 م ، نظّمت مطرانية الأرمن الأرثوذكس في العراق الإحصائية التالية عن توزع الأرمن في العراق[39] :

	عائلة	شخص
ـ في مخيمات نرهومر	628	1995
ـ في البصرة	152	427
ـ في مخيم كيلان في بغداد	647	2222
ـ في منطقة هنايت في بغداد ...	33	111
ـ في بـغـداد	134	445
ـ في القرى المجاورة لبغداد ..	99	115
ـ في الموصل	191	640
ـ في منطقة جاروخ في الموصل ..	173	1584
	1987	6539

وكانت الجالية في هذه الفترة تضمّ الأطباء والمهندسين والمزارعين والخياطين وصنّاع الأحذية والخبّازين وأصحاب المتاجر والتجار والممرضين الخ[40] .

وفق آخر إحصائية فقد بلغ مجموع الأرمن في العراق نحو 18 000 أرمني توزّعوا على النحو التالي[41] .

ـ في بغداد	....	11 000 أرمني
ـ البصرة	....	2000 أرمني
ـ الموصل	....	100 أرمني
ـ كركوك	....	1 000 أرمني
ـ زاخو	....	1 000 أرمني
ـ مرقلي	....	968 أرمني
ـ حبّانية	....	550 أرمني
ـ خانقين	....	160 أرمني

وأما الباقي فقد توزّعوا في مدن السليمانية ودهول وغيرها .

* * *

ـ في المجال الثقافي[42] . كان المركز الواقع في صحراء طوفين بالقرب من مدينة ماردين من أشهر مراكز نسخ المخطوطات الأرمنية في القرنين الرابع والخامس عشر للميلاد ، ثمّ مركزي بغداد والبصرة في القرن الثامن عشر للميلاد . وبرز في بغداد الخطّاط مرقس بينما لمع في البصرة الخطّاط آسدوادزادور طاويطيان .

ومن المؤسف أنّه لم يصلنا من الآثار الثقافية لهذه الجالية التاريخية سوى

الشيء اليسير . وأقدم صرح معماري هو كنيسة « السيدة العذراء » في بغداد ، ويُعتقد أنّها تأسست قبل 600 سنة ، ثمّ أعيد ترميمها سنة 1840 م . وكنيسة « السيدة العذراء » في البصرة التي تأسست/ سنة / 1736 م .

وأقدم مدرسة أرمنية هي مدرسة « جارانكافوراتس » في بغداد تأسست سنة 1852 م ،ومدرسة « زابليان » الخاصة للبنات والتي تأسست سنة 1901 م . كما تأسست مدرسة « ڤارطانانتس » في البصرة سنة 1910 م . واليوم توجد خمس مدارس في المدن العراقية التي يعيش فيها الأرمن وهي بغداد والبصرة والموصل والكركوك .

وأقدم مطبعة تأسست في بغداد سنة 1874 م بمبادرة الأخوة طاطيوسيان ، وظهرت منها في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1890 ـ 1892 م أوّل دورية أرمنية باسم « الباقة » .

وفي المجال الصناعي . كانت أكبر ظاهرة صناعية في العراق امتلاك مؤسسة « كلبنكيان » الأرمنية لاستثمار النفط أسهماً في استثمار البترول العراقي .

* * *

واليوم : فللجالية جمعياتها الثقافية والخيرية وأنديتها الرياضية التي تنظم حياتها .

الحواشي

1) آ (شود) ك أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 425 .

2) (بيدروس) هـ . هوفهانيسيان و آ (شود) ك . أبراهاميان ، مختارات من تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور وحتى منتصف القرن التاسع (بالأرمنية) ، 1 : 21 .

3) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 35 .

4) موسيس خوريناتسي تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمّة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 61 ـ 63 .

5) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 428 .

6) المصدر نفسه ، 2 : 35 ، وهيرودوتس ، تاريخ (بالأرمنية) ، ترجمه إلى الأرمنية سيمون قرقه ياشاريان ، ص 80 .

7) (بيدروس) هـ . هوفهانيسيان و آ (شود) ك . أبراهاميان ، مختارات من تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور وحتى منتصف القرن التاسع (بالأرمنية) ، 1 : 21 .

8) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 392 .

9) هاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 67 .

10) المصدر نفسه ، ص 68 ، و آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 36 .

11) بافستوس بيزنط ، تاريخ الأرمن (بالأرمنية) ، ص ص 220 ـ 222 و 224 ـ 225 .

12) يغيشه ، عن ڤارطان وحرب الأرمن (بالأرمنية) ، ص 170 .

13) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 37 .

14) ليو ، الأعمال الكاملة (بالأرمنية) ، 1 : 143 ـ 144 .

15) آ (شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 37 ـ 38 .

16) البطريرك ماغاكيا أورمانيان ، « آزكابادوم » (بالأرمنية) ، 1 : 530 .

17) أسبوعية « ناقوس أرمينيا » (بالأرمنية) ، 3 تموز 1948 م ، العدد 27 ، ص 630 .

18) (بيدروس) هـ . هوفهانيسيان و آ (شود) ك . أبراهاميان ، مختارت من تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور وحتى منتصف القرن التاسع (بالأرمنية) ، 1 : 677 ـ 681 .

19) موسيس كنانكدواتسي ، تاريخ بلاد الأغوان (بالأرمنية) ، ص ص 260 ـ 261 .

20) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 358 .

21) توما آردزروني وآنانون ، تاريخ آل آردزروني (بالأرمنية) ، ص ص 176 ـ 219 .

22) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 9 .

23) الكاثوليكوس كاركين الأول هوسيبيان ، حواشي المخطوطات

(بالأرمنية) ، 1 : 192 .
24) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ص 138 .
25) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 405 .
26) المصدر نفسه ، 2 : 396 ،والموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 4 : 462 ـ 1 .
27) كيراكوس كانتساكتسي ،تاريخ الأرمن (بالأرمنية) ، ص ص 270 ـ 275 .
28) أرشاك ألبوياجيان ،تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 397 .
29) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 40 .
30) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 398 ـ 399 .
31) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 42 .
32) المصدر نفسه ، 2 : 43 ، والموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 4 : 462 ـ 1 .
33) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 42 .
34) المصدر نفسه ، 2 : 46 .
35) المصدر نفسه .
36) المصدر نفسه ، 2 : 47 .
37) يغيشه ڤارطانيان ، من صحراء لصحراء (بالأرمنية) ، ص ص 53 ، 177 ، 222 .
38) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية

ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 158 .

39) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 50 .

40) المصدر نفسه .

41) المصدر نفسه ، 2 : 51 .

42) انظر المصدر نفسه ، 2 : 51 ـ 53 ، والموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 4 : 462 ـ 1 .

الفصل الرابع

فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية

تُعدّ الجالية الأرمنية في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة من أقدم الجاليات الأرمنية في الشرق التي كانت منظّمة ، منذ نهاية القرن الرابع ،وبداية القرن الخامس للميلاد .

فمن المرجّح بأنّه أثناء فتوحات الملك الأرمني ديكران العظيم وامتداد حدود الامبراطورية الأرمنية إلى فلسطين (84 ـ 64 ق . م) ، هاجرت جماعات من الأرمن واستقرّت في مختلف أرجاء فلسطين . وتذكر المصادر الأرمنية أنّ الملك ديكران العظيم ساق بالمقابل الآلاف من سكان فلسطين إلى أرمينيا وأسكنهم في مدينة آرمافير إحدى أقدم المدن الأرمنية وضواحيها ، وفي مدينة فان الأرمنية وغيرها من المدن[1] .

وعندما قامت الملكة هيلانة (توفيت سنة 46 م) ـ زوجة الملك آبكار ، ملك الرّها (13 ـ 51 م) ـ ببناء وترميم بعض الأماكن المقدّسة في القدس ، ـ ومنها البناء الهرمي على قبر السيد المسيح ،والدير الواقع في مكان التجلّي على جبل الزيتون ،وترميم الكهف الذي ولد فيه يسوع المسيح ،فيُعتقد بوجود أرمن في القدس وفي المدن الفلسطينية الأخرى في تلك الفترة .

بعد اعتناق الأرمن للمسيحية وإعلانها ديانة رسمية لهم في أرمينيا سنة 301 م ، توجّه في بادىء الأمر جماعات من الرهبان والنسّاك الأرمن إلى فلسطين لزيارة الأماكن المقدّسة ،ثمّ وفي نهاية القرن الخامس ومطلع القرن السادس للميلاد بدأ الحجّاج الأرمن من مختلف مناطق أرمينيا وكيليكيا بالذهاب إلى الأراضي المقدّسة ، وقد ضمّت إحدى القوافل نحو 400 شخص[2] .

وتتفق المصادر مع الاستكشافات الأثرية الأرمنية التي تمّت في فلسطين على أنّ هؤلاء الحجّاج هم الذين عمّروا الأديرة والكنائس ، وما إلى ذلك من النصب التذكارية في القدس والمناطق الفلسطينية الأخرى[3] .

كما أنّ التقليد القومي الأرمني وتاريخ الكنيسة الأرمنية ينسبان إقامة بعض الكنائس الكبيرة في القدس ،إلى القديس كريكور المنوّر في القرن الرابع للميلاد ، ومنها على سبيل المثال كنسية « الميلاد » وكنيسة « التجلّي » ، وأنّ الملك الأرمني درطاد الثالث (250 ـ 252 م و 283 ـ 290 م و 298 ـ 330 م) اشترك مع الامبراطور الروماني قسطنطين (306 ـ 337 م) ووالدته الامبراطورة هيلانة في بناء ضريح السيد المسيح وكنيسة « الفصح » على قبره والتي انتهت أعمالها الإنشائية سنة 335 م[4] . ويُذكر أيضاً أنّ مبتدع الأبجدية الأرمنية القديس ميسروب ماشدوتس وبعض من المترجمين الأوائل في أرمينيا زاروا القدس في القرن الخامس للميلاد . وكل هذا ، إنّ دلّ على شيء فإنّما يدلّ عن وجود جالية أرمنية ذات صبغة دينية في فلسطين[5] .

ومن الأدلّة الأخرى التي تثبت وجود الأرمن في الفترة المذكورة في فلسطين دير « القديس قره بيت » الكائن على جبل الزيتون ، حيث تذكر

المصادر الأرمنية أنّه بُني سنة 428 م بتمويل من البلاط الأرمني . ففي مطلع القرن العشرين تمّ الكشف على أرضية الدير وهي من الموزاييك[6] فظهرت أيضاً أربع كتابات أرمنية أثناء حفريات قام بها البلاط الروسي ، بغية بناء دير كبير على جبل الزيتون . وتتفق المصادر التّاريخية على أنّ هذه الكتابات تعود إلى الفترة الممتدّة ما بين القرنين الخامس والسادس للميلاد[7] .

في منتصف القرن الخامس للميلاد ،وعقب مجمع خلقدونية سنة 451 م[8] ، أسس الرهبان الأرمن في القدس رهبانية مستقلّة غدت أيام الخلافة العربية بطريركية الأرمن الأرثوذكس في القدس ومركزها دير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس لا تزال قائمة إلى يومنا هذا . ويُعتبر الرسول يعقوب مؤسس الكرسي البطريركي هذا ، فقد أسس سنة 31 م أول كرسي أسقفي في منزله على جبل صهيون . وتُعتبر البطريركية اليونانية استمراراً لهذا الكرسي الأسقفي أيضاً[9] .

ولعل من أهم مميزات هذه الجالية ذات الصبغة الدينية أنّها أُسست في الرهبانية المذكورة مدرسة كبيرة لنسخ المخطوطات ، تمّت فيها الأعمال العظيمة ، ولا سيما في مجال الترجمة من اللاتينية والعربية والجورجية والأثيوبية إلى اللغة الأرمنية وبالعكس . وتُعدّ هذه المدرسة أهم مدرسة بعد تلك التي كان قد أسسها مبتدع الأبجدية الأرمنية القديس ميسروب ماشدوتس في أرمينيا ، في القرن الخامس للميلاد[10] . ولمّا كان جميع الرهبان ،من مختلف الطوائف المسيحية يعملون معاً ،في القدس ، كانت الفرصة سانحة لإتقان اللغات والتعرّف على تصانيف ومؤلفات الآخرين . فعلى سبيل المثال يُذكر أنّه في رهبانية « مار سابا » اليونانية الذائعة الصيت

آنذاك في القدس ، كان يوجد العديد من الرهبان الأرمن الذين كانوا يعملون في مجال الترجمة[11] .

ونشأت في القرن السادس فضلاً عن الرهبانية والجالية الأرمنية ذات الصبغة الدينية ، جالية كانت تضمّ التجّار والحرفيين الأرمن ، لأنّ القدس كانت تقع على طريق تجارة المرور العالمية وكان دورها كبيراً في حياة بيزنطة الاقتصادية ، فغدت محطّ أنظار التجّار الأرمن أيضاً . ويذكر الباحث الأرمني المعاصر آشود ك. أبراهاميان أنّ الأرمن كانوا يقطنون في شارع خاص لهم باسم RUDA ARMENIORUM يقع في حي جبل صهيون[12] .

في سنة 553 م وعقب مجمع القسطنطينية الثاني لجأ عدد من الرهبان الأرمن إلى مصر هرباً من جور السياسة البيزنطية ، إلّا أنّ آخرين استقرّوا في القدس وكان عددهم يناهز الخمسمائة راهب بنصيحة من كاثوليكوس الأرمن ، هوفهانيس الثاني كابيغيان (557 ـ 574 م) الذي طلب منهم عدم التخلّي عن الكنيسة الأرمنية في القدس واستمرار نشاطاتهم الدينية والثقافية مع اتباع الأنظمة والقوانين المدنية المرعية في البلاد[13] .

في سنة 636 م دخلت فلسطين ضمن دولة الخلافة العربية وكان ذلك أيام خلافة الخليفة عمر بن الخطّاب (634 ـ 644 م) على يد القائد العربي أبي عبيدة بن الجرّاح . لقد أعطى عمر بن الخطّاب سنة 640 م كتاب أمان إلى أهالي مدينة القدس[14] ، وقام بزيارة كنائس القدس وبيت لحم برفقة البطريرك اليوناني[15] .

ووافق الخلفاء العرب من بعده على هذا العهد ، إلى أن جاء العثمانيون ، فنقضه أحد سلاطينهم .

وتذكر المصادر الأرمنية : أنّ انتخاب البطريرك الأرمني في القدس

كان يُصدّق من قبل الخليفة العربي[16] . وعلى الرغم من أنّ العرب تركوا لرعاياهم حرية العبادة الدينية ، فلا يُذكر الشيء الكثير عن الجالية الأرمنية وأحوالها في فلسطين في تلك الفترة .

كما تذكر المصادر الأرمنية : أنّ الأرمن في القرن السابع للميلاد كانوا يملكون نحو سبعين ديراً وكنيسة في فلسطين[17] ،ومن المرجّح على أنّ أغلبها كانت أديرة صغيرة . ويبدو من الجدول الذي نظّمه الأب آناستاس في نهاية القرن السابع ومطلع القرن الثامن للميلاد ، أنّها تمّ تشييدها أثناء حكم الملوك الأرشاقونيين (66 ـ 429 م) وبتمويل من البلاط الأرمني الأرشاقوني ،وكل عائلة من عائلات الأمراء الأرمن عمّرت بدورها ديراً أو كنيسة لا مجال لذكرها هنا[18] .

في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 868 ـ 883 م حكم الطولونيون فلسطين ومنحوا الجميع حرية العبادة الدينية[19] . وحكمها العبّاسيون في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 905 ـ 936 ، ثم الأخشيديون في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 936 ـ 968 م .

في القرن العاشر للميلاد تأثرت الجالية الأرمنية في فلسطين تأثراً كبيراً إثر النزاعات العربية ـ البيزنطية ، إلاّ أنّها عادت إلى سالف نشاطها عندما احتلّها الفاطميون سنة 969 م ، ولا سيما أيام الخليفة عزيز أبي منصور (975 ـ 996 م) .

في القرن الحادي عشر وأثناء نزاعات السلاجقة ـ الفاطميين تعرّضت الجالية الأرمنية لخسارات بالغة واضمحلّت على نحو محسوس . وتذكر المصادر الأرمنية : أنّ كاثوليكوس الأرمن كريكور الثاني فكاياسير (1066 ـ 1105 م) كان في القدس أثناء حصار المدينة[20] .

انتعشت الجالية الأرمنية في القدس سنة 1099 م عندما احتلّها الصليبيون وأقاموا مملكة القدس (1099 ـ 1291 م) . فاستقرّ في القدس عدد كبير من الجنود الأرمن الذين قدموا مع جيوش الصليبيين أو كانوا يخدمون فيها ، كما انضمّت مجموعات جديدة من الرهبان الأرمن إلى رهبانية الأرمن في القدس . ووفق المصادر التاريخية فقد كان الأرمن ينتشرون في كلّ أنحاء مملكة القدس ،وأنّ عددهم كان يبلغ نحو 1 000 عائلة أرمنية بينما كانت الرهبانية تضمّ نحو 500 راهب[21] . وورد في الموسوعة السوفيتية الأرمنية : أنّه جرت مباحثات ،بين الأمير الأرمني طوروس الثاني (1145 ـ 1168 م) وملك القدس آمالرخ (1162 ـ 1173 م) على تهجير 30 000 أرمني من كيليكيا إلى فلسطين[22] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلاقات المتبادلة بين المملكة الأرمنية في كيليكيا (1080 ـ 1375 م) وبين مملكة القدس (1099 ـ 1291 م) كانت جيدة . فقد أقام العديد من وجهاء بلاط مملكة القدس زيجات مع أميرات بلاط المملكة الأرمنية في كيليكيا[23] ، ويذكر التاريخ ثلاث ملكات أرمنيات على عرشها وهنّ: آردا (1100 ـ 1118 م) و مورفيا (1118 ـ 1131 م)[24] وميلّيسنت (1131 ـ 1143 م)[25] وتعدّ الأخيرة أشهرهن . فقد عملت الملكة ميلّيسنت على تطوير مدينة القدس وازدهارها ،ويُقال : إنّ ضريحها ذا الطابع المعماري الأرمني كشف أثناء التنقيبات التي جرت سنة 1970 م .

كما تذكر المصادر الأرمنية : أنّه بعد انتهاء مجمع ديني عُقد في أنطاكية سنة 1141 م ، زار كاثوليكوس الأرمن ، كريكور الثالث البهلافوني (1113 ـ 1166 م) القدس ،برفقة الممثل البابوي المدعو آلبيريكوس ،

وعندما عقد الأخير مجمعاً دينياً في القدس ،دعا إليه الكاثوليكوس الأرمني ورهبان بطريركية الأرمن الأرثوذكس أيضاً[26] ، وكانت الملكة ميليسنت من بين مستقبلي الكاثوليكوس الأرمني .

ولا بدّ من الوقوف عند شخصيتين أرمنيتين دخلتا تاريخ فلسطين وهما أمير الجيوش بدر الدين الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه . لقد ذكر المقريزي ما يلي : « **فكانت الحرب التي آلت الى خراب مصر وزوال بهجتها الى أن قدم أمير الجيوش بدر الدين الجمالي من عكا** »[27] ، و « **وفي سنة ست وستين وأربعمائة [1098 م] خرج الأفضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الأرمن وعاد إلى القاهرة** »[28] ، وسوف نتوقف عندهما بالتفصيل في الفقرة اللاحقة (مصر) . والمهم هنا إنّه في القرن الثاني عشر ومع نزوح الجيوش الصليبية انتشر الأرمن أيضاً في المناطق الجنوبية من سورية وفي لبنان وفلسطين ، وتؤكد المصادر وجود جالية أرمنية في عكا أيضاً ، كانت موجودة إلى منتصف القرن الثالث عشر ، إلّا أنّنا لا نملك أدلّة تاريخية على وجود جاليات أرمنية في المدن الساحلية من فلسطين[29] .

في سنة 1179 م اشترك بطريرك الأرمن في القدس ساهاك (1152 ـ 1180 م) في المجمع الديني الذي عقده كاثوليكوس الأرمن كريكور الرابع دغى (1173 ـ 1193 م) في مدينة روم قلعة ، ممثلاً عن الجالية الأرمنية في الأراضي المقدّسة[30] .

وفي سنة 1181 م حجّ الأمير الأرمني روبين الثاني (1175 ـ 1196 م) إلى القدس[31] .

في نهاية القرن الثاني عشر (سنة 1187 م) فتح القائد العربي صلاح

الدين الأيوبي القدس ، بعد ثلاث سنوات من فتح طبرية وحطّين (سنة 1184 م) . ويذكر الباحث الأرمني المعاصر الدكتور كريكور آسطارجيان أنّه بعد موقعة حطّين كان بين الأسرى جي دي لوسينيان ملك القدس ذي الأصل الأرمني الذى عامله صلاح الدين أرفع معاملة[32] .

وتذكر المصادر الأرمنية : أنّ بطريرك الأرمن في القدس أبراهام القدسي (1187 ـ 1224 م) ذهب إلى القائد العربي برفقة عدد من الأساقفة مرّحباً به ، وأعلن خضوعه له ، وإطاعته لأوامره ، وأشار إلى العهد الذي منحه الخليفة عمر بن الخطّاب لهم ، فأصدر صلاح الدين مرسوماً خاصاً اعترف بموجبه بحقوق المسيحيين والأرمن[33] ، وكان عدد الأرمن إذ ذاك في القدس يقدّر بنحو 500 أرمني .

وكان كاثوليكوس الأرمن كريكور الرابع دغى (1173 ـ 1193 م) من أنصار صلاح الدين ضد الصليبيين وكانت توجد مراسلات بينهما[34] . لقد ذكر المؤرخ العربي بهاء الدين بن شدّاد إحدى هذه الرسائل ، ونورد منها هذه المقتطفات : « **ولقد وصل إلى السلطان كتاب من الكايفكوس وهو مقدم الأرمن وهو صاحب قلعة الروم التي على طرف الفرات نسخة هذه ترجمتها * كتاب الداعي المخلص الكايفكوس ما أطالع به علم مولانا ومالكنا السلطان الناصر جامع كلمة الإيمان . رافع علم العدل والإحسان صلاح الدنيا والدين * سلطان الاسلام والمسلمين أدام الله إقباله * وضاعف جلاله . وصان بهجته وكمل نهاية آمله . بعظمته وجلاله . من أمر ملك الالمان وما جرى له عند ظهوره وذلك أنه أول ما خرج من دياره ودخل بلاد الهنكر غصبا غصب ملك الهنكر بالإذعان والدخول تحت طاعته**

وأخذ من ماله ورجاله ما اختار ثم أنه دخل أرض مقدم الروم وفتح البلاد ونهبها وأقام بها وأخرج ملك الروم إلى أن أطاعه وأخذ رهائنه ولده وأخاه وأربعين نفراً من خلصائه وأخذ منه خمسين قنطاراً ذهباً وخمسين قنطاراً فضة وثياب أطلس بمبلغ عظيم واغتصب المراكب وعاد بها إلى هذا الجانب وصحبته الرهائن إلى أن دخل حدود بلاد الملك قليج أرسلان ورد الرهائن وبقي سائراً ثلاثة أيام وتركمان الأوج يلقونه بالاغنام والبقر والخيل والبضائع فداخلهم الطمع وجمعوا جموعاً من جميع البلاد ووقع القتل بين التركمان وبنيه وضايقوه ثلاثة وثلاثين يوماً وهو سائر ولما قرب من قونية جمع قطب الدين ولد قليج أرسلان العساكر وقصده وضرب معه مصافاً عظيماً فظفر به ملك الالمان وكسره كسرة عظيمة وسار حتى أشرف على قونية بالسيف وقتل منهم عالماً عظيماً من المسلمين والفرس . . . * وأما ابن لاون فانه كان سائراً يلقي الملك فلما جري هذا المجري هرب الرسل من العسكر وتقدموا إليه واخبروه في الحال فدخل في بعض حصونه واحتمى هناك . وأما ابن الملك فكان أبوه منذ توجه الى قصد هذه الديار نصب ولده الذي معه عوضه واستقرت القاعدة وبلغه هرب رسل ابن لاون فانفذوا استعطفهم وأحضرهم وقال إن أبي كان شيخاً كبيراً وما قصد هذه الديار الا لأجل حج بيت المقدس وأنا الذي دبرت الملك وعانيت المشاق في هذه الطريق فمن اطاعني والا قصدت دياره واستعطف ابن لاون واقتضى الحال الاجتماع ضرورة * وبالجملة فهو في عدد كثير *ولقد عرض عسكره فكان اثنين وأربعين بجفجفاً وأما الرجالة فما يحصى عددهم وهم اجناس متفاوتة على قصد عظيم وجد في أمرهم وسياسة هائلة حتى ان من جنى منهم جناية فليس له جزاء الا أن يذبح مثل الشاة . . . * هذا كتاب الكايفكوس

ومعنى هذا اللفظ الخليفة واسمه بركرى كور بن باسيل »[35] .

في سنة 1227 م رمّم راهبان أرمينان يدعيان : آركيل وأبراهام ،مدخل كنيسة « الميلاد » في بيت لحم ترميماً رائعاً لفت أنظار الجميع ، ويذكر الباحث الأرمني ديكران ساڤالانيانتس أنّ الكتابة عن هذا الترميم لا تزال موجودة على إحدى درفات باب الكنيسة ، وهذا نصّها : « كل هذا الباب بعون الله تعالى في آيام مولانا السلطان الملك المعظم في تاريخ الهجرة سنة أربعة وعشرين وستمائة [1227 م] »[36] ، مما يدلّ على رخاء الجالية الأرمنية في فلسطين آنذاك .

في منتصف القرن الثالث عشر احتلّ هولاكو خان مع حليفه الملك الأرمني هيثوم الأول (1226 ـ 1270 م) بلاد ما بين النهرين وشمالي سورية ودمشق والقدس . ودخلوا سنة 1257 م المدن الفلسطينية الكرك والسلط ومدن أخرى . يُذكر أنّ الملك الأرمني هيثوم الأول ، حكم هذه المدن لمدة سبع سنوات (1257 ـ 1264 م) حين فتحها المماليك سنة 1264 م[37] ، ويُقال إنّ الملك الأرمني شيّد كنيسة « القديس يعقوب » في الكرك وقد وُجدت الكتابة عن بنائها سنة 1878 م ، مما يؤدي إلى الاعتقاد على وجود أرمن في الكرك[38] . وهنا نورد ما شهد به المؤرخ العربي القلقشندي عن الكرك : « **وهي مدينة محدَثَة البناء كانت ديراً يَتَديَّره رُهبان ، ثم كَثُروا فكبَّروا بناءه وأوى إليهم من يجاورهم من النصارى ، فقامت لهم به أسوات ودرّت لهم فيه معايِش ، وأوَتْ إليه الفِرنج فأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة** »[39] .

في سنة 1266 م اجتاح الملك الظاهر بيبرس المملكة الأرمنية في

كيليكيا ، وسحق جيوش الأميرين الأرمنيين ليڤون (أو ليون أو لاون) وطوروس ، ولديّ الملك هيثوم الأول ، فوقع الأول أسيراً وقُتل الثاني في المعركة ، وقد قال أبو الفداء : « (وفي هذه السنة) [664 هـ ـ 1266 م] بعد فراغ الملك الظاهر بن فتوح صفد سار إلى دمشق فلما دخلها واستقر فيها جرد عسكراً ضخماً وقدم عليهم الملك منصور صاحب حماة وأمرهم بالمسير الى بلاد الارمن فسارت العساكر صحبة الملك المنصور المذكور ووصلوا الى بلاد سيس في ذي القعدة من هذه السنة وكان صاحب سيس اذ ذاك هيثوم بن قسطنطين بن باسيل قد حصّن الدربندات بالرجالة والمناجيق وجعل عسكره مع ولديه على الدربندات لقتال العسكر ومنعه فداستهم العساكر وافنوهم قتلاً وأسراً وقتل ابن صاحب سيس الواحد وأسر ابنه وهو ليفون بن هيثوم المذكور »[40] . وقد لبّى الملك الظاهر بيبرس طلب الأمير الأرمني الأسير لزيارة الأماكن المقدسة وهو مفتون بجماله ونزاهته وذكائه فأرسله ليحجّ في القدس وهو مقيّد بالسلاسل . ولاقى الأمير الشاب ترحيباً حاراً من قبل بطريرك الأرمن في القدس البطريرك يعقوب وأعضاء الرهبانية في بطريركية الأرمن الأرثوذكس[41] ، ثم عاد إلى مصر ليعود إلى وطنه لقاء إطلاق سراح الأمير المملوكي سنقر . « (وفيها) [666 هـ = 1268 م] في شوال وقع الصلح بين الملك الظاهر وبين هيثوم صاحب سيس على انه اذا أحضر صاحب سيس سنقر الاشقر من التتر وكانوا قد أخذوه من قلعة حلب لما ملكها هولاكو كما تقدم ذكره وسلم مع ذلك بهسنا ودربساك ومرزبان ورعبان وشيخ الحديد يطلق له ابنه ليفون فدخل صاحب سيس على ابغا ملك التتر وطلب منه سنقر الاشقر فأعطاه اياه ووصل سنقر الأشقر الى خدمة الملك الظاهر وكذلك سلم

دربساك وغيرها من المواضع المذكورة خلا بهسنا وأطلق الملك الظاهر ابن صاحب سيس ليفون بن هيثوم وتوجه إلى والده »[42] .

لقد غدا الأمير ليفون ملك (ليفون الثالث) المملكة الأرمنية في كيليكيا في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1270 ـ 1286 م .

في نهاية القرن الثالث عشر عندما هدأت الأمور في أرمينيا عقب غزوات التتار ، بدأ الحجّاج الأرمن من مختلف مناطق أرمينيا بالحجّ إلى الأماكن المقدسة . وفي سنة 1286 م عرج راهب أرمني يدعى دزالفا ، من المرجح أنّه كان أسقف اقليم دزوبك الأرمني ، على الملك الأرمني ليڤون الثالث(1270 ـ 1286 م) وهو في طريقه إلى القدس ، فأعطاه الملك الأرمني هدايا قيّمة ومالاً وفيراً ، فقام دزالفا بها بإصلاح أرضية كنيسة دير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس كما شيّد سور الكنيسة ودير « حبس المسيح » . وقد ورد كل هذا في كتابة منقوشة على أحد أعمدة كنيسة دير القديس يعقوب ، كُشفت أثناء ترميمها سنة 1836 م[43] .

وفي سنة 1300 م دخل الملك الأرمني هيثوم الثاني (1289 ـ 1305 م) الذي كان حليف المغول إلى القدس مع الجيوش الأرمنية ، وبعد أداء فريضة الحج ، بنى المذبح اليساري لكنيسة « السيدة العذراء » ، بينما رمّم الجنود الأرمن جزءاً من أسوار مدينة القدس[44] .

وتذكر المصادر الأرمنية أنّه في سنة 1330 م قدم الملك الأرمني ليڤون الخامس (1320 ـ 1342 م) برفقة حاشيته إلى القدس ، وبعدد أداء فريضة الحج انتقل إلى مدينة الكرك التي كان يعيش فيها عدد كبير من الأرمن ويملكون كنيسة ثانية باسم « مار جرجس » ، كما يُذكر أنّ الملك

الأرمني أهدى هذه الكنيسة مخطوطة أرمنية كانت قد كتبت في دير « ترازارك » الأرمني سنة 1316 م[45].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الزيارة قد صادفت أيام بطريرك الأرمن الأرثوذكس في القدس ، البطريرك ڤارطان آريفلتسي (1323 ـ 1332 م) الذي كان واسع الثقافة عظيم الشهرة ، فازدهرت البطريركية ازدهاراً كبيراً ونُسخت هناك العديد من المخطوطات الأرمنية .

بعد سقوط المملكة الأرمنية في كيليكيا سنة 1375 م أمام ضربات المماليك وقع الملك الأرمني الأخير ليڤون السادس لوسينيان (1373 ـ 1375 م) أسيراً مع عائلته بيد المماليك . وقد أُنقذت العائلة الملكية من الأسر بمبادرة من ملك اسبانيا سنة 1382 م . لقد ذهب الملك ليڤون السادس برفقة الملكة مريم وابنته الوحيدة الأميرة بينّا إلى القدس وأدّى فريضة الحج ورفع إلى الله آيات الشكر والعرفان . ويُقال إنّ الأسرة الملكية بقيت سنة كاملة في المدينة المقدّسة ، ثمّ ذهب ليڤون السادس إلى روما ومنها انتقل إلى اسبانيا ثمّ إلى فرنسا وانكلترا وتوفي في باريس في 22 تشرين الثاني سنة 1393 م ودُفن هناك . بينما بقيت الملكة مريم والأميرة بينّا إلى نهاية حياتهما في دير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس ، وأمضيا بقية أيامهما في خدمة الأماكن المقدسة . ويُعتقد بأنّ الملكة توفيت سنة 1405 م ثمّ توفيت ابنتها ، ودُفنتا في مدخل كنيسة دير القديس يعقوب[46] .

وفي سنة 1491 م وبمناسبة انتخاب بطريرك الأرمن في القدس البطريرك مارديروس الثاني (1149 ـ 1501 م) قَدمت أفواج من الحجّاج الأرمن برفقة أساقفة وآباء من أرمينيا إلى القدس[47] .

تقهقرت الجالية الأرمنية في فلسطين حين احتلّها العثمانيون سنة 1517 م . فكانت الرشاوى والضرائب المفروضة من قبل السلطات العثمانية ترهق الأديرة والكنائس أيضاً على نحو كبير . ويُذكر أنّه في سنة 1616 م كانت توجد في القدس 12 عائلة أرمنية فقط[48] .

من ناحية أخرى ، في منتصف القرن الثامن عشر قَدم العديد من الحجّاج الأرمن إلى القدس (ولم يُعرف ما إذا استقرّوا هناك ، أم عادوا إلى ديارهم) ، بينما بلغ عددهم سنة 1834 م نحو 10,000 أرمني .

في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1832 ـ 1841 م حكم فلسطين محمد علي باشا ، فتحسّنت العلاقات المتبادلة بين الجاليتين الأرمنيتين في فلسطين ومصر .

وفي كانون الأول سنة 1917 م احتلّت الجيوش الانكليزية فلسطين التي بقيت تحت الانتداب البريطاني في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1920 ـ 1947 م . وأثناء الحروب العربية ـ الإسرائيلية سنة 1948 م هاجر كثير من الأرمن من فلسطين إلى لبنان وقبرص والأردن وانكلترا وقُسّمت القدس إلى القدس الشرقية ، والقدس الغربية ، التي كانت بيد الإسرائيليين حين اغتصبوا القسم الشرقي أيضاً في حزيران سنة 1967 م .

وفي سنة 1976 م كان عدد الأرمن في القدس يبلغ نحو 2000 أرمني يعملون في الصياغة والفسيفساء والتجارة والتصوير الفوتوغرافي وغيرها من المِهن الحرّة[49] .

وفي المجال الثقافي[50] . فإنّ بطريركية الأرمن الأرثوذكس في القدس أو دير القديس يعقوب. للأرمن الأرثوذكس لم تكن مركزاً دينياً وتاريخياً

مرموقاً فحسب ، بل مركزاً ثقافياً وتربوياً أيضاً .

وتأسست أول مدرسة أرمنية في فلسطين سنة 1843 م في مدينة الرملة التي انتقلت في السنة التالية إلى دير القديس يعقوب في القدس ثمّ غدت مدرسة اللاهوت المشهورة ، وقد شُيّد أول بناء لها سنة 1850 م . وفي سنة 1876 م تمّ إنشاء المبنى الجديد ، بينما تأسس سنة 1877 م القسم الداخلي الذي يضمّ نحو 100 طالب .

في 26 نيسان 1928 م تأسست في دير القديس يعقوب أول مدرسة أرمنية مختلطة مع روضتها والتي لا تزال قائمة إلى اليوم . وهنا لا بدّ لنا أن نذكر أنّ دير القديس يعقوب يشغل أحد الأحياء الأربعة من القدس القديمة بمساحة تبلغ 150,000 م^2 .

وتأسست أول مطبعة أرمنية سنة 1833 م في البطريركية أيضاً وهي لا تزال تعمل بنشاط حتى الآن ، وصدرت عنها مطبوعات مختلفة ولا سيما مؤلفات المؤرخين الأرمن .

وأول نشرة كانت تحت اسم « سيون » وكانت النشرة الرسمية للبطريركية وقد صدرت سنة 1866 م واستمرت إلى سنة 1877 م ، ثمّ بدأت تصدر من جديد سنة 1923 م ولا تزال تصدر حتى اليوم .

سنة 1866 م تأسست في البطريركية دار المخطوطات « ماديناتاران » .وفي سنة 1929 م شُيّد مبناها الجديد باسم « دار كلبنكيان للمخطوطات » ، وتُعدّ من أهم المراكز الثقافية ـ التاريخية ، في الشرق الأوسط والثاني بعد « ماديناتاران » بريڤان . وتضمّ نحو 4000 مخطوطة أرمنية ، ووثائق وفرمانات تاريخية . وأما المتحف فيضمّ الكثير من التحف الأثرية والتاريخية التي تكشف التاريخ العريق للجالية الأرمنية في فلسطين .

وتتميز هذه الجالية بأعمالها العمرانية ذات الصبغة الدينية .

ومنذ سنة 1922 م كان للجالية جمعياتها الثقافية والخيرية وأنديتها الرياضية التي تنظّم حياتها . وفي أثناء الحروب التحررية ضحى أبناء الشعب الأرمني بأرواحهم ، وكان من شهداء الإنتفاضة الباسلة هاروت كولوزيان الذي استُشهد في رام الله في 11 آب سنة 1991 م ، والذي رفع صوته عالياً مع إخوانه العرب ليقول : (لا) للإجراءات الاسرائيلية التعسّفية .

* * *

المملكة الأردنية الهاشمية[51]

وصل أبناء الشعب الأرمني إلى الأردن منذ العهود التاريخية الأولى ، ولا سيما أثناء فتوحات الامبراطور الأرمني ديكران العظيم السالفة الذكر ، وأيام الصليبيين في القرن الثالث عشر . إلّا أنّ الجالية تكوّنت إثر النكبة الكبرى سنة 1915 م ، عندما هاجر نحو 20000 أرمني من المنفيين الأرمن إلى المملكة وتوزّعوا في معان والبتراء وإربد والكرك والزرقاء . ولا بد من الإشارة إلى أنّ مدينة الكرك كانت في مختلف المراحل التاريخية تعدّ مدينة فلسطينية ، وقد ورد الحديث عنها في الفقرة السابقة (فلسطين) .

وكان عدد الأرمن سنة 1948 م يبلغ نحو 6000 أرمني ، وانخفض سنة 1980 م إلى 3000 أرمني كان معظمهم من التجّار والحرفيين ،

ويتمركزون على نحو رئيس في العاصمة عمّان وإربد والرصافة ومعان ويحتلّون مراكز مرموقة .

وفي المجال الثقافي . تأسست أول مدرسة أرمنية في الأردن في مدينة الكرك سنة 1928 م . ثمّ تأسست في العاصمة عمّان مدرسة « هيتوميان » ودير للأرمن الأرثوذكس سنة 1933 م .

شُيّد في سنة 1960 م وبمبادرة بطريركية الأرمن الأرثوذكس في القدس مبنى المدرسة الجديد والكنيسة الجديدة في منطقة « حي الأرمن » في عمّان . وتدعى الروضة باسم « كلبنكيان » والقسم الابتدائي باسم « يوزباشيان » وذلك بأسماء المحسنين ، بينما سُميت الكنيسة باسم كنيسة « القديس طاطيوس » . ويبلغ عدد الطلاب نحو 172 طالباً وطالبة .

وتأسس أول نادٍ رياضي في عمّان سنة 1933 م . وللجالية اليوم كنيستها التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالبطريركية الأرمنية في القدس ، ومدرستها وجمعياتها الثقافية والخيرية وأنديتها الرياضية التي تنظم حياتها ، وأبناء الجالية الأرمنية اليوم يحظون باحترام المملكة حكومة وشعباً .

الحواشي

1) موسيس خوريناتسي ، تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمّة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 149 ، وبافستوس بيزنط ، تاريخ الأرمن (بالأرمنية) ، ص ص 220 ـ 222 .

2) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 266 ، وهاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجالية الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 268 .

3) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 266 .

4) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 212 ـ 213 .

5) انظر موسيس كغانكدواتسي ، تاريخ بلاد الأغوان (بالأرمنية) ، يريڤان ، 1969 .

6) انظر بيزاليل ناركيسّ ، كنوز الفن الأرمني في القدس (بالانكليزية) ، دار النشر مادونا ، 1979 م .

7) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 266 .

8) انظر الكاثوليكس كاركين الثاني سركيسيان ، مجمع خلقدونية والكنيسة الأرمنية (بالانكليزية) ، انطلياس ـ لبنان ، 1984 م .

9) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 134 .

10) تمّ ابتداع الأبجدية الأرمنية في مطلع القرن الخامس للميلاد (سنة 406 م) ، من قبل القديس ميسروب ماشدوتس .
11) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 267 .
12) المصدر نفسه ، 1 : 268 .
13) البطريرك ماغاكيا أورمانيان ، « آزكابادوم » (بالأرمنية) ، 1 : 562 .
14) وردت صورة هذا العهد بكامله في الفصل الثالث من الباب الأول لهذا الكتاب .
15) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 263 ـ 267 .
16) المصدر نفسه ، 1 : 271 .
17) الأسقف مكرديج آغافنوني ، كنائس وأديرة أرمنية في البلاد المقدسة (بالأرمنية) ، ص : آ ب .
18) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 242 ـ 243 ، (وهو فهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 13 .
19) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 378 ـ 379 .
20) المصدر نفسه ، 2 : 455 ـ 456 .
21) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 : 642 ـ 2 ، وآ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 269 ـ 270 .
22) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 ـ 643 .
23) جوشوا براور ، مملكة القدس اللاتينية (بالانكليزية) ، ص 69 .
24) المصدر نفسه ، ص 222 .

25) المصدر نفسه ، ص ص 96 ، 107 ، 120 ، 222 ، 224 ، 450 ، 465 .

26) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 373 .

27) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 12 ، 1 : 356 .

28) المصدر نفسه ، 1 : 356 .

29) (هوفهانيس) خ . طوبوزيان ، تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946) (بالأرمنية) ، ص 20 .

30) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 393 .

31) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 457 .

32) ستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ، ص 128 ، والدكتور ك . آسطارجيان ، التاريخ العربي الموسع والشامل (بالأرمنية) ، ص 449 .

33) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 409 ـ 413 .

34) هـ . ط . نعلبنديان ، المصادر العربية عن أرمينيا والبلاد المجاورة (بالأرمنية) ، ص ص 301 ـ 303 .

35) القاضي بهاء الدين بن شداد ، كتاب سيرة صلاح الدين ، ص ص 107 ـ 109 .

36) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 463 .

37) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 457 ـ 458 .

38) المصدر نفسه ، 2 : 458 .

39) القلقشندي ، صبح الأعشى ، 4 : 155 ـ 156 .

40) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 4 : 3 ، وابن العبري ، تاريخ

مختصر الدول ، ص ص 284 ـ 286 .

41) ديكران ساقالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 491 ـ 492 .

42) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 4 : 5 .

43) ديكران سافيلانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 499 ، والأسقف مكرديج آغافنوني ، الرهبان والزوار في القدس (بالأرمنية) ، ص ص 167 ـ 168 .

44) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 505 .

45) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 458 ، والأسقف مكرديج آغافنوني ، الرهبان والزوار في القدس (بالأرمنية) ، ص ص 168 ـ 170 .

46) المستشار فؤاد حسن حافظ ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، ص 168 ، والأسقف مكرديج آغافنوني ، الرهبان والزوار في القدس (بالأرمنية) ، ص ص 170 ـ 171 ، وديكران ساقالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 526 .

47) ديكران ساڤالانيانتس ، تاريخ القدس (بالأرمنية) ، 1 : 544 .

48) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 270 ، والموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 : 642 ـ 2 .

49) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 : 642 .

50) المصدر نفسه ، 3 : 642 ـ 3 ، 643 ، 644 ـ 1 ، 2 .

51) انظر الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 6 : 586 ـ 589 ، وهرانت عجميان ، الأرمن في الأردن (بالأرمنية) .

الفصل الخامس

مصر

تُعد الجالية الأرمنية في مصر الجالية الأرمنية الوحيدة التي أخذت نصيبها الوافر من البحث والدراسة ، ربّما لأنّ وجود الأرمن في مصر يعود إلى العهود التاريخية الأولى .

يُذكر أنّ البروفسور اليوت سميث أثبت أنّ الأرمن نزحوا من جبال طوروس إلى مصر منذ عهد العائلة الفرعونية الأولى وساهموا في تأسيس دولة الفراعنة وقيام حضارتها[1] . ثم قَدم الأرمن إلى مصر إثر غزوات الفراعنة لسورية ، حيث عبروا نهر الفرات ، ووصلوا إلى المناطق الجنوبية من أرمينيا وساقوا الكثير من الأرمن أسرى إلى مصر[2] . ويخبرنا الباحث الأرمني ناظاريت م . آغازارم في حديثه عن العلاقات التجارية بين الأرمن والمصريين ، أنّ اسم « أرمينين » الوارد في الكتابات المصرية القديمة جداً يخص الأرمن[3] .

وفي سنوات السلام ، قامت بين فراعنة مصر والميديين ـ أحد العناصر المكوّنة للشعب الأرمني ـ علاقات مصاهرة وعلاقات تجارية ، فعلى سبيل المثال عقد الفرعون تحتمس الثالث (1490 ـ 1460 ق.م) اتفاقية صلح وصداقة مع الملك الميدي آرداداما الأول[4] .

استمرّت العلاقات المتبادلة بين حرب وسلام بين الشعبين والبلدين ، حتى استولى الفرس الأخمينيون على أرمينيا ومصر وامتدّ حكمهم ما بين السنوات 559 ـ 530 ق.م .

وتأكيداً لهذه العلاقات يمكن مشاهدة نماذج رائعة من الأدوات التي كان يجلبها التجّار الأرمن إلى مصر موجودة في « متحف الفراعنة » في القاهرة[5] وبالمقابل ، فقد عُثر أثناء التنقيبات التي جرت في الستّينات من هذا القرن في « الهضبة الحمراء » في أرمينيا ، على تمثال صغير من السيراميك للآلهة الفرعونية « سوخمد » ولُقى أخرى . وفي سنة 1966 م عَثر علماء الآثار في موقع « آرين بيرد » الأورارتية في أرمينيا ، على نحت صغير جداً للإله المصري « بيس » ، بينما تبرز الرسوم الجدارية التي عُثر عليها أثناء التنقيبات التي تمّت في قصر الملك الأورارتي آركيشتي الثاني (713 ـ 685 ق.م) الصلات العميقة بين الفن الأورارتي والفن المصري[6] . فقد ورد بهذا الصدد ما يلي : « إنّ هذه الرسوم التي رُسمت باليد تشبه إلى حد بعيد الرسوم الجدارية المصرية ، مما يؤدي إلى الاعتقاد بأنّ فنّاني أورارتو كانوا على اطلاع عميق بالفن الفرعوني »[7] .

ولّما كانت « الهضبة الحمراء » و « آرين بيرد » يقعان على مقربة من الحدود الشرقية للمملكة الأورارتية ، فلا ريب أنّه كان للعاصمة الأورارتية دوشبا أو ڤان ـ دوسب وللمناطق الغربية والجنوبية ـ الغربية من المملكة علاقات أوثق مع مصر .

إنّ أول معلومة خطّية عن الجالية الأرمنية في مصر تعود إلى المؤرخ الروماني سلّستيوس الذي كان حاكم إفريقيا سنة 46 ق.م . فقد ذكر في

مؤلفه الذي كتبه سنة 40 ق.م أنّه كان للأرمن نشاط دائم وفعّال في إفريقيا[8] .

وفي عهد البطالمة في مصر (323 ـ 30 ق.م) كانت العلاقات التجارية بين مصر وأرمينيا نشيطة ، لأنّ الأرمن كانوا على اتصال دائم بمدينة الاسكندرية التي غدت مركزاً ثقافياً ضخماً ، وكثير من الطلاب الأرمن تلقّوا تعليمهم هناك ، بسبب انتشار اللغة اليونانية آنذاك مع الحضارة الهلنستية في أرمينيا أيضاً[9] . وأبرز حادثة في هذه الفترة ترتبط مع الملك الأرمني آرداشَست الثاني (55 ـ 34 ق.م) الذي وقع أسيراً في يد حاكم مصر الروماني مرقس أنطونيو ، فأتى به مكبّلاً بالسلاسل الذهبية إلى مصر ، ولمّا رفض الملك الأرمني الركوع أمام كليوباترة قطع مرقس أنطونيو رأسه[10] .

في سنة 30 ق . م غدت مصر ولاية رومانية ، واستمرّت.السيطرة الرومانية إلى سنة 395 م . وفي هذه الفترة دخلت المسيحية إلى مصر في أيام الامبراطور الروماني نيرون (54 ـ 68 م) . فقد غدت كنيسة الاسكندرية ، في القرن الثاني للميلاد ، إحدى أقوى الكنائس المسيحية في الشرق (والتي لم تخضع لقرارات مجمع خلقدونية سنة 451 م مثل الكنيسة الأرمنية) ، فكانت العلاقات المتبادلة وثيقة بين الكنيستين وآبائهما . وذُكر الأرمن أيضاً في الكتابات العائدة إلى هذه الفترة ، ومنها الكتابة التي تركها رجل أرمني يُدعى خسروف في طيبا ، في القرن الثالث للميلاد ، باللغة اليونانية[11] ، وكثيراً ما كانت الفيالق الأرمنية في الجيش الروماني تعسكر في مصر ، وكل هذه الأدلّة تؤدي إ' الاعتقاد بوجود جالية أرمنية صغيرة في مصر تضمّ التجّار والعسكريين ابتداءً من القرن الأول للميلاد[12] .

وأثناء الحكم البيزنطي على إفريقيا ، والذي استمرّ نحو قرنين ونصف القرن من الزمن (395 ـ 640 م) ، كانت توجد جالية أرمنية مزدهرة في مصر ، ولم تكن العلاقات الثقافية والتجارية بين أرمينيا ومصر جيدة فحسب ، بل أُسندت بعض المناصب الرفيعة في الدولة إلى الأرمن أيضاً[13] .

ومنذ مطلع القرن الخامس للميلاد قَدم الأرمن من أرمينيا إلى مصر لغايات مختلفة ، ولجأ بعضهم إلى دير سيناء وأديرة الصحارى المصرية الأخرى[14] ، فقد عُثر في الفيّوم على مخطوطة من ورق البُردى مكتوبة باللغة اليونانية ولكن بحروف أرمنية ، وتعود إلى القرن الخامس أو السادس أو السابع للميلاد ، ويُعتقد أنّها كُتبت من قبل أرمني قَدم إلى مصر لتعلّم اللغة اليونانية[15].

وتلقّى كثير من الطلاب الأرمن تعليمهم في الاسكندرية وفيهم نخبة المترجمين الأوائل ، في القرنين الخامس والسادس للميلاد ، فقد ترجم هؤلاء الطلاب مؤلفات المؤرخين القدماء من اللغة اليونانية إلى اللغة الأرمنية ، وقد ضاعت بعض النسخ المصرية واليونانية . . . وظلّت الترجمات الأرمنية باقية حتى الآن[16] .

ففي عهد الامبراطور الروماني جوستنيان الأول (527 ـ 565 م) فتح إفريقيا القائد الأرمني نرسيس باسيني ، وقد أرسل إلى ليبيا في سنة 545 م القائد الروماني آرسبنت الذي كان جيشه يضمّ فيلقاً أرمنياً ، وغدا قائد الفيلق الأرمني ويدعى آرداوان أرشاقوني في السنة نفسها القائد العام للقوات البيزنطية في إفريقيا[17]وأثناء حكم الامبراطور الروماني موريس (أو موريغ) الأرمني النشأة (583 ـ 603 م) كان حاكم مصر وإفريقيا

البيزنطية هرقل الأرمني يساعده شقيقه كريكور ، وحكم الهرقليون نحو نصف قرن من الزمن كانت فترة رخاء وازدهار[18] ، وسنتكلم عنهم في الفقرة اللاحقة في الحديث عن (دول المغرب العربي) .

وبعامة تتفق المصادر على قدوم كثير من الأرمن في مطلع القرن السابع إلى مصر ، وقد وردت في المصادر التاريخية أسماء العديد منهم الذين شيّدوا كنائس وأبنية أخرى في مصر .

في سنة 640 م دخلت مصر ضمن دولة الخلافة العربية على يد القائد العربي عمرو بن العاص ، الذي واصل طريقه إلى تونس حيث كان يحكمها كريكور الآنف الذكر وقد وقع صريعاً في إحدى المعارك[19] .

ومن المعروف أنّ عمرو بن العاص أنشأ سنة 642 م مدينة الفسطاط . وتذكر المصادر العربية والأرمنية أنّ مساعده ورفيقه في السلاح ڤارطان الرومي الأرمني قد بنى سوقاً في الفسطاط سمي بـ « سوق ڤارطان » أو « سوق وَرْدان »[20] ، وأورد ياقوت الحموي في معجم البلدان ما يلي : **« بفسطاط مصر ؛ ينسب الى وَرْدان الرومي مولى عمرو بن العاص من سبي أصبهان ، روى عن مولاه عمرو ، وروى عنه مالك بن زيد الناشري وعُلَيّ بن رباح وشهد فتح مصر ، وقدم دمشق في أيام معاوية ، وكانت له بها دار ، . . . كان وردان رومياً من روم أرمينية والياً على خراج مصر من قبل معاوية بعد موت عمرو ، وكان وردان من عمرو بن العاص بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، كان لا يعمل شيئاً حتى يشاوره ، وكان ذا دهاء فهماً ؛ وقال الحافظ بن عساكر : قُتل وردان مولى عمرو بن العاص في سنة 53 [673 م] بالاسكندرية »**[21] .

وعلى الرغم من أنّ الأرمن أثناء الحكم العربي (فترة الخلافة الأموية والعباسية 640 ـ 868 م) كانوا يتمتعون بحرية العبادة الدينية ، إلّا أنّ المصادر لا تذكر الشيء الكثير عن فعاليات الجالية الأرمنية ، بغض النظر عن بعض الأرمن الذين وصلوا إلى مراكز مرموقة مثل الحاكم الأرمني الأمير علي بن يحيى الأرمني السالف الذكر .

أثناء حكم الطولونيين (868 ـ 884 م) عندما ضمّ الأمير أحمد بن طولون سورية إلى مصر ، نشطت العلاقات المتبادلة بين الجاليتين الأرمنيتين في سورية ومصر ، واستمرّت في عهد الدولة الأخشيدية أيضاً (934 ـ 969 م) ، ولعل حجر الصليب (أو الخاتشكار) الموجود حالياً في كنيسة « السيدة العذراء » للأرمن في حي بين السوريين في القاهرة الذي يعود إلى سنة 981 م أو سنة 982 م ، دليل ناطق على وجود جالية أرمنية منتظمة كانت لها كنائسها وعمائرها ونشاطها التجاري والاقتصادي[22] .

ومن أهم العهود التاريخية في مصر ، عهد الفاطميين ، الذين حكموا نحو قرنين من الزمن (969 ـ 1171 م) . ويُعدّ بحق عهد ازدهار كبير لمصر وللجالية الأرمنية ، التي يُقال إنّها عاشت عصرها الذهبي . فقد كان دور الأرمن عظيماً في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والعمرانية . حتى إنّ غاستون فييت دعا النصف الثاني من القرن الحادي عشر بـ : « االعهد الأرمني »[23] . وتذكر المصادر الأرمنية أنّ عدد الأرمن في القرن الحادي عشر كان يبلغ نحو 30,000 أرمني ينتشرون في كل أنحاء مصر[24] .

تتفق المصادر التاريخية على أنّ مصر قد تطوّرت تطوراً كبيراً وازداد

عدد سكانها إلى ضعف ما كانت عليه أيام الخليفة العزيز أبي منصور (975 ـ 996 م) . فقد نزح كثير من الأرمن من أرمينيا وكيليكيا إلى القدس وانتقلوا منها إلى مصر بحثاً عن الربح المادي والرخاء . وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر ومع اجتياحات السلاجقة الأتراك البربرية واحتلالهم لمدينة آني ـ عاصمة المملكة الأرمنية الباقرادونية ـ سنة 1064 م وللقدس سنة 1071 م ولمدينة دمشق سنة 1076 م ، وقعت هجرات أرمنية جماعية إلى مصر ، وورد في حوليات المؤرخ الأرمني ماتيوس أورهايتسي : أنّ عدد الأرمن في مصر في نهاية القرن الحادي عشر كان يبلغ نحو 30000 أرمني[25]أو نحو 10000 عائلة أرمنية . بينما ذهب الباحث الأرمني هـ . طورشيان إلى الاعتقاد بأنّ عدد الأرمن كان يبلغ نحو 100000 أرمني[26] . وقال ياقوت الحموي : « **وأما سكان أرض مصر فأخلاط من الناس مختلفو الأصناف من قبط وروم وبربر وأكراد وديلم وأرمن وحبشان وغير ذلك من الأصناف والأجناس** »[27] . وذكر المقريزي في سياق حديثه عن قيسارية ابن قريش : « **هذه القيسارية في صدر سوق الجملون الكبير بجوار باب سوق الورّاقين ويسلك اليها من الجملون ومن سوق الاخفافيين المسلوك إليه من البندقانيين وبعضها الآن سكن الارمنيين وبعضها سكن البزازين** »[28] . و « **كان من أهم ما ذكر ضمن خزائن الفرش والأمتعة بالقاهرة ، في بعض العصور ، الحمراء المذهبة ؛ وقيل في الفرش القرمزية التي كانت تعمل بمدينة أسيوط بصعيد مصر أنها تشبه الأرمني** »[29] .

ويذكر المؤرخون أنّه في تلك الفترة كانت الكنائس والأديرة تنتشر في كل أرجاء مصر ولقد ذكرها المقريزي بإسهاب مدهش[30] ، وذكر « دير

الأرمن »[31]أيضاً . ومن أهم الأديرة التي لا تزال قائمة : « الدير الأبيض » وكنيسته مزخرفة على الطراز الأرمني من قبل فنّان أرمني يدعى ثيوتوروس كيسوني[32] ، فضلاً عن ثلاث كتابات أرمنية ذكر فيها اسم كاثوليكوس الأرمن كريكور الثاني ڤكاياسير (1066 ـ 1105 م) واسم مطران مصر الأسقف كريكور الذي رسّمه الكاثوليكوس[33] . هنا تجدر الإشارة إلى أنّ إقامة الأديرة والكنائس كانت تستدعي بالضرورة وجود فنّانين أرمن لتزيينها بالرسوم والزخارف وأحجار الصليب (الخاتشكار) ، ومن ناحية ثانية ، ووفق التقليد الأرمني ، فقد كانت تنتشر بجوار الكنائس والأديرة ، مراكز لنسخ المخطوطات[34] .

ولم تكن الدولة الفاطمية تحكم بجيوش قوية ، بل كان الخلفاء يتركون أعمال الدولة إلى الوزراء . وتكلّم المؤرخون الأرمن والعرب عن الوزراء الأرمن الذين لا بدّ أن نقف عندهم قليلاً[35] .

ـ بدر الدين الجمالي : يُعدّ من أبرز الوزراء الفاطميين . كان مملوكاً لوالي دمشق جمال الدولة بن عمّار ، عيّنه الخليفة الفاطمي المستنصر (1036 ـ 1094 م) والياً على مدينة دمشق سنة 1067 م ، فاضطر إلى الاستقالة بعد مدة وغدا والياً على مدينة عكا التي يُقال إنّها تطورت أثناء ولايته تطوراً كبيراً .

في تلك الآونة ظهرت ثورة في مصر يقودها الأتراك وباتت تهدد أمن الدولة وسلامتها . فاستنجد الخليفة المستنصر بالأمير الأرمني سنة 1074 م ، وقد لبّى طلب الخليفة وقدم من عكا إلى مصر مع جيشه . وعلى وجه السرعة قام بإخماد الثورة ونشر الأمن والسلام في ربوع مصر ، وله فضل كبير في رقي مصر وازدهارها . ومن ألقابه : وزير السيف والقلم وأمير

الجيوش وكافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين[36] .

توفي سنة 1094 م وخلّفه ابنه الأفضل شاهنشاه .

لقد ذكر ابن خلكان عن أمير الجيوش ، بدر الدين الجمالي ما يلي : « كان بدر المذكور أرمني الجنس اشتراه جمال الدولة بن عمار وتربى عنده وتقدم بسببه وكان من الرجال المعدودين في ذوي الآراء والشهامة وقوة العزم استنابه المستنصر صاحب مصر بمدينة صور وقيل عكا فلما ضعف حال المستنصر واختلت دولته وصف له بدر الجمالي المذكور فاستدعاه »[37] .

وذكر المقريزي ما يلي : « ابو النجم بدر الجمالي كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار فلذلك عُرف بالجمالي وما زال يأخذ بالجدّ من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوّة العزم ويتنقل في الخدم حتى ولي امارة دمشق من قبل المستنصر . . . وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهي والرخاء قد أيس منه والصلاح لا مطمع فيه ولو انه قد ملكت الريف والصعيد بايدي العبيد والطرقات قد انقطعت برا وبحرا الا بالخفارة الثقيلة فلما قتل بلنكوش حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته فاشترط ان يحضر معه من يختاره من العساكر »[38] ، « وأقام له جنداً وعسكراً من الأرمن فصار من حينئذ معظم الجيش من الأرمن »[39] . « فلما كان في سنة سبع وثمانين وأربعمائة [1094 م] مات في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى منها وقد تحكم مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر واستبد بالامور فضبطها

أحسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة »[40] ، « عمّر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من اهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة وكانت له محاسن منها انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت أحوال الفلاحين واستغنوا في ايامه ومنها حضور التجار إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في ايام الشدّة ومنها كثرة كرمه وكانت مدّة ايامه بمصر احدى وعشرين سنة وهو اوّل وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر . . . »[41] .

ومن منجزاته العمرانية الأخرى في القاهرة (أنشأ الفاطميون القاهرة سنة 973 م«سور القاهرة الثاني »: « بناه أمير الجيوش بدر الجمالّي في سنة ثمانين وأربعمائة [1087 م] ، وجعل السور من لبن وأقام الأبواب من حجارة »[42] . وأبواب القاهرة الثلاثة المذكورة آنفاً : « باب زويلة » و « باب النصر » و « باب الفتوح » ، « فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربعمائة [1092 م] بنى أمير الجيوش بدر الجمالّي وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذي هو باق الى الآن وعلى ابراجه * وقد أخبرني من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة »[43] . وقال المقريزي عن « باب النصر » : « فلما كان في ايام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالّي من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة ونقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريباً من مصلى العيد »[44] . وعن« باب الفتوح »« وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع أمير الجيوش »[45] ، و « يذكر أنّ ثلاثة أخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب

الفتوح »[46] ، كما يُذكر أنّه توجد أوجه تشابه بين أسوار القاهرة وأبوابها وبين أسوار مدينة آني الأرمنية ـ عاصمة المملكة الأرمنية الباقرادونية (885 ـ 1071 م) .

ويشهد المقريزي على « دار الوزارة » بما يلي : « قال عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر الجمالي أمير الجيوش »[47] . وفي سياق حديثه عن « دار الضيافة » يذكر : « وأوّل من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن العاص السهميّ ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجماليّ أنشأ هناك دارا عظيمة وسكنها »[48] ، وعن « سوق حارة برجوان » : « هذا السوق من الاسواق القديمة وكان يعرف في ايام الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش وذلك أن أمير الجيوش بدر الجماليّ لما قدم الى مصر في زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدّة العظمى بنى بحارة برجوان الدار التي عرفت بدار المظفر وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان »[49] .

ويُذكر عن وفاة الوزير الأرمني : « مات أمير الجيوش بدر الجماليّ في سنة سبع وثمانين وأربعمائة [1094 م] فدفن خارج باب النصر بحرميّ المصلى وبني على قبره تربة جليلة وهي باقية إلى اليوم »[50] .

وفي السنوات 1074 ـ 1075 م زار الكاثوليكوس كريكور الثاني ڤكاياسير (1066 ـ 1105 م) مصر ، فاستقبله الخليفة المستنصر بمظاهر الحفاوة والإكرام[51] . ويربط المؤرخ الأرمني كيراكوس كانتساكتسي اسم هذا الكاثوليكوس بمعجزة هطول الأمطار في مصر بعد سنوات عدّة من الجفاف[52] مما رفع من شأنه وزاد من عظمته . وكما ذكرنا فإنّ الكاثوليكوس رسم الأسقف كريكور (أو كريكوريس) ، مطراناً لأبرشية مصر التي لا بدّ أنّها كانت كبيرة[53] .

ـ الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الدين الجمالي : كان سياسياً فذّاً ومحارباً مقداماً وحاكماً عادلاً ، حكم مصر مثل والده حكماً مطلقاً نحو ثمانية وعشرين سنة (1094 ـ 1121 م) أيام الخليفتين المستعلي (1094 ـ 1102 م) والآمر (1102 ـ 1130 م) . وكان يهوى المظاهر وقد جمع ثروة طائلة . قُتِل في القاهرة سنة 1121 م ودُفن بجانب والده . لقد كان يساعده شقيقه المظفر جعفر بن أمير الجيوش بدر ، « وقال ابن الطوير وكوتب الأفضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه اليها فلم يبق ممكناً من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر بين يدي الخليفة مكانه »[54] .

وقال ابن خلكان عن الأفضل شاهنشاه : « في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة [1095 م] وكان المستنصر قد مات في التاريخ المذكور وفي ترجمته وأقام الأفضل ولده والمستعلي أحمد المقدم ذكره مقامه واستمر على وزارته . وكان الأفضل المذكور حسن التدبير فحل الرأي وهو الذي أقام الآمر بن المستعلي موضع أبيه في المملكة بعد وفاته ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات فانه كان كثير اللعب فحمله ذلك على أن عمل على قتله . . . وذلك في سلخ شهر رمضان عشية يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسمائة[1121 م] . وخلف الأفضل من الأموال ما لم يسمع بمثله »[55] .

وكما جرت العادة فقد تحدّث عنه المقريزي بإسهاب[56] ، ومن إنجازاته العمرانية « دار الوزارة الكبرى » و« دار الذهب » و« دار الملك »[57] .

- أبو علي أحمد بن أمير الجيوش الأفضل أو كتيفات : حكم مصر حكماً مطلقاً أيام الخليفة الحافظ (1130 - 1149 م) . لقد غدا وزيراً سنة 1130 م وقتل سنة 1132 م[58] ، « **فثار الجند وأقاموا أبا عليّ أحمد الملقب بكتيفات ولد الأفضل ابن أمير الجيوش في الوزارة** »[59] .

- يانس الأرمني : كان ينحدر من عائلة أرمنية هاجرت إلى مصر أيام وزارة أمير الجيوش بدر الدين الجمالي ، وكان عبد الوزير الأفضل شاهنشاه الذي رقّاه إلى مرتبة الأمراء حتى غدا وزيراً سنة 1132 م في عهد الخليفة الحافظ (1130 - 1149 م) ، ومن ألقابه أمير الجيوش وأبو الفتح ، وسيف الإسلام . قُتل سنة 1132 م . « **وكان يانس هذا مولى ارمنيا لباديس جدّ عباس الوزير فاهداه الى الأفضل بن أمير الجيوش وترقى في خدمته الى ان تأمّر ثم ولي الباب وهي أعظم رتب الأمراء وكني بأبي الفتح ولقّب بالأمير السعيد ثم لما ولي الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الإسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشرّ شديد الهيبة** »[60] و « **في يوم قتل أبي علي بالخلافة واستوزر أبا الفتح يانس الحافظي وبقي يانس مدة قليلة ومات** »[61] .

- بهـرام الأرمنـي : يحتلّ مركزاً فريداً بين الوزراء والأمراء الأرمن في مصر في القرن الثاني عشر للميلاد ويكاد يضاهي بأعماله بدر الدين الجمالي . لقد غدا وزيراً سنة 1135 م في عهد الخليفة الحافظ تقديراً لشجاعته وإخلاصه للوطن المصري ، كما منحه الخليفة لقب تاج الدولة ، وعُزِل سنة 1137 م[62] .

في أواخر حياته تخلّى بهرام الأرمني عن المجد والمظاهر الدنيوية وترهّب في « الدير الأبيض »[63] .

توفي سنة 1141 م ، فأُعلن حداد رسمي لمدة ثلاثة أيام وتمّ تشييعه في « دير الخندق » بموكب جماهيري حاشد ، ويُذكر أنّ الخليفة الحافظ نفسه كان يبكي بكاء مريراً عليه وهو جالس على حافة قبره .

ـ طلائع بن رزيك : الوالي الأرمني لمدينة المينا . أصبح وزيراً سنة 1154 م في عهد الخليفة الفائز (1154 ـ 1160 م) وحكم مصر حكماً مطلقاً إلى سنة 1161 م . كان ذكياً وسخيّاً وشاعراً يحب الشعر والشعراء ويقدّرهم ، لُقّب بالصالح وفارس المسلمين ونصير الدين . وهو الذي شيّد مسجد « الملك الصالح » الذي يُعدّ من روائع العمارة الفاطمية . قُتل سنة 1161 م بدسيسة نظّمها له الخليفة العاضد (1160 ـ 1171 م) .

كان شقيقه يدعى بدر ويُلقّب بفارس المؤمنين ، وكانت ابنته زوجة الخليفة العاضد (1160 ـ 1171 م) كما ذكرنا فيما سبق . « ودخل الصالح الى القاهرة وتولى الوزارة في أيام الفائز واستقل بالامور وتدبير أحوال الدولة وكانت ولايته في التاسع عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وأربعين وخمسمائة[1154 م] وكان فاضلاً سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء محبّاً لاهل الفضائل جيد الشعر . . . ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه استمر الصالح على وزارته وزادت حرمته وتزوج العاضد ابنته . ومات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسمائة [1161 م] »[64] .

ـ رزيك بن طلائع : آخر الوزراء الأرمن في الدولة الفاطمية ، تولى الوزارة خلفاً لوالده سنة 1161 م في عهد الخليفة العاضد . كان يُلّقب بالعادل . قُتل سنة 1163 م[65] .

ومن الأرمن الذين كانوا يحتلّون مراكز مرموقة في الدولة الفاطمية لؤلؤ الحاجب الأرمني ، « كان أرمنيّ الأصل ومن جملة أجناد مصر في أيام الخلفاء الفاطميين »[66] ، وسنأتي على ذكره مرة ثانية فيما بعد . وكذلك الأمير المشير الأستادار فخر الدين عبد الغني ابن الأمير الوزير الأستادار عبد الرزاق بن أبي الفرج الأرمني الأصل[67] والأمير عبد المنصور قسطا الأرمني حاكم مدينة الاسكندرية[68] ، وقد تكلّم عنه الكاتب العربي حسن عبد الوهاب بإعجاب وتقدير[69] .

مع قيام الدولة الأيوبية في مصر ما بين السنوات 1171 ـ 1250 م التي كانت تضم سورية أيضاً وتصل حدودها إلى أرمينيا ـ خملت الجالية في مصر عما كانت عليه في العهد الفاطمي . وتذكر المصادر الأرمنية أنّه في السنوات 1183 ـ 1184 م قَدم الأمير الأرمني روبين الثاني (1175 ـ 1196 م) برفقة كاثوليكوس الأرمن كريكور الرابع دغى (1173 ـ 1193 م) إلى مصر بغية تحسين أوضاع الجالية الأرمنية[70] .

وقد وصل بعض أبناء الجالية الأرمنية إلى مراكز مرموقة في الدولة الأيوبية ، وأبرزهم الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب الأرمني : « كان أرمنيّ الأصل ومن جملة اجناد مصر في ايام الخلفاء الفاطميين فلما استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر خدم تقدمة الاسطول وكان حيثما توجه فتح وانتصر وغنم ثم ترك الجندية وزوّج بناته وكنّ أربعاً بجهاز كاف وأعطى ابنيه ما يكفيهما ثم شرع يتصدق بما بقي معه على الفقراء بترتيب لا خلل فيه ودواماً لا سأمة معه »[71] . « وكان بمصر الملك العادل أبو بكر نائبا عن أخيه السلطان صلاح الدين فعمّر أسطولا في بحر عيذاب وأرسله مع حسام الدين الحاجب لولو وهو متولي الاسطول بديار مصر وكان مظفراً

فيه شجاعاً فسار لولو مجدداً في طلبهم وأوقع باللذين يحاصرون أيلة [بيت المقدس] فقتلهم وأسرهم ثم سار في طلب الفرقة وكانوا قد عزموا الدخول إلى الحجاز ومكة والمدينة حرمها الله تعالى وسار لولو يقفو أثرهم فبلغ رابغ فأدركهم بساحل الحورا وتقاتلوا أشد قتال فظفر الله تعالى بهم وقتل لولو أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها وعاد بالباقين إلى مصر فقتلوا عن آخرهم »[72] .

وكذلك كان في خدمة صلاح الدين الأيوبي أبو سعيد قراقوش بن عبدالله الأسدي الملقّب ببهاء الدين[73] ، « كان خادم صلاح الدين وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين فأعتقه ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية وفوّض أمورها إليه واعتمد في تدبير أحوالها عليه وكان رجلاً مسعوداً وصاحب همة عالية وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الاهرام وهي آثار دالة على علو الهمّة وعمّر بالنقس رباطاً وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل وله وقف كثير لا يعرف مصرفه وكان حسن المقاصد جميل النية »[74] . ويُقال إنّ آخر ملكة أيوبية في مصر وهي شجرة الدر كانت جارية أرمنية[75] .

بدأ عهد المماليك في مصر سنة 1250 م واستمر نحو ستمائة سنة (1517 م) ، وكانت مرحلة هامة في تاريخ مصر والمصريين .

وتتفق المصادر الأرمنية على أنّ عدد الأرمن في مصر في عهد المماليك ازداد نتيجة الأسرى الذين وقعوا أثناء الغزوات العديدة التي قام بها المماليك

على فلسطين وسورية وكيليكيا ـ حيث المملكة الأرمنية (وذلك في السنوات 1265 م و 1278 م ، و 1292 م ، و 1295 م و 1305 م و 1322 م و 1395 م و 1375 م) ، وقد ذكرت في مؤلفات المؤرخين العرب والأرمن على حدّ سواء .

لقد ذكرنا في الفقرة السابقة (فلسطين) ، الغزوة الأولى على المملكة الأرمنية في كيليكيا سنة 1265 م من قبل السلطان الظاهر بيبرس[76] ثمّ اتفاقية الصلح المعقودة بين الملك الأرمني هيثوم الأول (1226 ـ 1269 م) وبين الملك ظاهر[77] . وقال ابن الوردي عن الغزوتين الواقعتين في السنوات 1278 م و 1292 م : « * (ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة)[1278 م] * فيها سار السعيد بركة الى الشأم ووصل دمشق بالعساكر وجرد العسكر صحبة سيف الدين قلاوون الصالحي وجود صاحب حماة فشنوا الاغارة على بلاد سيس وغنموا وقدموا دمشق »[78] . وعن غزوة سنة 1292 م قال : « وأما العساكر فسارت على السكة إلى حلب ووصل السلطان الى حلب وتوجه منها إلى قلعة الروم ونازلها في العشر الأوّل من جمادى الآخرة منها وضايقها وشهد المؤلف رحمه الله تعالى ذلك ونصب المجانيق ودام الحصار حتى فتحت بالسيف يوم السبت حادي عشر رجب منها »[79] .

ويذكر الشيخ كامل الغزي عن غزوة سنوات 1320 م و 1322 م[80] . ووفق الباحث الأرمني ناظاريت آغازارم فقد بلغ عدد الأسرى نحو 20000 أرمني[81] .

وفي سنة 1323 م قدم كاثوليكوس الأرمن قسطنطين الرابع لامبروناتسي (1323 ـ 1326 م) إلى مصر ، وبقي هناك مدة أربعة أشهر

وقّع أثناءها اتفاقية صلح وصداقة مع العرب في القاهرة[82] .

وقَدم الأمير الأرمني هيثوم الناغيري إلى مصر بغية تحسين العلاقات بين المملكة الأرمنية في كيليكيا ومصر من جهة وأوضاع الجالية الأرمنية في مصر من جهة ثانية[83] . بينما أرسل الملك الأرمني ليڤون الخامس (1320 ـ 1342 م) الكاثوليكوس مخيتار الأول كرانتسي (1341 ـ 1354 م) إلى السلطان الناصر ناصر الدين حسن بن محمد قلاوون (1347 ـ 1351 م / 1354 ـ 1361 م) بغية تحسين العلاقات العربية ـ الأرمنية[84] .

قضى المماليك على المملكة الأرمنية في كيليكيا سنة 1375 م[85] ، ووقع الملك الأرمني الأخير ليڤون السادس (1373 ـ 1375 م) وعائلته في الأسر . وكانت ، إذ ذاك ، توجد في القاهرة جالية أرمنية ، طلب أبناؤها من السلطان الأشرف ناصر الدين قلاوون (1363 ـ 1377 م) حرية الإقامة لملكهم في القاهرة ، فاستجاب السلطان لطلبهم ، فخصصوا بيتاً يليق بالملك الأرمني[86] . لقد تكلّمنا عن الملك ليڤون السادس وأسرته في الفقرة السابقة (فلسطين) .

وقَدم كاثوليكوس الأرمن ثيوتوروس الثاني كيليكي (1382 ـ 1392 م) إلى مصر سنة 1382 م إثر انتخابه مباشرة فاستقبله السلطان الأشرف برسباي (1350 ـ 1438 م) بمظاهر الحفاوة[87] .

وتذكر بعض المصادر الأرمنية أنّه في هذه الفترة كانت العلاقات المتبادلة بين الجالية الأرمنية في القدس والجالية الأرمنية في مصر جيدة ، فقد جلس على كرسي البطريركية الأرمنية في القدس خمسة من أبناء الجالية الأرمنية في مصر ، وهم : البطريرك كريكور المصري (1386 ـ 1391 م) ومارديروس المصري (1419 ـ 1430 م) وأبراهام المصري

(1441 ـ 1454 م) وهوفهانيس المصري (1485 ـ 1491 م) ، وكذلك البطريرك سركيس الثاني المصري (1393 ـ 1412 م) .

وقَدِم كاثوليكوس الأرمن كريكور التاسع موسابيكيان (1439 ـ 1451 م) سنة 1450 م إلى مصر[88] .

كل هذا يدلّ على كثرة الأرمن في مصر ، الذين كانوا يقطنون أماكن معينة ، من المرجح أنّ أحدها كان يقع في القسم العلوي من مقبرة الأرمن ويسمّى « كوم الأرمن »[89] . ووفق المصادر الأرمنية فإنّ الجالية الأرمنية في مصر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد لم تحتفظ بوجودها فحسب بل كانت مزدهرة أيضاً ، فقد كانت مراكز نسخ المخطوطات منتشرة في كل مكان[90] .

وقد لمع بعض من أبناء الجالية الأرمنية وفيهم « **الأمير الوزير المشير الاستادار فخر الدين عبد الغني ابن الأمير الوزير الاستادار تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الأرمنيّ الأصل** »[91] الآنف الذكر ، والأمير أبو ذكريا أو القاضي زين الدين يحيا[92] وغيرهم .

ففي الفترة الممتدّة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر للميلاد ، قَدم الكثير من الأرمن من أرمينيا إلى مصر ومنها انتقلوا إلى السودان وأثيوبيا[93] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلاقات التجارية أيضاً كانت نشيطة في الفترة المذكورة . ففي أثناء التنقيبات التي جرت مؤخراً في مدينة دُبَيْل الأرمنية عُثِر على أدوات زجاجية تعود إلى الفترة الممتدّة ما بين القرون التاسع والثاني عشر للميلاد ، وهو من إنتاج إيراني وبيزنطي ومصري وأرمني ، كما عُثر أيضاً على نقود صُكّت في دُبَيْل وتحمل حروفاً عربية[94] .

وبالمقابل كانت مدن المملكة الأرمنية في كيليكيا تستقبل التجّار

الوافدين من إيران وبلاد ما بين النهرين وسورية ومصر[95] .

احتلّ العثمانيون مصر سنة 1517 م واستمرت سيطرتهم نحو ثلاثمائة سنة (1517 ـ 1801 م) كانت سنوات فوضى وقد عمّ الفساد مختلف أجهزة الدولة . ولمّا كان أغلب أبناء الجالية الأرمنية في مصر من التجّار والحرفيين ، فقد هاجروا إلى بلاد أخرى هرباً من ظلم العثمانيين . ووفق المصادر الأرمنية فإنه في الفترة الممتدة بين السنوات 1605 ـ 1630 م كان يعيش في مصر عدد كبير من التجّار الأرمن القادمين من مدينة جلفا الإيرانية الذين اشتهروا بنقل الأمتعة الهندية إلى مختلف مناطق العالم .

عقب ثورة الجلاليين في تركية في نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر هاجر الأرمن إلى مصر ، ويُذكر أنّ عدد الأرمن كان يبلغ نحو 200 عائلة أرمنية[96] ، لمع أبناؤها في التجارة والمِهن الحرّة والحرف .
لقد احتلّ الأرمن في العهد العثماني أيضاً مراكز إدارية وعسكرية مرموقة ، ولمعوا بخاصة بدورهم الكبير في تطوير العمارة المصرية[97] .

وممن برز منهم أيضاً الأمير سليمان بك الأرمني ، أحد قوّاد الجيش المصري (سنة 1690 م) ، وقد عُين سنة 1691 م حاكم محافظتي المنوفية والغربية ، وكان صاحب ثروة عظيمة ويملك العديد جداً من الخدم والمماليك[98] ، وابنه عثمان الشلبي وعلي بك الأرمني أبو العذب ومحمد كهيا الأرمني[99] .

ويُعتقد أنّ مراد بك الذي نظّم الأسطول المصري كان أرمنياً ، وكذلك القائد العام للأسطول المصري الذي كان يدعى نيكوغوص ، وأنّ الأكثرية الساحقة من البحّارة كانوا من الأرمن الذين قَدِموا من اسطنبول ،

واشتركوا مع الأسطول المصري بقيادة نيكوغوص في صدّ حملة نابليون على مصر سنة 1798 م . ووقف الأرمن بجانب إخوانهم المصريين لتحرير مصر من نير الحكم العثماني ، ولا سيما أثناء قيام ثورة علي بك سنة 1769 م . ومن المثير أنّ التقليد الشعبي الأرمني يقول إنّ علي بك كان أرمنياً قَدم من القفقاس وهو طفل صغير[100] ، وكان مساعده أيضاً رجلاً أرمنيّاً يدعى هاكوب ، ولمّا أراد علي بك التحالف مع روسيا كان هاكوب أحد المندوبين الذين تفاوضوا مع كونت أورلوف . لقد قُتل علي بك سنة 1778 م ولم يُعرف مصير مساعده الدبلوماسي الأرمني هاكوب[101] .

في سنة 1784 م كان عدد الأرمن في مصر يبلغ نحو 50 ـ 60 عائلة أرمنية[102] .

* * *

مع فشل الحملة الفرنسية على مصر (1798 ـ 1801 م) عاد الحكم العثماني وعاد المماليك معه إلى مصر واستولوا على المناصب الرئيسة في الدولة ، فانتشر الفساد والفوضى في البلاد .

في هذه الحال المضطربة برز جندي ألباني كان قد قَدِم إلى مصر من اسطنبول مريضاً وعالجه طبيب أرمني . عُين سنة 1804 م نائباً لوالي مصر ثم ما لبث أن غدا والي مصر سنة 1805 م (1805 ـ 1848 م) . وبما كان يتمتع به من ذكاء ووعي تمكّن من القضاء على المماليك سنة 1811 م ثمّ فتح صدره رَحباً أمام كل عنصر قادر على خدمة مصر ورقيّها . لقد كان يُقدّر المدنية الأوروبية أو الغربية تقديراً عالياً ويولي العلم والتعليم اهتماماً كبيراً .

فازدهرت الجالية الأرمنية في مصر في عهد محمد علي مرة ثانية ازدهاراً عظيماً وخدم أبناؤها الوطن المصري عظيم الخدمة .

عندما تولّى محمد علي الحكم ، لم تكن في مصر أية مؤسسة تعليمية ولم يكن في الجيش والأسطول والوظائف الحكومية أناس مؤهلين . فبدأ محمد علي يرسل بدءاً من سنة 1826 م بعثات طلابية إلى إيطاليا وانكلترا وفرنسا ، وكان الأرمن يشكّلون أغلبية مطلقة فيهم[103] ، ونذكر منهم آرتين تشراكيان (1800 ـ 1859 م) وشقيقه خسروف تشراكيان (1800 ـ 1873 م) واستيبان دميرجيان (1802 ـ 1860 م) ويوسف الأرمني (1803 ـ 1919 م) ، وتبعهم في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1828 ـ 1835 م هوسيب هيكيكيان (1807 ـ 1875 م) ،وفي الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1844 ـ 1849 م نوبار نوباريان (1805 ـ 1899 م) وغيرهم . ولدى عودة هؤلاء إلى مصر أسس محمد علي بمساعدتهم عدداً كبيراً من المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الحرفية والفنية .

وبناء على تعليمات محمد علي افتُتح في باريس سنة 1836 م « كلية مصرية » عملت حتى سنة 1867 م ، وكانت تضمّ نحو 40 طالباً كان أغلبهم من الأرمن ، بل كان مديرها سنة 1844 م استيبان دميرجيان الذي كان يدعى أيضاً استيبان بك الأرمني .

من ناحية ثانية كان محمد علي شغوفاً بالتجارة ويعمل بها . وفي هذا المجال أيضاً كان ساعده الأيمن بوغوص بك يوسفيان (1768 ـ 1843 م)[104] . لقد غدا بوغوص بك يوسفيان من أكبر شخصيات مصر وباعتراف المؤرخين العرب والأرمن والأجانب على حد سواء ،إذ قدّم خدمات جليلة لمصر والمصريين .

قَدِم بوغوص يوسفيان من مدينة إزمير التركية ، وتقديراً لمواهبة الفذّة

اتخذه محمد علي سكرتيراً خاصاً له ،وكان في سنة 1833 م المترجم الأوّل للباشا ومدير مالية مصر ،فجعل جمارك مصر خاضعة للدولة ـ على الرغم من أنّ ذلك كان يتعارض تعارضاً شديداً مع مصالحه الشخصية ـ فعيّنه الباشا مديراً للتجارة والخارجية ،وفي سنة 1839 م ، وعقب انتصار إبراهيم باشا حين اضطرت مصر إلى القيام باتصالات دبلوماسية حرجة ودقيقة مع أوروبا والباب الثاني ،قام بوغوص يوسفيان بهذه المفاوضات بكفاءة عالية واستطاع أنْ يحصر الولاية في مصر لأسرة محمد علي بحق الوراثة فوضع بذلك أول لبنة على طريق استقلال مصر .

ومن الجدير بالذكر أنّ بوغوص يوسفيان عندما توفي سنة 1844 م أعلنت الحكومة المصرية حداداً رسمياً لمدة أربعين يوماً عليه .

في سنة 1841 م ، وبناء على معاهدة لندن ،لمّا غدا محمد علي الحاكم الفعلي لمصر ،انصرف من جديد إلى تنظيم وتطوير البلاد . فشكّل وزارة ، شارك الأرمن فيها ، كما شكّل مجلساً من المستشارين المقربين كان بمثابة مجلس دولة ،شارك فيه الأرمن أيضاً . وكان العديد منهم في الخدمة الشخصية لمحمد علي[105] ، ونذكر منهم المقدسي يغياظار آميرا الذي كان سنة 1808 م الصرّاف الخاص لمحمد علي . ويجدر بنا أن نقف قليلاً عند بعض الشخصيات الأرمنية التي دخلت تاريخ مصر .

ـ **آرتين بك تشراكيان (1800 ـ 1859 م)**[106] : خدم مصر أيام حكم : محمد علي (1805 ـ 1848 م) وعبّاس باشا (1848 ـ 1854 م) وسعيد باشا (1854 ـ 1863 م) . درس الحقوق والاقتصاد والعلوم السياسية والقانون الدولي في باريس ،وكان يتقن اللغة التركية والأرمنية والفرنسية والانكليزية والايطالية . عاد إلى مصر سنة

1834 م ، فنظّم مع زملائه المعهد الهندسي ومعهد إعداد العاملين في أوقاف الدولة . وفي سنة 1835 م عُيّن مديراً لمدرسة السياسة وسنة 1836 م مديراً لمدرسة الهندسة ، وفي السنة نفسها (1836 م) شكّل لجنة مساعدة لمجلس المستشارين المقرّبين من الباشا ، والتي غدت نواة وزارة التعليم فيما بعد ،ثمّ عُين عضواً في المجلس الميري الأعلى . وفي سنة 1839 م كان السكرتير والمترجم الأوّل لمحمد علي وفي سنة 1844 م خلّف بوغوص يوسفيان وزيراً للتجارة والخارجية وخدم الوزارتين بجدارة كبيرة وأنهى الخلافات التي نشبت سنة 1850 م بين مصر والباب العالي ، واضطر إلى الاستقالة سنة 1850 م . ثم عُيّن مستشار سعيد باشا سنة 1854 م واستمر في وظيفته إلى سنة 1857 م . توفي سنة 1859 م ، وقد مُنحت له أرقى الأوسمة من قبل الحكومات المصرية والعثمانية والفرنسية والبرتغالية والروسية والإيرانية . ومن أهم منجزاته أنّه ألغى الامتيازات التجارية ،وأثبت في مصر طريقة موحدة للمحاسبة .

- **استيبان دميرجيان** (1802 - 1860 م)[107] والمعروف باسم استيبان بك الأرمني ،وهو من نخبة الطلاب أيضاً الذين تلقّوا تعليمهم في باريس وتخصّص في الاقتصاد والقانون الدولي . سنة 1836 م عُيّن نائب وزير العدل وفي سنة 1844 م أصبح مدير الكلية المصرية في باريس . في سنة 1850 م غدا وزيراً للخارجية وبقي في منصبه حتى سنة 1853 م . ثمّ عُيّن من جديد سنة 1854 في منصب وزير الخارجية حتى سنة 1857 م . كان عضواً في المجلس الميري الأعلى . توفي سنة 1860 م .

- **يوسف بك هكيكيان** (1807 - 1875 م)[108] : ينحدر من عائلة أرمنية عريقة هاجرت من تركية إلى مصر بعد ولادته . وهو من نخبة

الطلاب الذين أرسلهم محمد علي إلى أوروبا ، فدرس الهندسة المدنية في لندن وعاد إلى القاهرة سنة 1835 م . في سنة 1836 م افتتح في قلعة القاهرة معهد إعداد الحرفيين وفي سنة 1837 م عُين مدير المعهد الحرفي ـ الفني . وبتوجيهات من الأمير إبراهيم باشا أشرف سنة 1838 م على تنفيذ المنشآت الدفاعية ـ الحربية في الاسكندرية . له العديد من الأبحاث والدراسات باللغة الانكليزية .

ـ **نوبار باشا نوباريان** (1824 ـ 1899 م)[109] : ينحدر من عائلة أرمنية قدمت من غراباغ إلى إزمير ومنها إلى مصر . تلقّى تعليمه العالي في باريس وكان يتقن اللغة الأرمنية والتركية والايطالية واليونانية والانكليزية . قَدِم إلى مصر سنة 1843 م بدعوة من خاله بوغوص بك يوسفيان ، وقام بدءاً من سنة 1845 م بأعمال إدارية هامة أيام محمد علي (1805 ـ 1848 م) وعبّاس باشا (1848 ـ 1854 م) وسعيد باشا (1854 ـ 1863 م) وحتى سنة 1865 م حيث غدا وزيراً للإسكان والمرافق .

برزت مواهبه السياسية أيام الخديوي إسماعيل (1863 ـ 1879 م) ، فغدا في الفترة المتدّة ما بين السنوات 1866 ـ 1888 م ولأربع مرات وزيراً للخارجية ، كما كان وزيراً للتجارة سنة 1876 م ، فضلاً عن شغله منصب رئاسة الوزراء ، لثلاث مرات في الفترات المتدّة ما بين السنوات :

28 آب 1878 م ـ 20 أيلول ، 1879 م ، أيام إسماعيل باشا (1863 ـ 1879 م)

10 ك 2 ، 1884 م ـ 8 ت 2 ، 1889 م ، أيام توفيق باشا

(1879 ـ 1892 م)

16 نيسان 1894 م ـ 12 ت 2 1895 م ، أيام عباس حلمي باشا (1892 ـ 1914 م).

ويُعدّ بحق من مصلحي مصر . فقد نجح في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1864 ـ 1866 م في الحصول على لقب « الخديوي » للوالي.وفي سنة 1867 م على الاستقلال الذاتي لمصر وعلى حق صياغة أنظمة وقوانين داخلية في البلاد دون قيد أو شرط . في سنة 1878 م عندما كان وزيراً للعدل أصلح المحاكم المصرية ،وجعلها مختلطة ،فوضع حدّاً للفوضى السائدة في المحاكم المصرية وسهّل الانتقال إلى توحيد شامل للشؤون القضائية .

من إنجازاته أيضاً تحسين أوضاع الفلاحين ، فأُطلق عليه لقب « أبو الفلاح » أو « صديق الفلاح » ، وبذل جهوداً كبيرة لاستصلاح الأراضي ووضع خطط عظيمة للري .

وتقديراً لأعماله فإنّ الترعة المحفورة في مديرية البحيرة سنة 1886 م سميت بـ : « الترعة النوبارية » . إنّه أول من فكّر في إقامة معرض للقطن ونظّمه وافتتحه بنفسه سنة 1895 م ، وأسس متحف القطن الجديد . ويمكن القول إنّه من المؤسسين الأوائل لوزارة الزراعة في مصر . لقد قال محمد صبري عن هذا الأرمني ذي الشهرة العالمية إنّه « نعمة عظيمة لمصر »[110] .

ـ يعقوب آرتين باشا (1842 ـ 1919)[111] : وهو نجل وزير خارجية مصر الأسبق آرتين بك تشراكيان ،ولد في القاهرة وتلقّى تعليمه في باريس والنمسا وألمانيا وفرنسا وانكلترا . عُين سنة 1873 م مربّي أولاد

الخديوي اسماعيل ثم سنة 1878 م غدا السكرتير الأول للباشا ومدير المراسلات الأوروبية . سنة 1881 م انتُخب عضواً في مجلس جامعة مصر وأصبح مديرها فيما بعد . كان نائب وزير التربية في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1884 ـ 1906 م . ويرتبط اسم يعقوب آرتين باشا بكل المؤسسات السياسية والعلمية والأدبية وفيها « المعهد المصري » و « دار الكتب الملكية » و « دار الآثار المصرية » و « متحف الفن العربي » و « المتحف القبطي » حيث توجد فيه حجرة تحمل اسمه . له العديد من المؤلفات والأبحاث باللغات الأجنبية . لقد مُنح له أرقى الأوسمة من قبل الحكومات المصرية والفرنسية والعثمانية والبروسية ،وأُطلق عليه لقب « الأستاذ الكبير» من قبل الشعب المصري .

ـ **ديكران باشا دابرو الباقرادوني** (1846 ـ 1904 م)[112]:وهو نجل الأمير الأرمني استيبان دابرو الباقرادوني ،وُلد في القاهرة سنة 1846 م وتلقّى تعليمه في سويسرا وفرنسا وانكلترا وكان يتقن الانكليزية والفرنسية والتركية واليونانية ،وفضلاً عن كونه بليغ الثقافة كان جرئياً ومقداماً .عُين سنة 1881 م مدير وزارة الخارجية ثم غدا نائب وزير الخارجية في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1884 ـ 1887 م . وتولّى منصب وزير الخارجية في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1891 ـ 1894 م ، ومن أهم إنجازاته تصدّيه بعزم للفرمان الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني ، والذي كان يفرض قيوداً على صلاحيات الخديوي عبّاس حلمي باشا . وردّه المشهور على اللورد كرومر بأنّه هو وزير خارجية مصر العربية وليس موظفاً مأجوراً لدى الحكومة الانكليزية .

ـ في المجال الزراعي ، برز اسم **يوسف الأفندي الأرمني**

(1803 ـ 1849 م)[113] ، وهو من نخبة الطلاب الذين تلقّوا تعليمهم العالي في فرنسا ،حيث درس الزراعة وعاد إلى مصر سنة 1834 م . ويعتبر أول من عمل على إنماء أشجار اليوسفي في مصر ، فلا عجب أن يسمّي المصريون تلك الفاكهة باسم « يوسف أفندي » . فقد جلب شجيرات اليوسفي معه من جزيرة مالطا أثناء عودته من فرنسا سنة 1834 م .

ـ وترتبط وزارة الأشغال العامة إرتباطاً وثيقاً باسم **بوغوص باشا نوباريان** (1851 ـ 1930 م)[114] : إنّه النجل الأكبر لنوبار باشا نوباريان ، وُلد في القسطنطينية وتلقّى تعليمه في سويسرا وفرنسا حيث درس الهندسة ، وقَدم إلى مصر سنة 1878 م . لم يهتم بوغوص نوبار بالسياسة كثيراً بل اشترك اشتراكاً فعلياً في مشاريع زراعية عدّة . بعد أن شغل ولمرتين ،منصب رئيس إدارة مؤسسة السكك الحديدية ،أصبح في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1880 ـ 1891 م رئيس شركة « البحيرة » الزراعية . ويعدّ مؤسس شركة ترام الاسكندرية وشركة استغلال أراضي المنزلة . ومن أهم مشاريعه الهندسية اشتراكه مع البارون آمبنين في إنشاء « مصر الجديدة » في الصحراء المصرية . مُنحت له أرقى الأوسمة من الحكومتين المصرية والفرنسية ، وله العديد من المؤلفات باللغة الفرنسية .

ومن أبرز موظفي وزراة الخارجية **أريستاكيس ألطونيان أو ألطون دوري بك** (1804 ـ 1868 م)[115] ،وعُيِّن أيضاً رئيس تحرير جريدة « مصر » المصرية (كانت قد بدأت تصدر منذ سنة 1840 م باللغتين العربية والتركية) . وتجدر الإشارة إلى أنّ الأرمن شغلوا منصب وزير الخارجية 64 سنة في الفترة الممتدة ما بين السنوات 1805 ـ 1908 م

وكلّما دعت الضرورة لإيفاد رسول إلى اسطنبول أو لندن أو باريس يكون هذا الرسول أرمنيّاً .

ففي الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1805 ـ 1908 م وعلى مدى قرن من الزمن استفاد الأرمن من الاصلاحات التي قام بها محمد علي ، وبالمقابل بذلوا ما في وسعهم في سبيل استقلال مصر ورقيّها . فقد لمع الأرمن في وزارة الخارجية وحققوا إصلاحات في وزارة العدل وخدموا في وزارة الحربية والداخلية وفي مصلحة المياه ووزارة الأشغال والبلديات ووزارة التربية والتعليم وفي مجال الصحافة . وفي المجال التجاري برز دور الأرمن في تنظيم وتطوير وسائل المواصلات والخدمات البريدية ، وتركوا بصماتهم في مجال مالية مصر ، وكان أغلب الأطباء الأوائل المؤهلين في مصر ،من الأرمن .

وكان الأرمن في نهاية القرن التاسع عشر يسيطرون على الصناعة المصرية ،وكانت الصناعات اليدوية محصورة بيد الأرمن حصراً تاماً ،كما أدخلت النساء الأرمنيات فن التطريز إلى مصر .[116] .

ويُذكر أنّ عدد الأرمن في الفترة المذكورة وفي نهاية القرن التاسع عشر عقب الاحتلال الانكيزي لمصر سنة 1882 م والإضطهادات العثمانية للأرمن في تركية في السنوات 1895 ـ 1896 م ازداد ازدياداً ملحوظاً[117]

وفي بداية القرن العشرين ، ووفق إحصائية قامت بها الحكومة المصرية سنة 1907 م كان عدد الأرمن يبلغ نحو 800 7 أرمني[118] . ثمّ وقعت هجرة أرمنية بعد مذابح أضنة الرهيبة سنة 1909 م بلغ عدد أفرادها نحو ألفي أرمني[119] .

ولا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد وتوزع الأرمن في مصر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ويُذكر أنّ عدد لأرمن كان يبلغ نحو 000 25 ـ

30 000 أرمني[120] ، يتوزعون على نحو رئيس في القاهرة والاسكندرية .

وفي سنة 1917 م كان عدد الأرمن يبلغ نحو 17 000 أرمني يتوزعون في القاهرة والاسكندرية والزقازيق والجيزة وطنطا وآسيوط ،ويعملون في مختلف الميادين والمؤسسات التي سبق وأسسها إخوانهم الأرمن[121] .

وفي سنة 1922 م ، أصدرت الحكومة المصرية قوانين جديدة لتنظيم حياة مختلف الطوائف والأقليات في مصر ،وكان عدد الأرمن إذ ذاك يبلغ 25 000 أرمني[122] . ونُظِّم القانون الخاص بالأرمن سنة 1946 م وصُدِّق من قبل الحكومة المصرية سنة 1955 م ، وفي هذه الفترة وعلى الرغم من أنّ عدد الأرمن ازداد ازدياداً كبيراً ، فقد بلغ سنة 1947 م نحو 40 000 أرمني وسنة 1950 م نحو 35 000 أرمني ـ بعد أن هاجر سنة 1948 م نحو 3 700 أرمني إلى أرمينيا ـ ،فإنّ نشاط الأرمن خمد كثيراً بخاصة في مجال الأعمال الحرّة ، إلاّ أنّ دورهم بقي بارزاً في مجال صناعة التعدين والنسيج والجلود ونجارة المفروشات والصياغة والخياطة وصناعة الأحذية والميكانيك والزنكوغراف والصباغة[123] .

وفي سنة 1977 م كان عدد الأرمن يبلغ نحو 12 000 أرمني[124] .

* * *

في المجال الثقافي . وفق التقليد الأرمني كانت تنتشر مع الكنائس والأديرة مراكز لنسخ المخطوطات أيضاً ، ويبلغ عدد المخطوطات التي نسخت في مصر باللغة الأرمنية في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1099 ـ 1856 م نحو 17 مخطوطة[125] .

و « أول من أنشأ من الطوائف الأهلية المستوطنة بمصر مدارس على

النظام الأوروبي هي الطائفة الأرمنية فإنها أسست مدرسة كالوسديان ببولاق وهي التابعة لبطركخانتها الأرثوذكسية وذلك سنة 1828 م »[126] .

إذن أوّل مدرسة أرمنية تأسست في القاهرة في سنة 1828 م ، وتأسست المدرسة الثانية سنة 1854 م ، وتأسست في الاسكندرية أوّل مدرسة سنة 1851 م وهي قائمة إلى يومنا هذا[127] .

وتأسست أول جمعية سنة 1851 م ،والجدير بالذكر أنّ « الجمعيةالخيرية العمومية الأرمنية » التي تُعدّ من أكبر الجمعيات الخيرية الأرمنية ذات النشاط العالمي تأسست في القاهرة سنة 1906 م ، وكذلك تأسست جمعية « هامازكايين » الثقافية ذات النشاط العالمي أيضاً في القاهرة سنة 1928 م .

وتأسست أول مطبعة أرمنية في القاهرة سنة 1865 م وصدر منها أول دورية أرمنية نصف شهرية باسم « آرمافيني »[128] .

ومن أبرز الأدباء والمؤرخين في القرن الحادي عشر بطرس السّدمنتي[129] ، وفي القرن الثاني عشر أبو صالح أو أبو الصلح الأرمني : « ويقال أبو الصالح الشيخ . كان في القرن الثاني عشر للمسيح له في مكتبة باريس تاريخ يعرف باسمه « تاريخ الشيخ أبي صلح الأرمني وصف فيه أخبار نصارى مصر في زمانه مع وصف أديرتهم وبيعهم وغير ذلك من الأمور المفيدة . طبع الكتاب في اوكسفرد سنة 1895 مع ترجمته إلى الانكليزية »[130] .

وللأرمن آثار معمارية عظيمة في مصر منذ القرن العاشر . ويُذكر أنّ الطراز الأرمني واضح في الأعمال العمرانية التي أُنجزت من قبل الوزير الأرمني بدر الدين الجماليّ في القرن الحادي عشر ،ويَذكر فيليب حتي أنّ

انتصار الحجر على القرميد تمّ في عهد الفاطميين ويظهر واضحاً في واجهة « الجامع الأقمر » الذي أُنشيء سنة 1125 م ، ويستمرّ قائلاً : « لربّما يعزى تصميم هذه الواجهة إلى معمار أرمني »[131] .

ومن المعماريين الذين لمعوا منذ عهد محمد علي كلٍ من كيورك رفائيليان وزينوب ميراماتجيان وهرانت مردينيان وكان مهندس القصر الملكي بدءاً من سنة 1923 م ومن إبداعاته القصر الجديد في المنتزة والمكتب الملكي وبعض أقسام قصر رأس التينة ومسرح قصر عابدين وغرف الاستقبال ومداخل قصر القبّة وواجهاتها[132] وكذلك سيبوه بك وقره بت ترابيان وكارو باليان وهوسيب آزنافوريان والمهندس نوريان وغيرهم .

لقد أبدع الأرمن في الفنون أيضاً ، ويُذكر أنّ أقدم رسام أرمني في مصر كان ثيوتوروس كيسوني السالف الذكر الذي ترك آثاره في « الدير الأبيض » ، وبرز في القرن الثامن عشر الرسّام هوفهانيس الأرمني القدسي الذي لا تزال بعض رسومه تزين جدران كنيسة « المعلّقة » المشهورة التي تعدّ من أقدم كنائس القاهرة[133] .

ولّما كان لقصر محمد علي في مصر ميولاً نحو الفن التركي ، فقد قدم العديد من الموسيقيين الأرمن من اسطنبول إلى مصر ، نذكر منهم الكسان طموريان ونيزان زينوب وغيرهم ، وتأسست أكبر متاجر الآلات الموسيقية في مصر سنة 1895 م من قبل جون بابازيان[134] .

ولا تزال الحياة المسرحية التي انتظمت في الثمانينات من القرن التاسع عشر مستمرة إلى يومنا هذا . ولعل نصيب هذه الجالية العريقة وافر من الأدب الأرمني ، فقد اجتمع في مصر بعد المذبحة الكبرى سنة 1915 م عدد كبير من الفنّانين والأدباء والمفكّرين الأرمن أمثال الشاعر ڤاهان تيكيان

والرسّام الكاريكاتوري الكساندر ساروخان والرسّام آشوط زوريان والموسيقار يتوارت هاكوبيان ،والمفكّرين ڤاهان نافاسارتيان وكوركين مخيتاريان وكاركين لازيان وغيرهم .

* * *

لا ريب أنّ الجالية الأرمنية في مصر لا تبدو كما كانت عليه فيما سبق كمّاً وكيفاً ، إلّا أنّها لا تزال إحدى أهم الجاليات الأرمنية في المهجر الأرمني .

الحواشي

1) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 1 .
2) المصدر نفسه .
3) نظاريت م . آغازارم ، معلومات عن الجالية الأرمنية في مصر (بالأرمنية) ، ص ص 1 ـ 2 .
4) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 2 ـ 3 ، ونوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص ص 28 ـ 29 .
5) نوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص ص 33 ـ 34 .
6) المصدر نفسه .
7) جريدة « زارتونك » (بالأرمنية) ، 8 حزيران 1967 م .
8) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 4 .
9) المصدر نفسه .
10) مروان المدوّر ، الأرمن عبر التاريخ ، ص 158 ، وموسيس خوريناتسي ، تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 159 ـ 161 ، ونوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون

الوسطى (بالأرمنية) ،ص ص 38 ـ 39 .

11) أرشاك ألبوياجيان ،الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 5 ـ 6 ،ونوبار دير ميكائيليان ،تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ،ص 46 .

12) نوبار دير ميكائيليان ،تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص 46 .

13) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 6 .

14) أرداشيس كارادشيان ،مواد لتاريخ الجالية الأرمنية في مصر (بالأرمينة) ، 2 : 5 .

15) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 9 ـ 10 .

16) موسيس خوريناتسي ، تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 427 ـ 429 ، وأرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الجالية الأرمنية في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 3 .

17) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 6 ـ 7 .

18) المصدر نفسه .

19) المصدر نفسه ، ص ص 8 ـ 9 .

20) شهرية « أرمينيا السوفيتية » (بالأرمنية) ، تشرين الثاني 1959 م ، العدد 11 ، ص ص 38 ـ 40 ، ودورية « آتشميادزين » (بالأرمنية) ، كانون الثاني ـ شباط ، السنة الرابعة ـ 1947 م ، ص ص 43 ـ 46 .

21) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3 : 284 ـ 1 .

22) أرشاك ألبوياجيان ، الإقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 15البطريرك (طوركوم) (كوشاقيان) ، كنائس الأرمن القديمة والحديثة

في مصر (بالأرمنية) ، ص ص 10 ـ 11 .
23) مدخل إلى تاريخ مصر بقلم مؤرخين وعلماء آثار مختلفين ، مصر الإسلام من الفتح العربي حتى الفتح العثماني (بالفرنسية) ، بقلم غاستون فييت ، 2 : 216 .
24) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 29 .
25) ماتيوس أورهايتسي ، حوليات (بالأرمنية) ، ص 139 .
26) المجموعة الاستشراقية (بالأرمنية) ، العدد 2 ـ 1964 م ، ص 315 .
27) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5 : 140 ـ 2 .
28) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 132 .
29) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، 2 : 354 .
30) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 343 ، و2 : 501 ـ 519 .
31) المصدر نفسه ، 2 ، 509 ، والأمير عمر طوسون ، وادي النطّرون ، ص ص 70 ـ 79 ، ونوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص 97 .
32) البطريرك (طوركوم) (كوشاقيان) ، كنائس الأرمن القديمة والحديثة في مصر (بالأرمنية) ، ص ص 244 ـ 245 .
33) ماتيوس أورهايتسي ، حوليات (بالأرمنية) ، ص 139 .
34) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 142 .
35) لقد تكلم عن هؤلاء كثير من المؤرخين الأرمن والعرب والأجانب نذكر منهم على سبيل المثال : المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 356 ـ 358 ، 377 ، 379 ، 382 ، 397 ، 401 ، 403 ، 407 ، 423 ، 427 ، 438 ، 440 ، 461 ، 483 ، ونفس المصدر ، 2 : 12 ، 17 ، 63 ،

86 ، 95 ـ 96 ، 101 ، 138 ، 182 ، 293 ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 : 221 ـ 222 ، 238 ـ 240 ، وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 2 : 205 ، 235 ، 3 : 4 ـ 6 ، 11 ـ 12 ، وابن الشداد ، الأعلاق الخطيرة ، 4 : 165 ـ 168 ، والدكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ص 168 ، 172 ـ 175 ، 177 ـ 178 ، 180 ، 186 ـ 188 ، 192 ، 213 ـ 215 ، 225 ، 244 ، 246 ، 267 ، 301 ، 313 ـ 314 ، 316 ، 378 ، 380 ـ 382 ، 431 ، 449 ، 450 ـ 451 ، 453 ـ 454 ، 516 ، 520 ، 530 ، 533 ـ 534 ، 539 ، 540 ـ 541 ، 543 ، 545 ، 556 ، 559 ، 564 ، 567 ، 570 ، 582 ، 586 ، 627 ، 635 ـ 636 ، 648 ، 656 ـ 657 ، 673 ، والدكتور محمد حمدي المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص ص 39 ـ 40 ، 91 ، 149 ، 163 ، 272 ، وأديب السيد ، أرمينية في التاريخ العربي ، ص ص 273 ـ 308 ، وفيليب حتي ، تاريخ العرب (بالانكليزية) ، ص ص 622 ، 630 ، ومدخل إلى تاريخ مصر بقلم مؤرخينن وعلماء آثار مختلفين ، غاستون فييت ، مصر الإسلام من الفتح العربي حتى الفتح العثماني (بالفرنسية) ، 2 : 158 ـ 159 ، 179 ، 186 ـ 192 ، 194 ـ 196 ، 201 ، 208 ، 216 ، 327 ـ 328 ، وستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ، 131 ، 150 ـ 154 ، 161 ـ 165 ، 167 ـ 168 ، 173 ، 175 ـ 177 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الإقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 19 ـ 35 ، وكيورك مصرليان ، من أعلام الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، ص ص 28 ـ 30 ، 40 ، 57 ـ 58 ، 61 ـ 63 ، 96 ـ 98 ، 101 ـ 102 ، ونوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص ص 79 ـ 83 ، 111 ـ 135 ، وهـ . صوفيان ، الأمراء والمماليك الأرمن في مصر في العهد الفاطمي (بالأرمنية) ، ص ص 26 ـ 52 ، وأرشاك

ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 462 ـ 465 ، وآ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 132 ـ 137 ، وماتيوس أورهايتسي ، حوليات (بالأرمنية) ، ص ص 152 ـ 153 .

36) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 382 .

37) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 : 221 ـ 222 .

38)المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 381 ـ 382 .

39) المصدر نفسه ، 2 : 12 ، والدكتور محمد حمدي المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص 77 .

40) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 382 .

41) المصدر نفسه .

42) المصدر نفسه ، 1 : 379 .

43) المصدر نفسه ، 1 : 380 ـ 381 ، وستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ، ص ص 117 ، 152 ، 172 ، 178 ، 196 ، وستانلي لاين ـ بول ، الفن الإسلامي في مصر (بالانكليزية) ، ص 19 .

44) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 381 ، وستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ، ص ص 117 ، 152 ، 291 ، وستانلي لاين ـ بول ، الفن الإسلامي في مصر ، ص ص 65 ، 226 .

45) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 381 ، وستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ، ص ص 117 ، 152 .

46) فيليب حتي ، تاريخ العرب (بالانكليزية) ، ص 630 ، وستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ، ص 152 ، وكيورك مصرليان ، من أعلام الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، ص 32 ، والدكتور محمد حمدي المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص 128 .

47) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 438 .
48) المصدر نفسه ، 1 : 438 .
49) المصدر نفسه ، 2 : 95 .
50) المصدر نفسه ، 2 : 138 ـ 139 ، وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 2 : 205 ، وابن الوردي ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، 2 : 14 .
51) ماتيوس أورهايتسي ، حوليات (بالأرمنية) ، ص 139 .
52) كيراكوس كانتساكتسي ، تاريخ الأرمن (بالأرمنية) ، ص ص 78 ـ 79 .
53) غيفونت آليشان ، شنورهالي وأنسباؤه (بالأرمنية) ، ص 502 ، وماتيوس أورهايتسي ، حوليات (بالأرمنية) ، ص 139 .
54) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 443 .
55) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 : 222 ، وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 3 : 5 ـ 6 ، ونفس المصدر ، 2 : 235 ، وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 197 .
56) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 461 .
57) المصدر نفسه .
58) المصدر نفسه ، 1 : 357 ، وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 3 : 5 ـ 6 .
59) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 17 .
60) المصدر نفسه .
61) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 3 : 6 .
62) المصدر نفسه ، 3 : 8 ـ 9 ، والمقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 357 .
63) نوبار دير ميكاثيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى

(بالأرمنية) ، ص 126 ، 249 .
64) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 : 238 ـ 239 ، والمقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 357 ـ 358 ، ونفس المصدر ، 2 : 293 ـ 294 .
65) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 358 .
66) المصدر نفسه ، 2 : 85 .
67) المصدر نفسه ، 2 : 64 .
68) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 11 .
69) جريدة « الأهرام » ، 22 تشرين الثاني 1952 .
70) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 467 .
71) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 85 .
72) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 3 : 65 ، والمقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 86 ، وجريدة « الأهرام » ، 22 تشرين الثاني 1952 ، وكيورك مصرليان ، من أعلام الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، ص 111 .
73) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 466 .
74) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 : 430 ، والمقريزي ، الخطط المقريزية ، 1 : 347 ، 379 ، 380 ، ونفس المصدر ، 2 : 95 ، 204 .
75) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 3 : 201 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 42 ، ونوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص ص 166 ـ 167 ، وستانلي لاين ـ بول ، تأريخ لمصر في العصور الوسطى (بالانكليزية) ، ص 237 .
76) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 4 : 3 ـ 4 .

77) المصدر نفسه ، 4 : 5 .
78) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 2 : 226 .
79) المصدر نفسه ، 2 : 237 .
80) كامل الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، 3 : 179 .
81) أواديس صانجيان ، الجاليات الأرمنية في سورية تحت الاحتلال العثماني (بالانكليزية) ، ص 19 .
82) ناظاريت م . آغازارم ، معلومات عن الجالية الأرمنية في مصر (بالأرمنية) ، ص 17 .
83) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 141 ـ 142 .
84)(هراجيا) آجاريان ، قاموس لأسماء الأعلام الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 : 382 .
85) بطرس البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، 3 : 204 ، والمستشار فؤاد حسن حافظ ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، ص 168 .
86) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 470 .
87)البطريرك ماغاكيا أورمانيان ، « آزكابادوم » (بالأرمنية) ، 2 : 1963 ـ 1964 .
88) الكاثوليكوس المساعد بابكين الأول ، تاريخ الجثالقة لكاثوليكوسية بيت كيليكيا الكبير (بالأرمنية) ، ص 39 ـ 1 .
89) أرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 2 : 470 .
90) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 142 .
91) المقريزي ، الخطط المقريزية ، 2 : 64 .

92) جريدة « الأهرام » ، 22 تشرين الثاني 1952 .
93) نوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في العصور الوسطى (بالأرمنية) ، ص ص 44 ـ 45 .
94) تاريخ الشعب الأرمني (بالأرمنية) ، 1951 ، 1 : 174 .
95) المصدر نفسه ، 1 : 214 ـ 215 .
96) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 12 ، وآ(شود) ك . أبرهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (الأرمنية) ، 1 : 143 .
97) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 50 ـ 51 .
98) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 12 .
99) المصدر نفسه ، 2 : 13 .
100) سير غاردنر ويلكنسون ، مصر الحديثة وطيبا (بالانكليزية) ، ص 504 .
101) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 52 ـ 58 ، وآ(شود) ك و أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 145 .
102) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 12 .
103) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 79 .
104) (محمد) صبري ، الامبراطورية المصرية تحت حكم محمد علي وقضية الشرق (1811 ـ 1849) (بالفرنسية) ، ص ص 121 ـ 124 ، 141 ، 144 ، 149 ، 173 ، 186 ، 241 ـ 242 ، 247 ، 273 ، 276 ،

279 ، 283 ، 289 ، 298 ، 311 ، 312 ، 388 ، 402 ، 409 ، 415 ، 505 ، 519 ، 523 ، 538 ، 569 ، وأرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 74 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 65 ـ 69 .

105) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 33 .

106) المصدر نفسه ، 2 : 226 ـ 230 ، و (محمد) صبري ، الامبراطورية المصرية تحت حكم محمد علي وقضية الشرق (1811 ـ 1849) (بالفرنسية) ، ص ص 464 ، 545 ، 557 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 79 ـ 82 ، والأمير عمر طوسون ، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي ، ص 186 .

107) أمين سامي باشا ، التعليم في مصر ، ص ص 9 ، 47 ، وأرداشيس كاراشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 236 ـ 240 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 82 ـ 83 .

108) أمين سامي باشا ، التعليم في مصر ، ص ص 9 ، 47 ، وأرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 241 ـ 244 ، وأرشاك ألبووياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 38 ، 42 ـ 43 ، 73 ، 120 ، (وذكر في « صدى آرارات » ، العدد الثامن / تشرين الثاني 1992 ، أنّه هناك كتاب بعنوان « عصر هيكيكيان » من تأليف د . عبد الرحيم مصطفى) .

109) مدخل إلى تاريخ مصر ، بقلم مؤرخين وعلماء آثار مختلفين ، أنجلو سامّاركو ، عهد عباس ، سعيد وإسماعيل (بالفرنسية) ، 4 : 12 ، 16 ، 126 ، 133 ، 142 ، 152 ، 155 ، 160 ـ 161 ، 167 ، 193 ، 196 ، 208 ـ 209 ، 211 ، 225 ، 247 ، 274 ، 279 ـ 280 ،

283 ـ 287 ، 321 ، 328 ، 350 ـ 353 ، 545 ، وأرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 204 ـ 221 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 83 ـ 95 ، (وذكر في « صدى آرارات » العدد الثامن / تشرين الثاني 1992 ، كتاب بعنوان « نوبار في مصر » من تأليف نبيل زكريا) .

110) (محمد) صبري ، الامبراطورية المصرية (بالفرنسية)، ص 237 .

111) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 243 ـ 251 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 138 ـ 140 ، وأمين سامي باشا ، التعليم في مصر ، ص 110 .

112) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 105 ـ 106 ، وي . كرومر ، مصر الحديثة (بالانكليزية) ، ص ص 630 ـ 634 .

113) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 233 ـ 235 .

114) المصدر نفسه ، 2 : 278 ـ 382 ، والمصدر نفسه ، 3 : 176 ـ 186 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 167 ـ 169 .

115) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 261 ـ 263 .

116) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 97 ـ 219 .

117) واليس بادج ، النيل (بالانكليزية) ، ص 43 .

118) هاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 41 .

119) المصدر نفسه .
120) المصدر نفسه .
121) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 : 482 ـ 1 .
122) المصدر نفسه ، 3 : 482 ـ 2 .
123) المصدر نفسه .
124) المصدر نفسه ، 3 : 481 ـ 3 ، 482 .
125) نوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في العصور الوسطى (بالأرمنية) ، ص ص 226 ـ 233 .
126) أمين سامي باشا ، التعليم في مصر ، ص 13 .
127) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 : 482 ـ 3 ، وهاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 41 .
128) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 3 : 483 ـ 1 .
129) الأب لويس شيخو ، كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص 62 .
130) المصدر نفسه ، ص 21 . والمؤلف بعنوان :

The Chulches And Honasteries Of Egypt And Neighbourig Countries,Attnbuted To ABU SALIH,THE ARMENIAN Translated From The Original Arabic By B.T.A.EVETTS,With Added · Notes By ALFRED J.BUTLER.Oxford,1895.

131 فيليب حتي، تاريخ العرب (بالانكليزية) ، ص 630 ، وشهرية « أرمينيا السوفيتية » (بالأرمنية) ، تشرين الثاني 1959 ، العدد 11 ، ص ص 38 ـ 40 .
132) هاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 42 .
133) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 210 .
134) المصدر نفسه ، ص 214 .

الفصل السادس

دول المغرب العربي والسودان

عرف الأرمن القارة السوداء منذ العهود التاريخية القديمة ، واستقرّوا بخاصة في مصر ، وكانت العلاقات المتبادلة بين الشعبين والبلدين في المجالات الثقافية والتجارية والسياسية نشيطة . ومن المرجّح أنهم انتقلوا باتجاه غرب مصر وجنوبها إلى بلاد المغرب العربي والسودان .

لمعت فعاليات الأرمن في شمالي إفريقيا في العهد البيزنطي (395 ـ 640 م) ، وظلّت المناصب الرئيسة بيد الأرمن نحو قرنين من الزمن . وقد ورد سابقاً أنّه في فترة حكم الامبراطور جوستنيان الأوّل (527 ـ 565 م) قام القائد الأرمني نرسيس باسيني بفتح إفريقيا[1] ، وتذكر بعض المصادر الأرمنية أنّه كان والياً على الاسكندرية[2] .

وفي سنة 545 م أرسل القائد الأرمني إلى ليبيا القائد الروماني أرسبنت الذي كان عضواً في مجلس الشيوخ الروماني وكان في جيشه فيلق أرمني بقيادة القائد الأرمني آرداوان أرشاقوني . في السنة نفسها (545 م) غدا آرداوان أرشاقوني القائد العام للقوات البيزنطية في ليبيا كما مُنح له لقب « دوق إفريقيا » تقديراً لأعماله البطولية ، ثمّ وبعد مدة من الزمن ، عندما عاد إلى بيزنطة ، منحه الامبراطور جوستنيان الأوّل لقب « القنصل » وعُيِّن

قائداً للقوات البيزنطية ، وإنّ الذي خلّفه في قيادة القوات البيزنطية على ليبيا كان أرمنيّاً أيضاً ويدعى هوفهانيس[3] .

وفي عهد الامبراطور موريس (أو موريغ) (583 ـ 602 م) الأرمني النشأة كان حاكم مصر وإفريقيا البيزنطية هرقل الأرمني ، الذي كان ينحدر من سلالة عائلة أرمنية نبيلة ، وكان نائبه في مصر شقيقه كريكور[4] .

وتذكر المصادر التاريخية أنّ الهرقليون ، أي هرقل الأرمني وابنه فلافيوس هرقل وشقيقه كريكور وابن هذا الأخير نيقيداس ، حكموا نحو نصف قرن من الزمن ، كانت فترة رخاء وسلم وأمان[5] .

في سنة 602 م قَدم نيقيداس بجيشه من قرطاجة (تونس) إلى مصر واستولى على العاصمة الاسكندرية ثمّ هجم على القسطنطينية عن طريق فلسطين وسورية[6] . وفي سنة 610 م هجم فلافيوس هرقل بالاسطول الافريقي على القسطنطينية . وإثر قهره للامبراطور فوكاس (602 ـ 610 م) أعلن نفسه امبراطوراً على الامبراطورية البيزنطية (أو الرومانية الشرقية) باسم هرقل الأوّل فكان ثاني أباطرة البيزنطيين من أصل أرمني . وقد حكم في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 610 ـ 641 م ، وأولى إفريقيا كثيراً من اهتمامه[7] . فقد أبقى والده هرقل في منصبه ، حاكماً على مصر وافريقيا حتى وافته المنية سنة 611 م فخلّفه شقيقه كريكور الذي عينّ ابنه نيقيداس حاكماً على مصر (619 ـ 629 م)[8].

أثناء الفتوحات العربية في إفريقيا سنة 646 م ، أعلن كريكور نفسه امبراطوراً من مقرّه في قرطاجة (تونس) وصكّ نقوداً باسمه[9] . وقد خاض صراعاً عنيفاً مع ابنته الحسناء ضد الجيوش العربية ، بقيادة القائد العربي

سعد بن أبي وقّاص ، إلى أن وقع صريعاً في إحدى المعارك[10] .

ويعلمنا الباحث الأرمني المعاصر آشود ك . أبراهاميان أنّه في القرنين السادس والسابع للميلاد ، كان دور التجّار الأرمن كبيراً في إفريقيا[11] ، وقد انتشر الأرمن في هذه الفترة باتجاه الجنوب ووصلوا إلى السودان وأثيوبيا وأغوار إفريقيا أيضاً[12] .

في العهود التاريخية التالية ، نجد الأرمن متمركزين في مصر ، وتذكر المصادر الأرمنية والعربية والأجنبية على حد سواء معلومات مستفيضة عن الجالية الأرمنية في مصر .

وتوجد اليوم عشرات من الأُسر الأرمنية في دول المغرب العربي ، قدمت إلى هذه المناطق من البلاد العربية الأخرى في الفترات الأخيرة لربّما لغايات اقتصادية وتجارية .

السودان

لا بدّ أنّ بعض أبناء الجالية الأرمنية في مصر ، انتقلوا جنوباً إلى السودان في مختلف الفترات التاريخية ، إلاّ أنّ الجالية الأرمنية في السودان تكوّنت في النصف الثاني في القرن التاسع عشر للميلاد ، حيث قدمت أولى جماعات المهاجرين من تركية ، واستقرّت في الخرطوم ، وأم درمان ، وكان

بينهم التجّار والحرفيين ، كما عمل بعضهم في مجال الزراعة وأسسوا مؤسسات إنتاجية ـ اقتصادية .

ازداد عدد الأرمن في السودان ازدياداً ملحوظاً أيام حكم آراكيل نوبار في السودان في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1856 ـ 1858 م (نحو 14 شهراً) ، ثم ما لبث أن انخفض من جديد .

وهنا لا بد أن نتكلّم قليلاً عن الأرمن الذين خدموا السودان بعد أن فتحه محمد علي . وأبرزهم آراكيل بك نوبار (1826 ـ 1858 م)[14] . إنّه شقيق نوبار باشا نوباريان ، وُلد في إزمير وتلقّى تعليمه العالي في باريس . قَدم إلى مصر سنة 1847 م وعُيّن الترجمان والسكرتير الخاص للأمير إبراهيم . وفي الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1853 ـ 1854 م عُيّن ملحقاً عسكرياً في السفارة المصرية في برلين . وقد رافق آراكيل بك نوبار ، سعيد باشا (1854 ـ 1863 م) في زيارته إلى السودان ، فعيّنه هذا الأخير حاكم مصوع سنة 1856 م . لقد قَبِل آراكيل بك نوبار بهذه الوظيفة الصعبة وخدم مصر والسودان بكل تفانٍ وإخلاص في وقت لم يرغب بها أحد غيره . وقد توفي في الخرطوم في أيلول سنة 1858 م .

والثاني هو آراكيل بك أبرو (1832 ـ 1875 م)[15] . وُلد في إزمير وتلقّى تعليمه العالي في ألمانيا وكان يتقن اللغة الألمانية والانكليزية والفرنسية والتركية . عُيّن سنة 1868 م السكرتير الخاص للخديوي إسماعيل (1863 ـ 1879 م) ، وخدم في وزارة الخارجية المصرية في الفترة الممتدّة ما بين السنوات 1870 ـ 1874 م . وفي سنة 1874 م عيّنه الباشا حاكم مصوع . قُتل سنة 1875 م في ساحة الوغى وهو يلبي نداء الأمير حسن

لمساعدة الجنود المصريين المحاصرين الذين كانوا يقاتلون ضد الأثيوبيين لتحرير الممالك الصغيرة .

ازداد عدد الأرمن في السودان ازدياداً كبيراً عقب الاضطهادات العثمانية للأرمن في تركية في مابين السنوات 1895 ـ 1896 م ومذابح أضنة سنة 1909 م ، وقدمت هجرات جماعية من الأرمن ، في سنوات الحرب العالمية الأولى ، وبعد نكبة كيليكيا سنة 1922 م وذلك بعد مجيئهم إلى مصر ، لذلك غالباً ما تعدّ الجالية الأرمنية في السودان فرعاً من الجالية الأرمنية في مصر .

وكانت الجالية الأرمنية في هذه الفترة ، تضمّ التجّار والحرفيين والمزارعين والعمال وأصحاب المهن الحرّة والأطباء والمهندسين . فقد وصل بعض أبناء الجالية إلى مراكز مرموقة في الدولة والحكومة ، بينما لعب بعض التجّار الأرمن دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية للسودان .

وفي مطلع هذا القرن كانت توجد جاليات أرمنية صغيرة في المدن السودانية الأخرى .

ووفق الموسوعة السوفيتية الأرمنية[16] كان عدد الأرمن سنة 1984 م يبلغ نحو 1000 أرمني ، ينتشرون في الخرطوم وأم درمان على نحو رئيس ، ثمّ في كتارف ويعملون في التجارة ومختلف الحرف والمهن .

وفي المجال الثقافي . كان الأرمن في الفترة الأولى من حياة الجالية ، على صلة وثيقة مع أبناء الجالية الأرمنية في مصر وأثيوبيا . ثمّ تشكّلت في الخرطوم وأم درمان فرق من المفكّرين الذين تلقّوا تعليمهم في الدول الأوروبية . وكانت أول جمعية نُظّمت في السودان سنة 1911 م جمعية خيرية .

وفي السنوات 1917 ـ 1918 م سُنّت القوانين الخاصة بالأرمن في السودان وصُدّقت من قبل الحكومة السودانية .

وتأسست أول مدرسة في السودان في مدينة كتارف سنة 1923 م وشُيّد بناؤها الجديد سنة 1936 م على قطعة أرض منحتها الحكومة للأرمن .

وأول مدرسة أرمنية في الخرطوم تأسست سنة 1957 م . ويعمل الآن في الخرطوم « النادي الأرمني » و« نادي شبيبة الأرمن » و« الجمعية الخيرية النسائية » ، وللجمعيتين فروع في أم درمان أيضاً .

واليوم ، يتمتع أبناء هذه الجالية الصغيرة باحترام وتقدير السودانيين شعباً وحكومة .

الحواشي

1) نوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص 54 ، وأرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 174 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 6 .

2) أسبوعية « ناقوس أرمينيا » (بالأرمنية) ، 9 شباط 1935 ، العدد 6 ، ص ص 125 ـ 126 .

3) نوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص 54 ، وأرشاك ألبوياجيان ، تاريخ الهجرات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 174 ، وأرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 7 .

4) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 7 .

5) المصدر نفس .

6) نوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص 55 .

7) المصدر نفسه .

8) المصدر نفسه .

9) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص 9 .

10) المصدر نفسه .
11) آ(شود) ك . أبراهاميان ، لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، 1 : 46 .
12) نوبار دير ميكائيليان ، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى (بالأرمنية) ، ص ص 44 ـ 45 .
13) انظر الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 11 : 181 ، وهاكوب آتيكيان ، التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 51 ـ 52 .
14) أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 215 ـ 220 ، وغابرئيل هانوتو ، تاريخ الشعب المصري (بالفرنسية) ، 5 : 570 (نقلاً عن أرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 218) .
15) أرشاك ألبوياجيان ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية (بالأرمنية) ، ص ص 113 ـ 114 ، وآرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 189 ـ 190 ، ورينيه بك كتّاوي ، عهد محمد علي (بالفرنسية) ، 1 : 267 ، 290 ، 345 ، (نقلاً عن آرداشيس كارداشيان ، مواد لتاريخ الأرمن في مصر (بالأرمنية) ، 2 : 187) .
16) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 11 : 181 ـ 1 ، 2 .

الفصل السابع

الكويت والمملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي

بدأت هجرة الأرمن إلى الكويت من البلاد العربية الأخرى ، لغايات اقتصادية وتجارية ، في الخمسينات والستّينات من هذا القرن ، واستمرّت في العقود التالية . وإنّ الجاليةالأرمنية في الكويت انتظمت انتظاماً جيداً في مطلع السبعينات .

ووفق معطيات الموسوعة السوفيتية الأرمنية[1]كان عدد الأرمن في الثمانينات يبلغ نحو 11000 أرمني ، ويتمركزون في العاصمة الكويت وقد أنشئت فيها كنيسة أرمنية سنة 1967 م ويذكر من بين مؤسسيها ، القس باروير سركيسيان ، الذي قَدم إلى الكويت سنة 1961 م ولا يزال يرعى الجالية الأرمنية هناك . وتأسست فيها المدرسة الأرمنية سنة 1960 م . وفي هذا الصدد ذكر طه سليمان بورسلي - الموجّه الأول لمادة الاجتماعيات في إدارة التعليم الخاص - بمناسبة اليوبيل الفضي لتأسيس المدرسة الأرمنية في الكويت ، سنة 1985 م مايلي : « وفي بناء متواضع في منطقة السلمية تمّ افتتاح أول مدرسة أرمنية في العام الدراسي (1960 - 1961) تحت رعاية الشيخ عبدالله الجابر الصباح . وكانت صفوفها لا تتعدى الثالث الابتدائية آنذاك . هذا بالإضافة إلى صفوف الروضة وكان تعداد تلاميذها حوالي (90) تلميذاً .

« وفي العام الدراسي (73 ـ 74) تم التحول الكبير إذ انتقلت المدرسة إلى بناء مدرسي حديث كبير وواسع هو المبنى الحالي في منطقة السرة . حيث ضم المرافق الأساسية اللازمة لكل مدرسة نموذجية مثل المكتبة والمختبر والساحات الواسعة ، وحجرات الدراسة المكيفة والملاعب .

« وارتفع عدد طلاب المدرسة إلى 728 طالباً موزعين على الصفوف المختلفة من مرحلة الروضة وحتى المرحلة المتوسطة وذلك تحت رعاية مجلس أمناء منتخب من أبناء الجالية الأرمنية .

« وعندما بلغت المدرسة هذه المرحلة من التقدم سعت للحصول على موافقة بفتح فصول مسائية في نفس المبنى باسم ثانوية التضامن الأهلية وذلك تسهيلاً للراغبين في إكمال دراستهم الثانوية بعد إنهاء المرحلة المتوسطة للحصول على شهادة الثانوية العامة الكويتية .

« وقد بدأت الخطوات الأولى في العام الدراسي (1982 ـ 1983) بحوالي 66 طالباً وتم تخرج الدفعة الأولى من الصف الرابع الثانوي العلمي في نهاية العام الدراسي 83 ـ 84 وبنسبة تعادل 90٪ مما شجع على مزيد من التقدم والنمو »[2] .

وللجالية الأرمنية في الكويت اليوم جمعياتها الثقافية والخيرية والأندية الرياضية التي تنظم حياتها ويبلغ عدد الأرمن نحو 3500 ـ 4000 أرمني يتمركزون في العاصمة .

وتجدر الإشارة إلى أن ممثل كاثوليكوسية الأرمن الأرثوذكس لبيت كيليكيا الكبير ، الذي مقرّه الرئيس في العاصمة الكويت ، يرعى أيضاً أبناء الشعب الأرمني المنتشرين في جميع دول الخليج العربي .

ويشهد الجميع بدور الأرمن في النهضة العمرانية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها الكويت في الفترة الأخيرة ، ولمع كثير منهم كرجال أعمال ناجحين في مختلف المجالات الاقتصادية والتجارية والإنشائية .

دول الخليج العربي

لقد بدأ نزوح الأرمن إلى هذه البلاد من البلاد العربية الأخرى في الستّينات والسبعينات من هذا القرن لغايات اقتصادية .

وبعد الحرب الأهلية في لبنان سنة 1975 م هاجر كثير من أبناء الجالية الأرمنية من لبنان ، إلى المملكة العربية السعودية بخاصة ، وبرز بعضهم رجال أعمال ناجحين في المجالات الاقتصادية والتجارية والعمرانية .

ووفق معطيات الموسوعة السوفيتية الأرمنية[3] فقد كان عدد الأرمن في المملكة ، في منتصف الثمانينات من هذا القرن يبلغ نحو 8000 أرمني ، يتوزعون في مختلف مدن المملكة وعلى نحو رئيس في جدّة والرياض .

ويبلغ عدد الأرمن في دول الخليج العربي نحو 2500 ـ 3000 أرمني كما تجدر الإشارة إلى أنّ مؤسسة النفط الأرمنية العالمية « كلبنكيان » تملك أسهماً في إنتاج نفط سلطنة عُمان أيضاً .

واليوم يُعتقد أنّ مجموع عدد الأرمن في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي يبلغ نحو 3500 ـ 4000 أرمني ، يتمركزون على نحو رئيس في المملكة العربية السعودية .

الحواشي

1) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 12 : 505 .
2) المدرسة الأرمنية ـ اليوبيل الفضي (1960 ـ 1985) ، ص ص 23 ـ 24 .
3) الموسوعة السوفيتية الأرمنية (بالأرمنية) ، 10 : 249 .

الخاتمة

في أيلول سنة 1985 م ، ظهر في دورية « لرابير » ـ وهي النشرة الرسمية لأكاديمية العلوم في يريفان ـ بحث بعنوان « التوزّع العددي للأرمن في المهجر الأرمني » بقلم أرميناك أوسكانيان . لقد نقلت جريدة « آزتاك » الأرمنية في عددها الصادر يوم 8 آذار سنة 1986 م مقتطفات من هذا البحث وتبرز فيه توزّع الأرمن في الشتات الأرمني حتى منتصف الثمانينات من هذا القرن .

ووفق هذا البحث كان عدد الجاليات الأرمنية في العالم[1] في نهاية سنة 1984 م يبلغ 84 جالية أرمنية تتوزع على النحو التالي :

26 جالية أرمنية في أوروبا
26 جالية أرمنية في آسيا
20 جالية أرمنية في إفريقيا
10 جاليات أرمنية في أمريكا
2 جالية أرمنية في أستراليا

بينما كان عدد الأرمن يبلغ نحو 000 225 2 أرمني يتوزعون على النحو التالي :

أوروبـــــــــا	عـــدد الأرمـن
ألبانيا	180
انكلترا	17 000
النمسا	4 000
بلجيكا	5 000
بلغاريا	25 000
ألمانيا الشرقية ...	40
ألمانيا الغربية ...	10 000
الدانمارك	100
اسبانيا	500
ايطاليا	1 000
هولندا	3 000
اليونان	15 000
هنغاريا	1 000
بولونيا	1 000
لوكسمبورغ	15
يوغوسلافيا	50
مالطا	10
موناكو	50
السويد	3 000
سويسرا	3 000
تشيكوسلوفاكيا	500

البرتغال	20
رومانيا	6 000
فرنسا	350 000
....	
	أرمني 446 015

آســـيـــا

دول الامارات العربية	5 000
بنغلادش	100
بورما	10
اليمن	10
الهند	1 000
تركية	65 00
إندونيسيا	100
فلسطين	2 600
إيران	220 000
العراق	20 000
لبنان	250 000
قبرص	4 000
كوريا الجنوبية	4
هونغ كونغ	50
الأردن	4 000
اليابان	100

الصين	100
المملكة العربية السعودية ..	8 000
سنغفورة	1 000
سورية	120 000
تايوان	30
الكويت	11 300
جزر الفيلبين	100
....	———
	712 204 أرمني

إفريقيــــا

الجزائر	20
غانا	10
مصر	12 000
أثيوبيا	1 000
زائيير	100
زمبابوي	100
تونس	25
ليبيا	100
كونغو	100
جنوب إفريقيا	30 000
مدغشقر	60
المملكة المغربية	200

نيجريا	10
تشاد	10
جيبوتي	100
سيراليون	10
السودان	1 000
ساحل العاج	30
كينيا	10
	44 885 أرمني

أمـــريـكـا

الولايات المتحدة الأمريكية ..	800 000
الأرجنتين	85 000
البرازيل	20 000
كندا	70 000
كـــوبا	100
المكسيك	400
تشيلي	300
فنزويلا	1 600
أوروغواي	14 000
	991 400 أرمني

أستراليا وأوقيانوسيا

أستراليا	30 000
نيو زيلندة	500
	30 500 أرمني

الشتات الأرمني الخارجي

أوروبا	446 015
آسيا	712 204
إفريقيا	44 885
أمريكا	991 400
أستراليا	30 500
	2 225 000 أرمني

وهذه الصورة تختلف اليوم كثيراً ، فقد وقعت في العالم منذ سنة 1984 م أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية جمّة وتغيرات كبيرة ،أثّرت على توزع عدد الأرمن .

* * *

واليوم وعلى الرغم من أنّ جمهورية أرمينيا تحتلّ مكانة مرموقة في العالم ، بجبالها الشامخة ووديانها السحيقة وأنهارها الزرقاء وعاصمتها الرائعة ومدنها العامرة ومراكزها العلمية والثقافية والرياضية المتطوّرة ،وعلى الرغم من أنّ أبناء الشعب الأرمني أثبتوا وجودهم الحي في جميع أرجاء

العالم ،وينعمون بحياة رغيدة ،فإنّ تسوية القضية الأرمنية وقضية الشعب العربي الفلسطيني ،وقضايا جميع الشعوب المظلومة ، تسوية عادلة ومشروعة ستخدم السلام العالمي وتمنع الهجرات وإراقة الدماء وتحفظ الهوية القومية للشعوب وتمهّد السبيل أمام البشرية جمعاء لتنطلق في جو الأخوة والعدالة والمساواة نحو الإبداع والإعمار . . . .

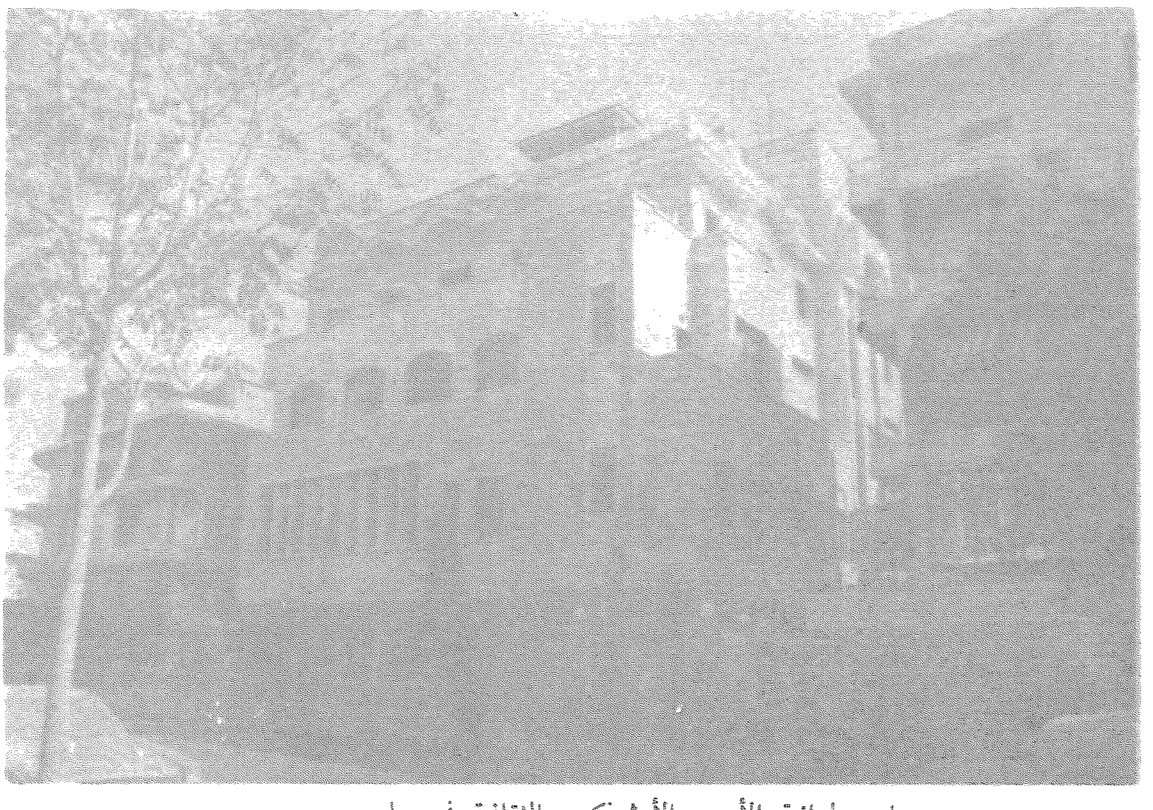
الحواشي

1) والمقصود هنا الجاليات الأرمنية في العالم باستثناء دول الاتحاد السوفيتي سابقاً ، حيث يعيش هناك نحو 000 500 1 ـ 000 000 2 أرمني ويسميهم الأرمن بالشتات الأرمني الداخلي .

صرح الشهداء الأرمن في باحة كاتدرائية الأربعين شهيداً في حلب

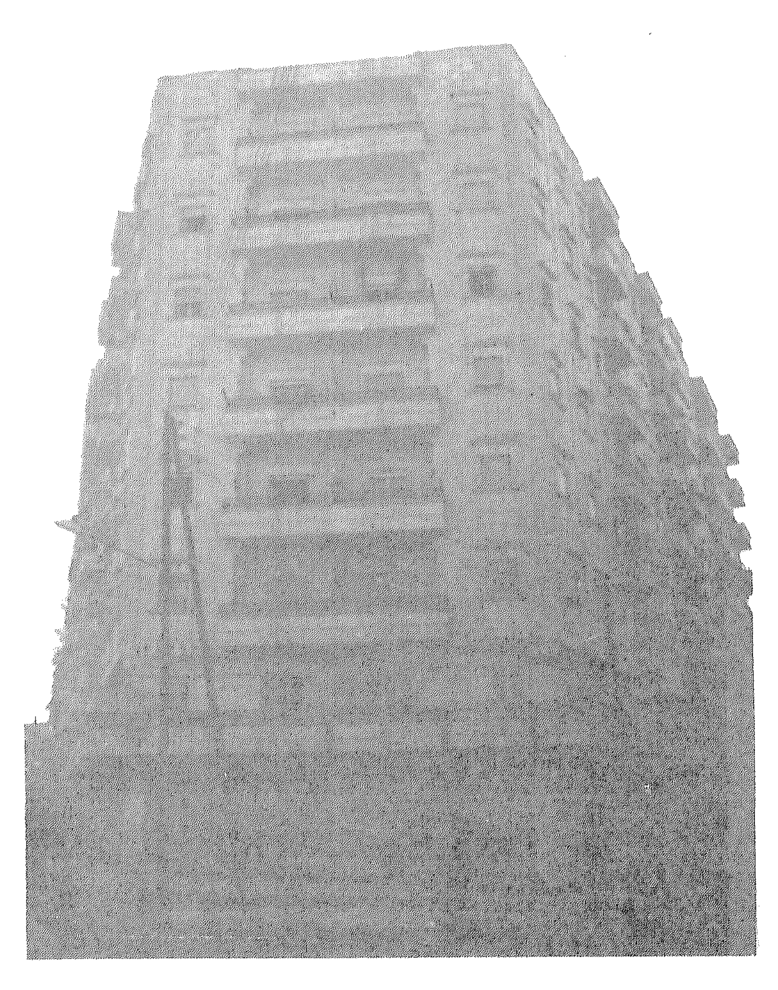


دار العجزة الأرمن في حلب



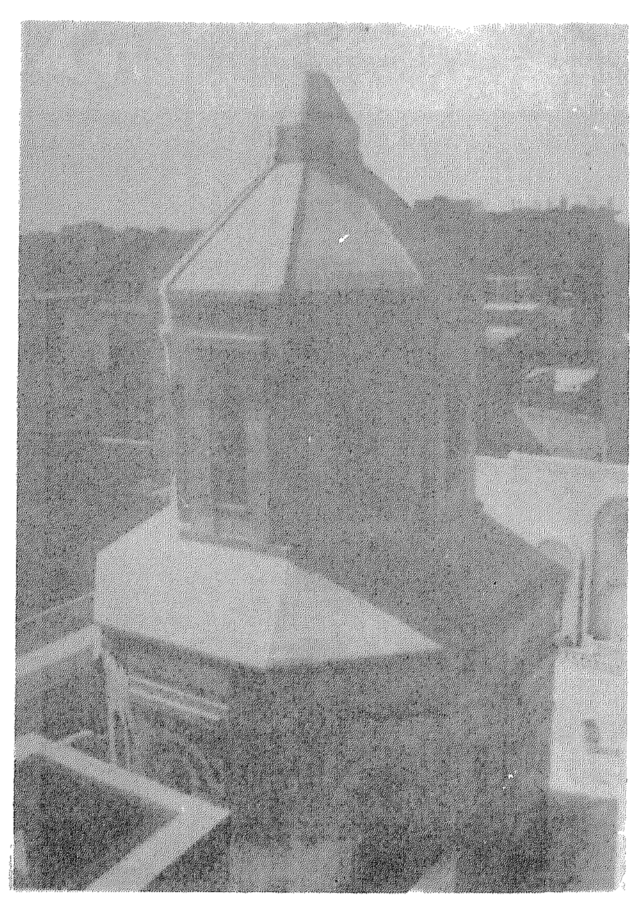
دار مطرانية الأرمن الأرثوذكس الثقافية في حلب

المساكن الشعبية في حيّ الميدان بحلب والتابعة لمطرانية الأرمن الأرثوذكس

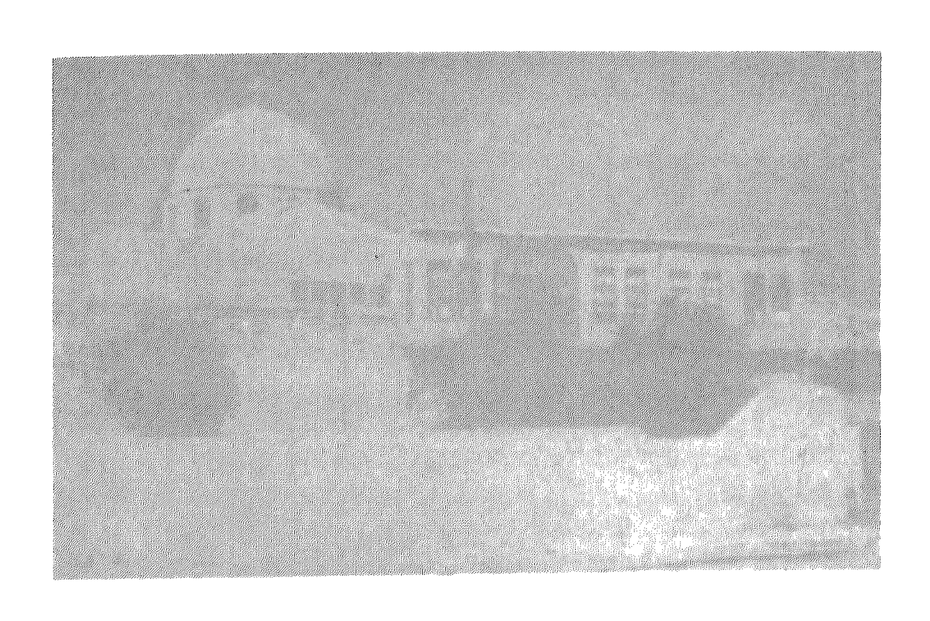




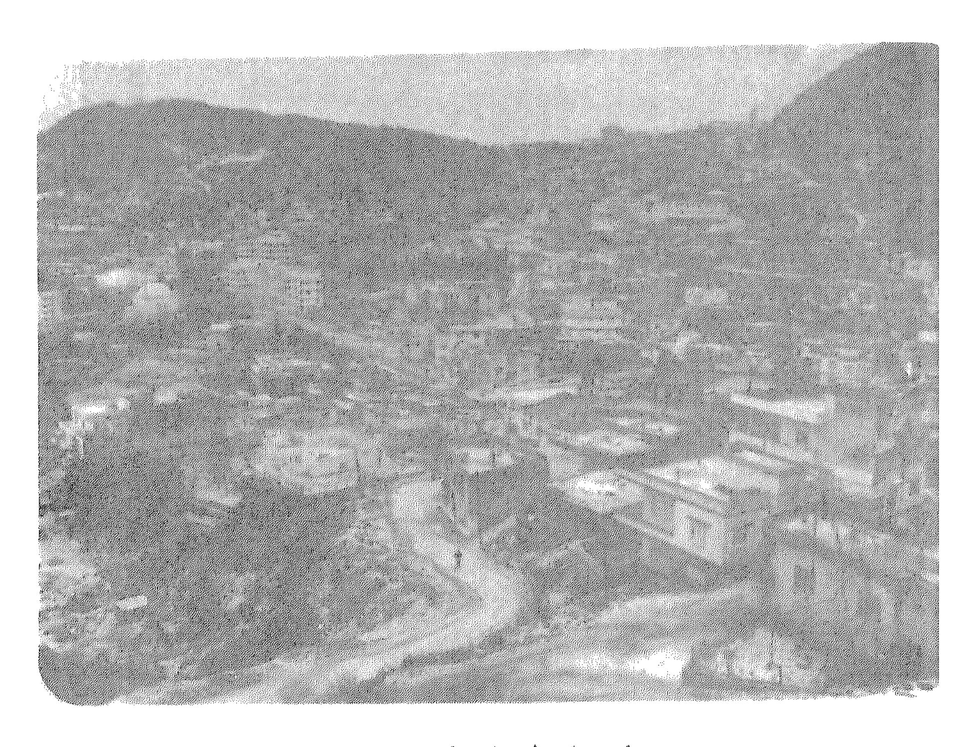
الثانوية السورية الخاصة في حلب



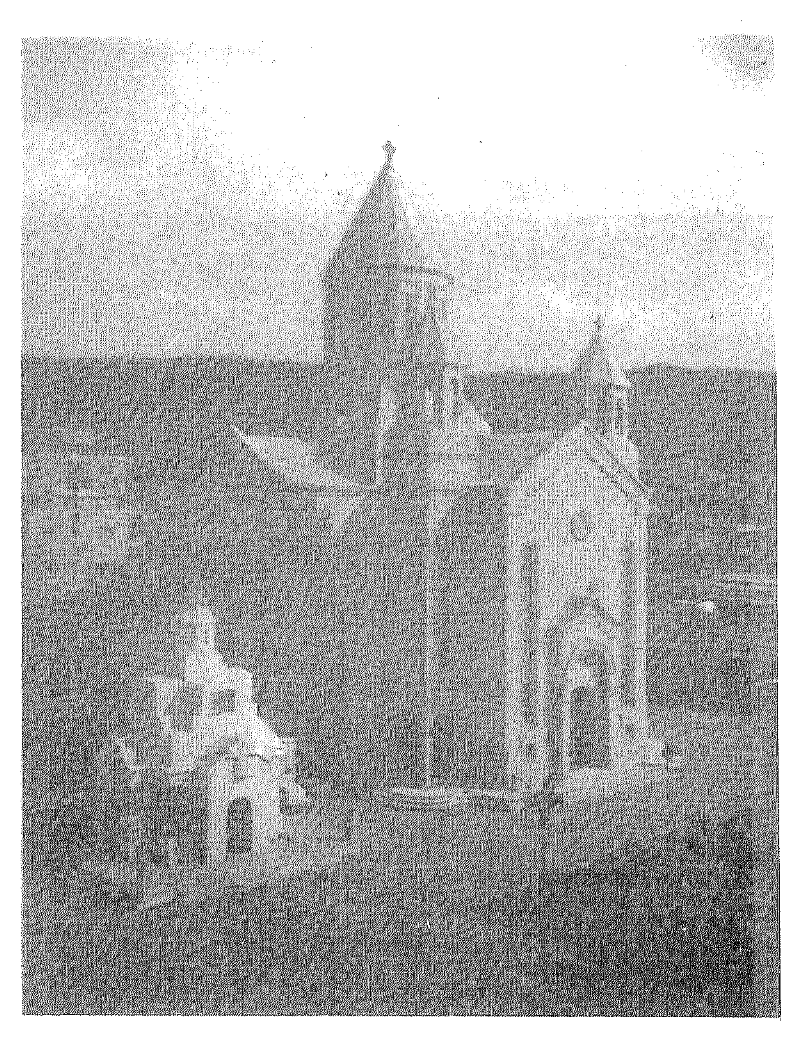
كنيسة الشهداء الأرمن في دير الزور



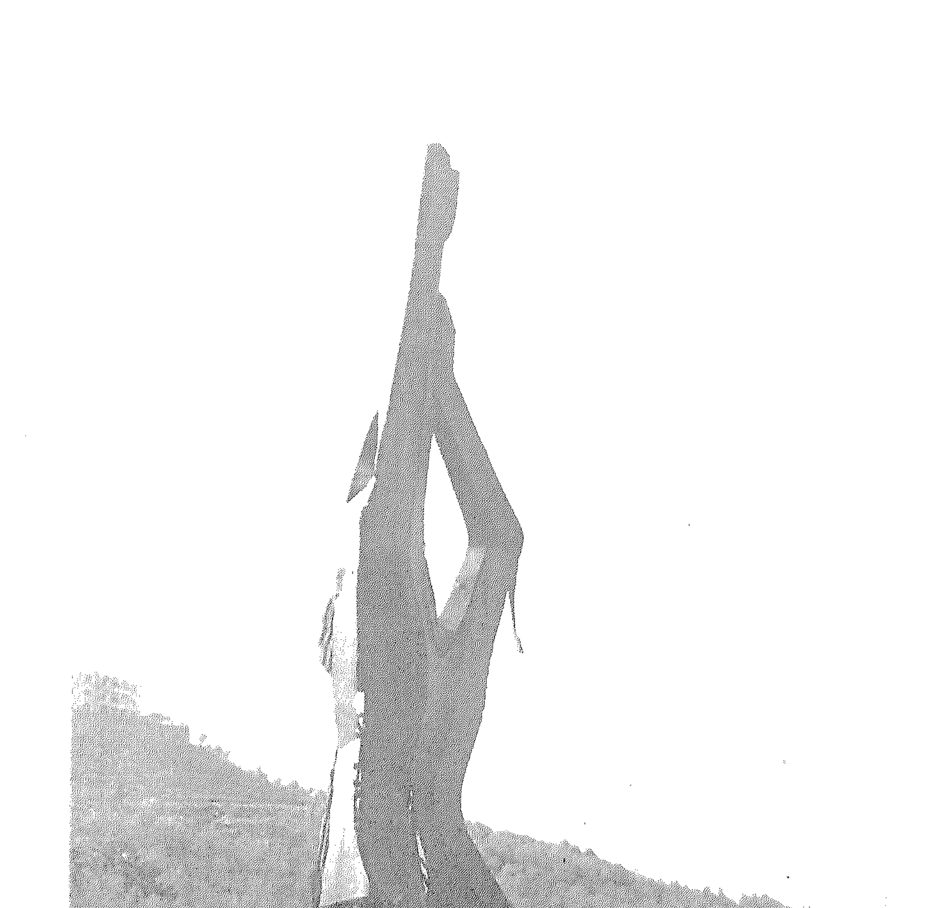
كنسية القديس سركيس للأرمن الأرثوذكس في دمشق



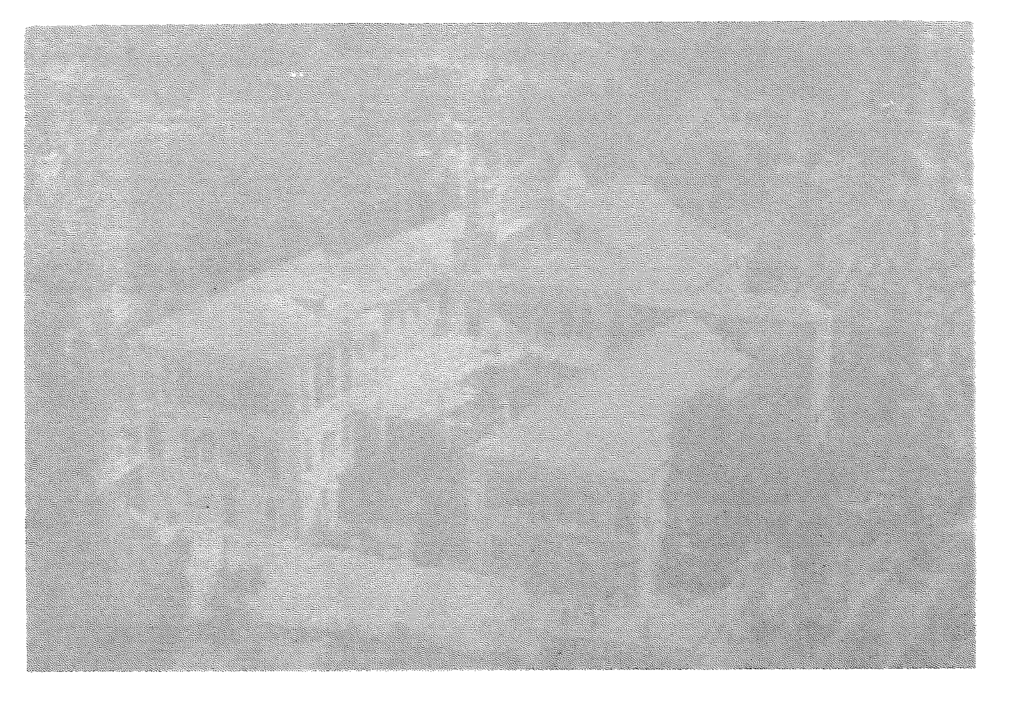
منظر عام لمصيف كسب



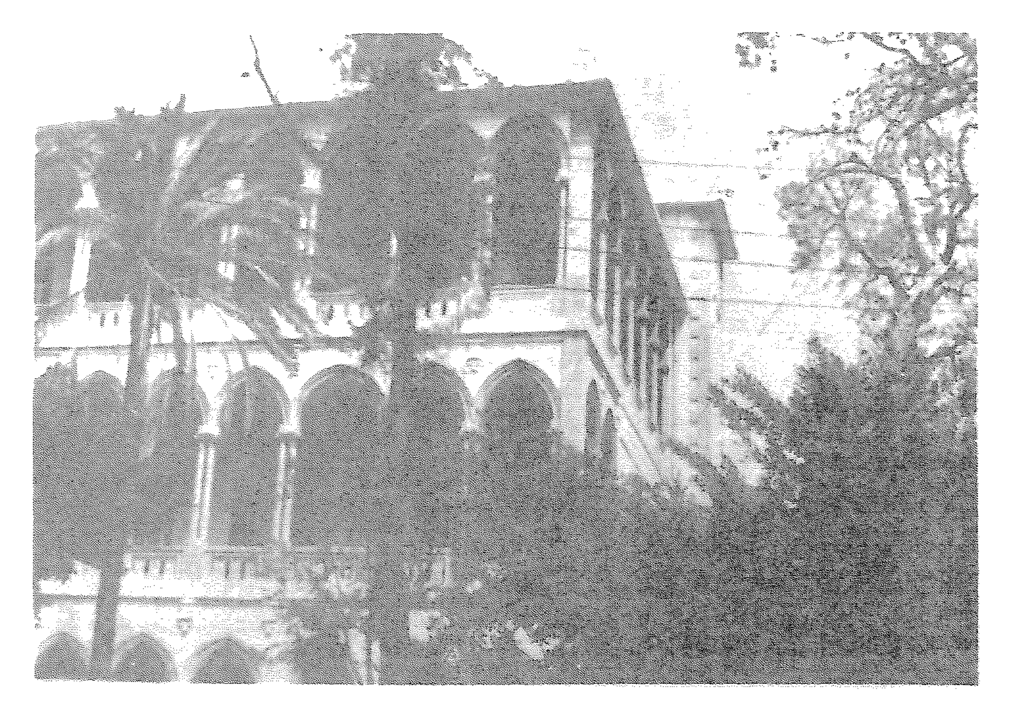
كاتدرائية القديس كريكور المنوّر في كاثوليكوسية الأرمن الأرثوذكس
لبيت كيليكيا الكبير أنطلياس بيروت



نصب الشهداء الأرمن سنة 1915 في بكفيا- لبنان



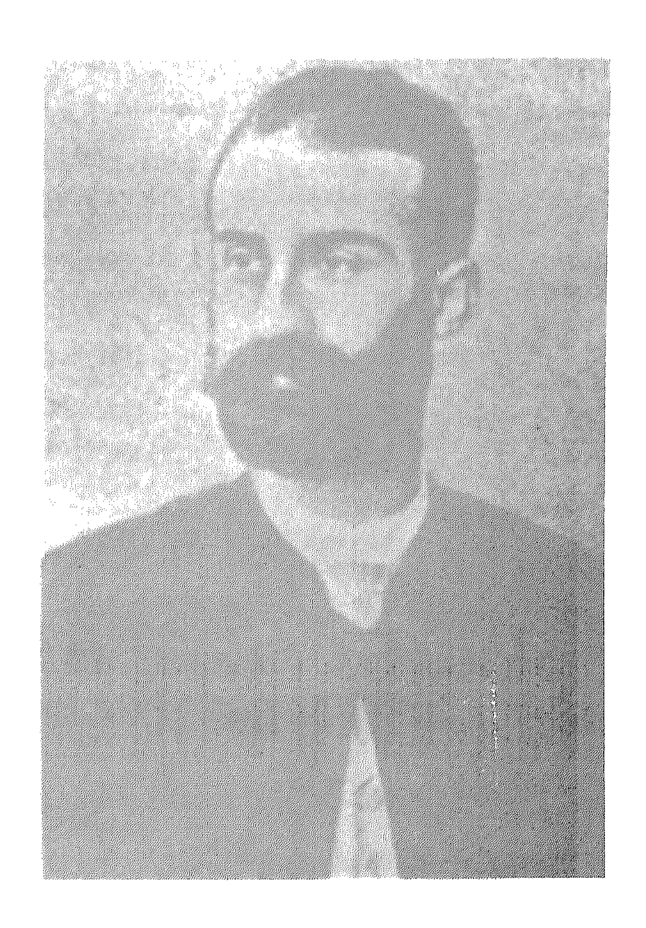
دير بزمّار للأرمن الكاثوليك في لبنان



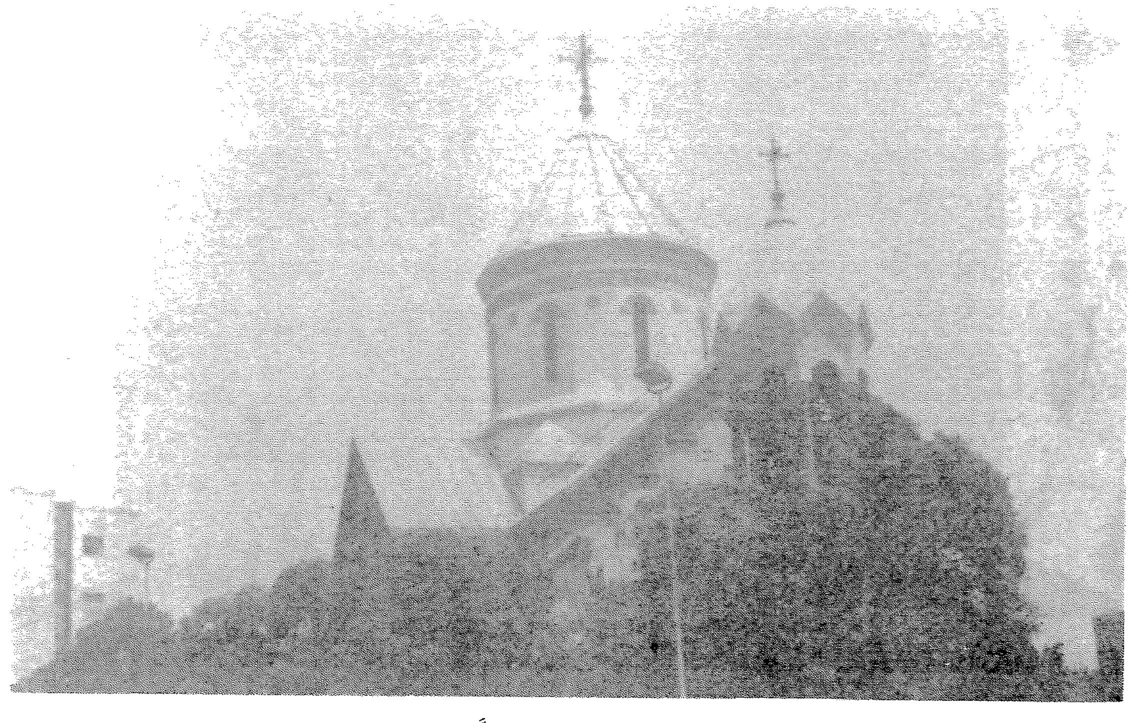
معهد هيكازيان التابع للأرمن الانجيليين في بيروت



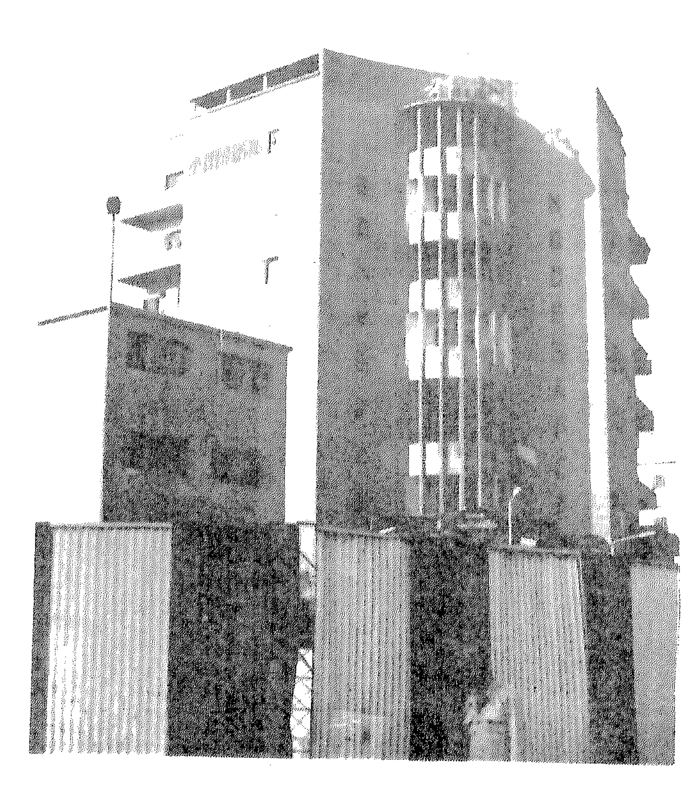
آرتين باشا داووديان



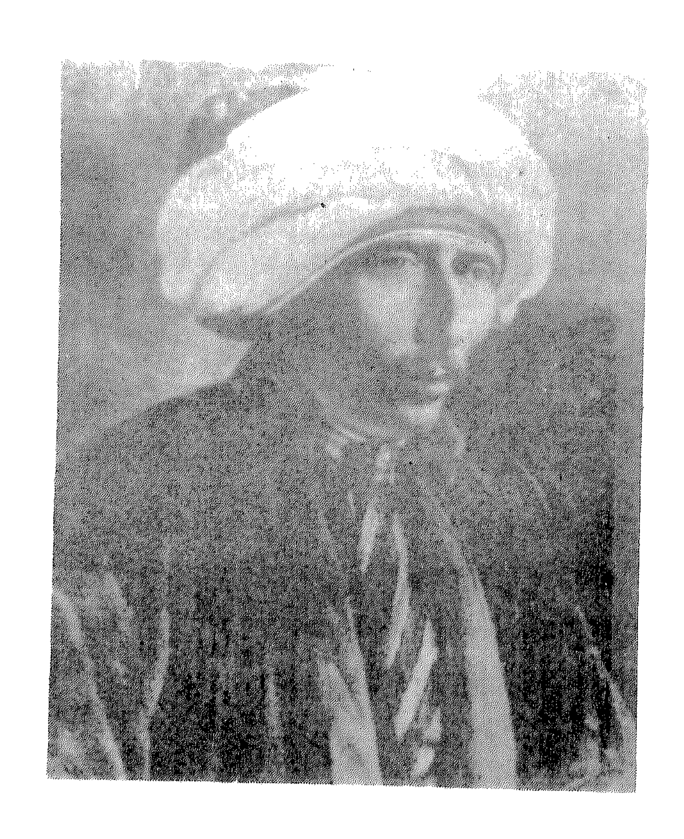
أديب اسحق



كاتدرائية القديس كريكور المنوَّر في القاهرة



دار هوسابير الثقافية في القاهرة



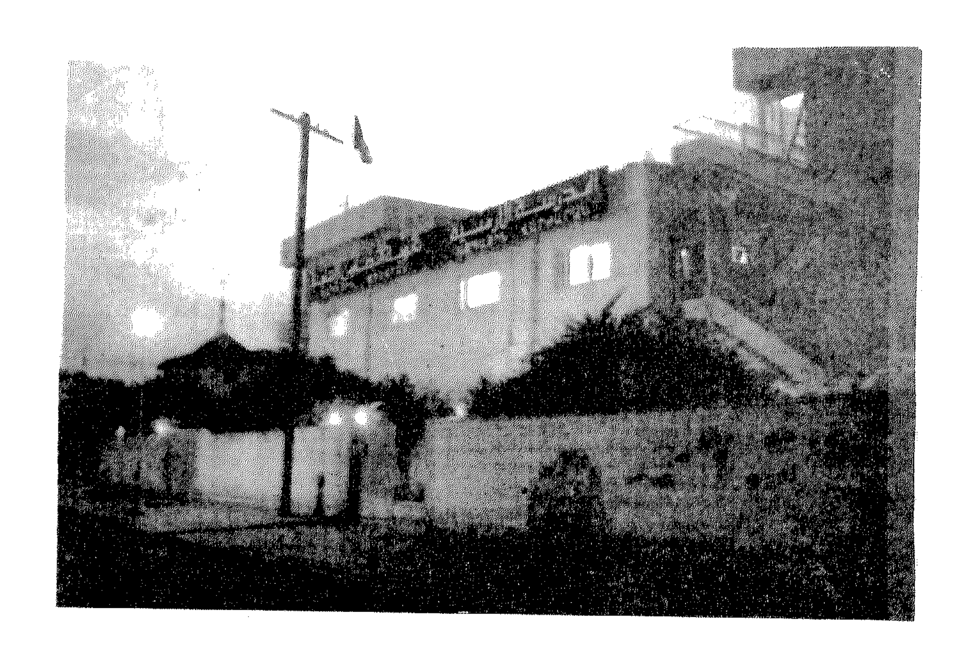
بوغوص بك يوسفيان



نوبار باشا نوباريان



المنشآت الرياضية التابعة لنادي الهومنتمن الرياضي في عمّان



المدرسة الأرمنية في الكويت



فهرس
المصادر والمراجع العربية

1 ـ ابن أبي أصيبعة . **عيون الأبناء في طبقات الأطباء** ، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ، بيروت ـ 1965 م .

2 ـ ابن تغرى برد الاتابكي ، أبو المحاسن : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، الجزء الثاني ، القاهرة ، 1349 هـ ـ 1930 م .

3 ـ ابن خلكان . **كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، الجزء الأول .

4 ـ ابن شدّاد ، عزالدين أبي عبد الله محمد بن عليّ . **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** ، عني بنشره وتحقيقه سامي الدهان ، الجزء 4 ، دمشق ، 1382 هـ ـ 1962 م .

5 ـ ابن شدّاد ، القاضي بهاء الدين . **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (كتاب سيرة صلاح الدين الأيوبي)** .

6 ـ ابن الشحنة . **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب** ، سورية ، 1404 هـ ـ 1984 م .

7 ـ ابن العبري ، غريغوريوس الملطي . **تاريخ مختصر الدول** ، وقف على طبعه ووضع حواشيه الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، الطبعة الثانية ، بيروت ـ 1958 م .

8 ـ ابن واضح الأخبازي ، أحمد بن أبي يعقوب . **تاريخ اليعقوبي** ، الجزء الثاني ، مطبعة القرى ـ النجف ، 1358 هـ .

9 ـ ابن الوردي ، زَين الدّين عُمَر :

أ ـ تاريخ ابن الوردي ، الجزء الثالث .
ب ـ تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) ، إشراف وتحقيق أحمد رفعت البَدراوي ، الجزء الثاني ، بيروت ـ لبنان .

10 ـ أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل . المختصر في أخبار البشر ، الجزء الثاني . الجزء الثالث ، الجزء الرابع ـ المطبعة الحسينية المصرية .

11 ـ إشخانيان ، رافائيل . نشأة الأرمن وتاريخهم القديم ، ترجمة المهندسة هوري عزازيان ، مطبعة كاثوليكوسية الأرمن ، أنطلياس ـ لبنان ، 1986 م .

12 ـ باشا ، أمين سامي . التعليم في مصر في سنة 1914 و 1915 ، مصر ـ 1335 هـ ـ 1917 م .

13 ـ البستاني ، بطرس . كتاب دائرة المعارف ، المجلد الثالث ، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان ، تهران ، ناصر خسرو ، باشا مجيدي .

14 ـ البلاذري ، أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر . كتاب فتوح البلدان .

15 ـ الترك ، عثمان . صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية ، حلب ـ 1960 م .

16 ـ جنباشيان ، ديقران وبابيان ، جورج . المدرسة الأرمنيّة ـ الكويت (اليوبيل الفضي 1960 ـ 1985 م) .

17 ـ حافظ ، المستشار فؤاد حسن . تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم ، القاهرة ـ 1986 م .

18 ـ حتي ، د . فيليب . تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة

د . كمال اليازجي ، الجزء 2 ، بيروت ـ 1959 م .

19 ـ حسن ، د . حسن ابراهيم : **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ومصر ، وسورية ، وبلاد العرب** . من كتاب الفاطميون في مصر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ـ 1958 م .

20 ـ الحَموي ، ياقوت . **معجم البلدان** ، دار صادر للطباعة والنشر ـ دار بيروت للطباعة والنشر ، المجلد الأول ـ بيروت . المجلد الثاني ـ بيروت ، 1376 هـ ـ 1957 م . المجلد الثالث ـ بيروت ، 1386 هـ ـ 1957 م .

21 زهر الدين ، د . صالح . **الأرمن شعب وقضية** ، المختارة ـ لبنان ، 1988 م .

22 ـ **دائرة المعارف الإسلامية** ، النسخة العربية . أصدرها بالانكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ، المجلد الثالث ، إعداد وتحرير ابراهيم زكي خورشيد ، أحمد الشنتشاوي ، د . عبد الحميد يونس .

23 ـ السيد ، أديب . **أرمينية في التاريخ العربي** ، حلب ـ 1972 م .

24 ـ شيخو اليسوعي ، الأب لويس . **كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية** ، بيروت ـ 1924 م .

25 ـ الطبري ، أبو جعفر محمّد بن جرير . **تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، الجزء الثالث ـ 1962 م . الجزء الرابع ـ 1963 م . الجزء التاسع ـ 1968 م .

26 ـ طوسون ، الأمير عمر :
أ ـ وادي النّطرون ، ورهبانه واديرته ومختصر تاريخ البطاركة ، الاسكندرية ، 1354 هـ ـ 1935 م .
ب ـ صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي ، القاهرة ، 1359 هـ ـ 1940 م .
27 ـ الغزي ، كامل بن حسين بن محمد البالي الحلبي . نهر الذهب في تاريخ حلب ، الجزء الثالث .
28 ـ القفطي ، جمال الدين أبو الحسن . كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مطبعة السعادة ، 1326 هـ .
29 ـ القلقشندي . كتاب صبح الأعشى ، الجزء الرابع .
30 ـ الكتاب المقدس .
31 ـ متز ، آدم . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام . نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1377 هـ ـ 1957 م .
32 ـ المدوّر ، مروان . الأرمن عبر التاريخ ، بيروت ـ لبنان ، 1982 .
33 ـ المقدسي ، المعروف بالبشاري . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ـ 1906 م .
34 ـ المقريزي ، تقيّ الدّين . كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، الجزء الأول والجزء الثاني ، طبعة جديدة بالأوفست ، دار صادر ـ بيروت .
35 ـ المناوي ، د . محمد حمدي . الوزارة والوزراء في العصر

الفاطمي ، مصر ـ 1970 م .

36 ـ هوانيسيان ، (ليفون) آه . تاريخ الطب الأرمني منذ العصور القديمة وحتى القرن التاسع عشر والروابط بين مدرستي الطب العربية والأرمنية ، تحضير د . روبير جبه جيان ، ترجمها عن الأرمنية الأستاذ نزار خليلي ، منشورات الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية ، 1968 م .

فهرس

المصادر والمراجع الأرمنية والأجنبية

1 ԱԲՐԱՀԱՄԵԱՆ, ԱՇՈՏ Գ. . **Համառօտ Ուրուագիծ Հայ Գաղթավայրերի Պատմութեան,** Ա. Հատոր, Երեւան-1964. Բ. Հատոր, Երեւան-1967 .

1 ـ أبراهاميان ، آ (شود) ك **لمحة موجزة عن تاريخ الجاليات الأرمنية** ، المجلد الأول ، يريڤان ـ 1964 م . المجلد الثاني ، يريڤان ـ 1967 م (بالأرمنية) .

2 ԱԹԻԿԵԱՆ, ՅԱԿՈԲ. **Համառօտ Պատմութիւն Հայ Գաղթավայրերու,** Տպարան Կաթողիկոսութեան Հայոց Մեծի Տանն Կիլիկիոյ, Անթիլիաս-Լիբանան, 1985 .

2 ـ آتيكيان ، هاكوب . **التاريخ الموجز للجاليات الأرمنية** ، مطبعة كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا ، أنطلياس ـ لبنان ، 1985 م (بالأرمنية) .

3 ԱՃԱՌԵԱՆ, ՀՐԱՉԵԱՅ. **Հայոց Անձնանունների Բառարան,** Գ. Հատոր, Երեւան- 1946 .

3 ـ آجاريان ، هراجيا . **قاموس لأسماء الأعلام الأرمنية** ، المجلد الثالث ، يريڤان ـ 1946 م (بالأرمنية) .

4 ԱՐՄԷՆ,ՀՐԱՆԴ Ք. . **Մեծն Տիգրան,** Տպարան Կաթողիկոսութեան Հայոց Մեծի Տանն Կիլիկիոյ, Անթիլիաս-Լիբանան, 1947 .

4 ـ آرمين ، هرانت ك . **ديكران العظيم** ، مطبعة كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا ، أنطلياس ـ لبنان ، 1947 م (بالأرمنية) .

5 ԱՍԹԱՐՃԵԱՆ, ՏՕՔԹ. ԳՐԻԳՈՐ. Ընդարձակ Ընդհանուր Արաբական Պատմութիւն (2500 Ն.Ք.-1918), Պէյրութ-1961 .

5 ـ آسطارجيان ، د . كريكور . التاريخ العربي الشامل والموسع (2500 ق . م ـ 1918 م) ، بيروت ـ 1961 م (بالأرمنية) .

6 ԱՂԱԶԱՐՄ,ՆԱԶԱՐԷԹ Մ. . Նօթեր Եգիպտոսի Հայ Գաղութին Վրայ, Գահիրէ-1911 .

6 ـ آغازارم ، نظاريت م . معلومات عن الجالية الأرمنية في مصر ، القاهرة ـ 1911 م (بالأرمنية) .

7 ԱՂԱՒՆՈՒՆԻ, ՄԿՐՏԻՉ ԵՊՍԿ..

ա.-Միաբանք եւ Այցելուք Հայ Երուսաղէմի, Տպարան Սրբոց Յակոբեանց, Երուսաղէմ-1929.

բ.-Հայկական Հին Վանքեր եւ Եկեղեցիներ Սուրբ Երկրին Մէջ, Երուսաղէմ-1931 .

7 ـ آغافنوني ، الأسقف مكرديج :

أ ـ الرهبان والزوّار في القدس،مطبعة دير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس ، القدس ـ 1929 م (بالأرمنية) .

ب ـ كنائس وأديرة أرمنية قديمة في البلاد المقدسة ، القدس ـ 1931 م (بالأرمنية) .

8 ԱԳԱԹԱՆԳԵՂՈՍ.Հայոց Պատմութիւն, աշխարհաբար թարգմանութիւնը եւ ծանօթագրութիւնները՝ Արամ Տէր-Ղեւոնդեանի, Երեւան - 1964 .

8 ـ آكاطنكيغوس . تاريخ الأرمن ، الترجمة من اللغة الأرمنية القديمة والحواشي آرام دير غيفونتيان ، يريفان ـ 1964 م (بالأرمنية) .

9 ԱԼՊՕՅԱՃԵԱՆ, ԱՐՇԱԿ.

ա.-**Պատմութիւն Հայ Գաղթականութեան (Հայերու ցրուումը աշխարհի վանական մասերը)**, Ա. Հատոր (Սկիզբէն մինչեւ ԺԱ. դար Քրիստոսի), Գահիրէ- 1941. Բ. Հատոր (Քրիստոսի ԺԱ. դարէն մինչեւ միջին դարու վախճանը), Գահիրէ-1955.

Բ.-**Արաբական Միացեալ Հանրապետութեան Եգիպտոսի Նահանգը եւ Հայերը** (Սկիզբէն մինչեւ մեր օրերը), Գահիրէ-1960 .

9 ـ ألبوياجيان ، أرشاك :

أ ـ **تاريخ الهجرات الأرمنية** ، المجلد الأول (من البداية وحتى القرن الحادي عشر للميلاد) ، القاهرة ـ 1941 . المجلد الثاني (من القرن الحادي عشر الميلادي وحتى نهاية العصر الوسيط) ، القاهرة ـ 1955 م (بالأرمنية) .

ب ـ **الجمهورية العربية المتحدة ، الاقليم المصري والطائفة الأرمنية** (من الابتداء حتى يومنا هذا) ، القاهرة ـ 1960 م (بالأرمنية) .

10 ԱԼԻՇԱՆ, ՂԵՒՈՆԴ. **Շնորհալի եւ Պարագայ իւր**, Վենետիկ-1873 .

10 ـ آليشان ، غيفونت . **شنورهالي وأنسباؤه** ، البندقية ـ 1873 م (بالأرمنية) .

11 ՕՐՄԱՆԵԱՆ, ՄԱՂԱՔԻԱ ԱՐՔ..

ա.-**Ազգապատում**, Ա. Հատոր եւ Բ. Հատոր, Կ. Պոլիս-1912.

Բ.-**Հայոց եկեղեցին**, Ե. Տպագրութիւն, Տպարան Կաթողիկոսութեան Հայոց Կիլիկիոյ, Անթիլիաս - Լիբանան, 1952 .

11 ـ أورمانيان ، البطريرك ماغاكيا :

آ ـ « آزكابادوم » (تاريخ الكنيسة الأرمنية منذ البداية حتى اليوم) ، المجلد الأول والثاني القسطنطينية ـ 1912 م (بالأرمنية)

ب ـ كنيسة الأرمن ، الطبعة الخامسة ، مطبعة كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا ، أنطلياس ـ لبنان ، 1952 م (بالأرمنية) .

12 BUDGE, WALLIS E. A.. **The Nile**, Fourth Edition, London, Cairo, 1895 .

12 ـ بادج ، والّيس ي . آ . النيل ، الطبعة الرابعة ، لندن ، القاهرة ، 1895 م (بالانكليزية) .

13 ՊԱՐԻԿԵԱՆ ՀԱՅԿ- ՎԱՐԺԱՊԵՏԵԱՆ, ՅՈՎՆԱՆ. **Պատմութիւն Սուրիոյ Հայ Տպարաններու**, Հ.Բ.Ը.Մ. «Մատենագիտական Յանձնախումբ», Հալէպ-1973 .

13 ـ باريكيان ، هايك وڤارجابيديان ، هوڤنان . تاريخ المطابع الأرمنية في سورية ، منشورات الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية ، حلب ـ 1973 م (بالأرمنية) .

14ՓԱՍՏՐՄԱՃԵԱՆ, ՀՐԱՆԴ. **Հայոց Պատմութիւն**, Ա. Հատոր, թարգմանեց՝ Մուշեղ Իշխան, Բ. Տպագրութիւն, Պէյրութ-1980

14 ـ باصدرماجيان ، هرانت . **تاريخ الأرمن** ، ترجمه إلى الأرمنية موشيغ إشخان ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ـ 1980 (بالأرمنية) .

15ՓԱՒՍՏՈՍ ԲԻՒԶԱՆԴ. **Հայոց Պատմութիւն**, թարգմանութիւն, ներածութիւն եւ ծանօթութիւններ՝ Ստեփան Մալխասեանի, Երեւան-1947

15 ـ بافستوس بيزنط . تاريخ الأرمن ، الترجمة من اللغة الأرمنية القديمة والمقدمة والحواشي استيبان مالخاسيان ، يريڤان ـ 1947 م (بالأرمنية) .

16 PROWER, JOSHUA. **The Latin Kingdom Of Jerusalem,** London- 1972 .

16 ـ براور ، بوشوا . **مملكة القدس اللاتينية** ، لندن ـ 1972 م (بالانكليزية) .

17 ԲՈՒՆԻԱԹ ՍԵԲԱՍՏԱՑԻ. **Գիրք Բժշկութեան (ԺԷ. Դար)**, աշխատասիրութեամբ՝ Դ. Մ. Կարապետեանի, Երեւան-1987 .

17 ـ بونياط سباستاتسي . كتاب الطب ، تحقيق ت . م . قره‌بيتيان ، يريڤان ـ 1987 م (بالأرمنية) .

18 ԴԱՆԻԷԼԵԱՆ, ԺԻՐԱՅՐ. **Լիբանանահայ Տպագրութիւնը Պատերազմի Տարիներուն, 1975-1984,** Պէյրութ-1986 .

18 ـ تانيليان جيرايز . **الطباعة الأرمنية في لبنان أثناء سنوات الحرب 1975 ـ 1984 م)** ، بيروت ـ 1986 م (بالأرمنية) .

19 ՉՈԼԱՔԵԱՆ, ՅԱԿՈԲ. **Հալեպահայ Պարբերական Մամուլի Համառօտ Նկարագրութիւն,** Հալէպ-1978 .

19 ـ تشولاكيان ، هاكوب . **وصف موجز لتاريخ الصحافة الأرمنية في حلب** ، حلب ـ 1978 م (بالأرمنية) .

20 ԹՈՎՄԱ ԱՐԾՐՈՒՆԻ ԵՒ ԱՆԱՆՈՒՆ, **Պատմութիւն Արծրունեաց Տան,** ներածութիւնը, թարգմանութիւնը եւ ծանօթագրութիւնները՝ Վրէժ Վարդանեանի, Երեւան- 1978 .

20 ـ توما آردزروني وآنانون . تاريخ آل آردزروني ، الترجمة من اللغة الأرمنية القديمة والمقدمة والحواشي ڤريج ڤارطانيان ، يريڤان ـ 1978 م (بالأرمنية)

21 HITTI, PHILIP K.. **History Of The Arabs,** Third Edition, Revised, London-1943 .

21 ـ حتي ، فيليب . تاريخ العرب ، الطبعة الثالثة ، لندن ـ 1943 م (بالأنكليزية) .

22 **Պատմող ու Շնչող Հայաբոյր Հալէպը**, Հրատարակութիւն Բերիոյ Թեմի Ազգ. Առաջնորդարանի, 1992 .

22 ـ حلب تروي ، منشورات مطرانية الأرمن الأرثوذكس بحلب ، 1992 م (بالأرمنية) .

23 ՏԱՏՈՅԵԱՆ-ՊԱՐՍՈՒՄԵԱՆ, ՍԵԴԱ. **Յովհաննէս Պլուզ Երզնկացիի «Ի Տաճկաց Իմաստասիրաց»ը եւ Իմաստասիրական Արձակը Իսլամական Աղբիւրներուն Լոյսին Տակ,** Պէյրութ-1991 .

23 ـ دادويان ـ برصوميان ، سيتا . يوحنا الارزنجاني ، « مقتطفات من كتب الفلسفة الاسلامية » وكتاباته الفلسفية الأخرى في ضوء المصادر الاسلامية ، بيروت ـ 1991 م (بالأرمنية) .

24 ՏԷՄԻՐՃԵԱՆ, ՎԱՐԴԱՆ ԵՊՍԿ. **Գաւապանագիրք,** Լիբանանի եւ Սուրիոյ Հայոց Թեմերու Առաջնորդութեանց, Ա. Հատոր, Անթիլիաս-Լիբանան, 1980 .

24 ـ دميرجيان ، الأسقف ڤارطان . **تاريخ أبرشيات الأرمن الأرثوذكس في سورية ولبنان ،** المجلد الأول ، أنطلياس ـ لبنان ،

1980 م (بالأرمنية) .

25 ՏՈՒՆԿԵԱՆ, ԳՐԻԳՈՐ. **Նիւթեր Լաթաքիոյ եւ Շրջակայքի Հայ Ազգաբնակչութեան Պատմութեան,** Հրատարակութիւն՝ Բերիոյ Թեմի Ազգ. Առաջնորդարանի, Հալէպ- 1983 .

25 ـ دونكيان ، كريكور . **مواد لتاريخ الأرمن في اللاذقية** وضواحيها ، منشورات مطرانية الأرمن الأرثوذوكس بحلب ، حلب ـ 1983 م (بالأرمنية) .

26 ՏԷՐ ՄԻՔԱՅԷԼԵԱՆ, ՆՈՒՊԱՐ Գ. . **Եգիպտահայ Գաղութը 10-15-րդ Դարերում,** Պէյրութ-1980 .

26 ـ دير ميكائيليان ، نوبار ك. **تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى** ، منشورات بطريركية الأرمن في مصر ، بيروت ـ 1980 م (بالأرمنية) .

27 RUSSELL, ALEX. **The Natural History of Aleppo,** The Second Edition, by Pat. Russell, Vol.II, London-1794 .

27 ـ رسّل ، آليكس . **التاريخ الطبيعي لمدينة حلب** ، الطبعة الثانية بقلم باتريك رسّل ، المجلد الثاني ، لندن ـ 1794 م (بالانكليزية) .

28 ՍԱՒԱԼԱՆԵԱՆՑ, ՏԻԳՐԱՆ Հ. Թ. . **Պատմութիւն Երուսաղէմի,** գրաբար բնագրէն աշխարհաբարի վերածեց՝ Մեսրոպ եպս. Նշանեան, Տպարան Սրբոց Յակոբեանց, Ա. Հատոր եւ Բ. Հատոր, Երուսաղէմ-1931 .

28 ـ ساڤالانيانتس ، ديكران هـ . ط . تاريخ القدس ، المجلد الأول والثاني مطبعة دير القديس يعقوب للأرمن الأرثوذكس ، القدس ـ 1931 م (بالأرمنية) .

29 SARKISSIAN KAREKIN II [Catholicos Of Cilicia]. **The Council of Chalcedon And The Armenian Church,** Third Impression, Antelias-Lebanon,1984 .

29 ـ سركيسيان ، الكاثوليكوس كاركين الثاني [لبيت كيليكيا الكبير في أنطلياس] . **مجمع خلقدونية والكنيسة الأرمنية** ، الطبعة الثالثة أنطلياس ـ لبنان ، 1984 م (بالانكليزية) .

30 ՍԻՒՐՄԷԵԱՆ, ԱՐՏԱՒԱԶԴ ԱՐՔ..

ա.-Պատմութիւն Հալէպի Ազգային Գերեզմանատանց եւ Արձանագիր Հայերէն Տապանաքարերու, Հալէպ-1935 .

բ.-Պատմութիւն Հալէպի Հայոց (1355-1908), Գ. Հատոր, Փարիզ-1950 .

30 ـ سورمايان ، المطران آرداڤست :

أ ـ تاريخ مقبرة الأرمن الأرثوذكس في حلب والكتابات (الشواهد) على الأضرحة باللغة الأرمنية ، حلب ـ 1935 م (بالأرمنية) .

ب ـ تاريخ الأرمن في حلب (1355 ـ 1908 م) ، المجلد الثالث ، باريس ـ 1950 م (بالأرمنية) .

31 SAUVAGET, J.. **Alep: Des Origines Qu Milieu Du XIX^{2} Siecle,** Texte, Paris-1941 .

31 ـ سوفاجيه ، (جان) ، حلب : الأصول في أواسط القرن
التاسع عشر ، النص ، باريس ـ 1941 م (بالفرنسية) .

32 SANDJIAN, AVEDIS K.. **The Armenian Communities In Syria Under Ottoman Domination**, Cambridge, Mase. U.S.A. 1965 .

32 ـ صانجيان ، أواديس ك . الجاليات الأرمنية في سورية تحت
الاحتلال العثماني ، كامبريدج ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 1965 م
(بالانكليزية) .

33 SABRY, M..
a.-**L'Empire Egyptien Sous Mohamed Ali Et La Question D'orient (1811-1849)**, Paris-1930 .
b.-**L'Empire Egyptien**, Paris-1933.

33 ـ صبري ، (محمد) :
أ ـ الامبراطورية المصرية تحت حكم محمد علي وقضية الشرق
(1811 ـ 1849 م) . باريس ـ 1930 م (بالفرنسية) .
ب ـ الامبراطورية المصرية ، باريس ـ 1933 م (بالفرنسية)

34 ՍՈՒՖԵԱՆ, Յ. . **Եգիպտոսի Հայ Մէմլուքներն Ու Իշխանները Ֆաթիմեան Շրջանին**, Գահիրէ-1928 .

34 ـ صوفيان ، هـ . المماليك والأمراء في مصر في العهد
الفاطمي ، القاهرة ـ 1928 م (بالأرمنية) .

35 ԹԷՐԶԵԱՆ, ՄԵՍՐՈՊ ՎՐԴ. . **Զմմառու Հայ Վանքը** (1749-1949), Հայ Կաթողիկէ Տպարան, Պէյրութ-1949 .

35 ـ طرزيـان ، الأب ميسروب . ديـر بـزمّـار الأرمني (1749 ـ 1949 م) ، مطبعة الأرمن الكاثوليك ، بيروت ـ 1949 م (بالأرمنية) .

36 ԹՈՓՈՒԶԵԱՆ, ՅՈՎՀԱՆՆԷՍ Խ..
ա.-Հայերի Մասնակցութիւնը Սիրիայի եւ Լիբանանի Ազգային, Ազատագրական եւ Դեմոկրատական Շարժումներին, Երեւան-1968 .
բ.-Սիրիայի եւ Լիբանանի Հայկական Գաղթօճախների Պատմութիւն (1841-1946), Երեւան-1986 .

36 ـ طوبوزيان ، (هوفهانيس) خ . :
أ ـ مشاركة الأرمن في الحركات التحررية ـ الديمقراطية في سورية ولبنان ، يريڤان ـ 1968 م (بالأرمنية) .
ب ـ تاريخ الجاليات الأرمنية في سورية ولبنان (1841 ـ 1946م) ، يريڤان ـ 1986 م (بالأرمنية) .

37 ԱՃԷՄԵԱՆ, ՀՐԱՆԴ. Յորդանան, Հայերը Յորդանանի մէջ .

37 ـ عـجـمـيـان ، هـرانـت . الأردن ، الأرمـن في الأردن(بالأرمنية) .

38 ՂԵՒՈՆԴ. Պատմութիւն, թարգմանութիւնը, ներածութիւնը եւ ծանօթագրութիւնները՝ Արամ Տէր-Ղեւոնդեանի, Երեւան- 1982 .

38 ـ غيڤونت . تاريخ ، الترجمة من اللغة الأرمنية القديمة ، والمقدمة والحواشي آرام دير ـ غيڤونتيان ، يريڤان ـ 1982 م (بالأرمنية) .

39 ՎԱՐԴԱՆԵԱՆ, ԵՂԻՇԷ. Անապատէ Անապատ, Սուրբ Ղազար-

Վենետիկ, 1923 .

39 ـ ڤارطانيان ، يغيشه . من صحراء لصحراء ، مطبعة المختارين ـ البندقية ، 1923 م (بالأرمنية) .

40 ՎԱՐԺԱՊԵՏԵԱՆ, ՍԻՍԱԿ ՅԱԿՈԲ. **Հայերը Լիբանանի Մէջ, Հանրագիտարան Լիբանանահայ Գաղութի,** Ա. Հատոր, Պատմութիւն Լիբանանահայ Գաղութի՝ Հնագոյն Դարերէն Մինչեւ Ա. Ընդհանուր Պատերազմի Վերջաւորութիւնը, Բ. Տպագրութիւն, Պէյրութ-1982. Բ. Հատոր (1920-1980), Լիբանանահայ Նորոգ Գաղութին Կազմաւորումը եւ Ջանապան Հաստատութիւնները, եկեղեցի, Դպրոց..., Պէյրութ- 1981. Գ. Հատոր (1920-1980), Կազմակերպութիւններ, Մշակութային Կեանք եւ Շրջաններ, Պէյրութ-1981 .

40 ـ فرجيديان ، سيساك هاكوب . الأرمن في لبنان (وهو كتاب مصور يحتوي على تاريخ الأرمن في لبنان) . الجزء الأول (من قديم الزمان حتى نهاية الحرب العالمية الأولى) ، الطبعة الثانية ، بيروت ـ 1982م. الجزء الثاني (1920 ـ 1980 م) ، تكوين الشعب الأرمني ومختلف مؤسساته كالكنائس والمدارس . . . ، بيروت ـ 1981 م . الجزء الثالث (1920 ـ 1980 م) ، التنظيم والنشاط الثقافي في بيروت ومختلف المناطق اللبنانية ، بيروت ـ 1981م (بالأرمنية) .

41 ԳԱՐՏԱՇԵԱՆ, ԱՐՏԱՇԷՍ. **Նիւթեր Եգիպտոսի Հայոց Պատմութեան Համար,** Ա. Հատոր, Գահիրէ- 1943. Բ. Հատոր, Ս. Ղազար - Վենետիկ ,1986. Գ. Հատոր , Ս. Ղազար- Վենետիկ,1987 .

41 ـ كارداشيان ، أرداشيس . مواد لتاريخ الأرمن في مصر ، المجلد الأول ، القاهرة ـ 1943 م . المجلد الثاني ، البندقية ـ 1986 م . المجلد الثالث ، البندقية ـ 1987 م (بالأرمنية) .

42 CATTAWI-BEY, RENE. **Le Regne De Mohamed Aly (1811-1833)**, (Des Archives Russes En Egypte), Tome I, Le Caire- 1913 .

42 ـ كتاوي ، رينيه بك . **عهد محمد علي** (1811 ـ 1833 م) ، المجلد الأول ، القاهرة ـ 1931 م (بالفرنسية) .

43 CROMER, E. . **Modern Egypt**, London-1911 .

43 ـ كرومر ، ي . **مصر الحديثة** ، لندن ـ 1911 م (بالانكليزية) .

44 ԿԻՒԼԷՍԷՐԵԱՆ, ԲԱԲԳԷՆ Ա. ԱԹՈՌԱԿԻՑ ԿԱԹՈՂԻԿՈՍ. **Պատմութիւն Կաթողիկոսաց Կիլիկիոյ (1444-էն Մինչեւ Մեր Օրերը)**, Բ. Հրատարակութիւն, Տպարան Կաթողիկոսութեան Հայոց Մեծի Տանն Կիլիկիոյ, Անթիլիաս-Լիբանան, 1990 .

44 ـ كولاسيريان ، الكاثوليكوس المساعد بابكين الأول . **تاريخ جثالقة كاثوليكوسية بيت كيليكيا الكبير** . مطبعة الكاثوليكوسية ، أنطلياس ـ لبنان ، 1990 م (بالأرمنية) .

45 ԳՈՒՇԱԿԵԱՆ, ԹՈՐԳՈՄ ԵՊՍԿ. .**Եգիպտոսի Հայոց Հին եւ Արդի Եկեղեցիները**, Գահիրէ- 1927 .

45 ـ كوشاقيان ، البطريرك طوركوم . **كنائس الأرمن القديمة والحديثة في مصر** ، القاهرة ـ 1927 م (بالأرمنية) .

46 ԿԻՐԱԿՈՍ ԳԱՆՁԱԿԵՑԻ. **Հայոց Պատմութիւն**, թարգմանութիւնը, յառաջաբանը եւ ծանօթագրութիւնները՝ Վարագ Առաքելեանի, Երեւան-1982

46 ـ كيراكوس كانتساكتسي . **تاريخ الأرمن** ، الترجمة من اللغة

الأرمنية القديمة والمقدمة والحواشي ڤاراك آراكيليليان ، يريڤان ـ 1982 م (بالأرمنية) .

47 KING, L. W. And HALL, H.R. . **Egypt And Minor Asia In The Light Of Recent Discoveries,** London-1907 .

47 ـ كينك ، ل . و . و هال ، هـ . ر . مصر وآسيا الصغرى في ضوء الاستكشافات الأخيرة ، لندن ـ 1907 م (بالانكليزية) .

48 LANE-POOL, STANLY.
a.-**A History of Egypt In The Middle Ages,** Holland-1968.
b.-**The Art Of The Sarcens In Egypt,** (Reprint), Librarie Byblos, Beirut .

48 ـ لاين ـ بول ، ستانلي :
آ ـ تأريخ لمصر في العصور الوسطى ، هولندا ـ 1968 (بالانكليزية) .
ب ـ الفن الإسلامي في مصر ، الطبعة الثانية ، مكتبة بيبلوس ـ بيروت (بالانكليزية) .

49 ԼԷՕ. **Երկերի ժողովածու,** Ա. Հատոր, Երեւան-1966 .

49 ـ ليو . الأعمال الكاملة ، المجلد الأول ، يريڤان ـ 1966 م (بالأرمنية) .

50 ՄԱՏԹԷՈՍ ՈՒՌՀԱՅԵՑԻ. **Ժամանակագրութիւն,** թարգմանութիւնը, ներածութիւնը եւ ծանօթագրութիւնները՝ Հրաչ Բարթիկեանի, Երեւան-1973 .

50 ـ ماتيوس أورها ياتسي . حوليات ، الترجمة من اللغة الأرمنية

القديمة والمدخل والحواشي هراج بارتيكيان ، يـريڤان ـ 1973 م (بالأرمنية) .

51ՄԱՆԱՆԴԵԱՆ, ՅԱԿՈԲ. **Քննական Տեսութիւն Հայ ժողովրդի Պատմութեան,** Ա. Հատոր, Երեւան-1977 .

51 ـ مانانتيان ، هاكـوب . دراسة علميـة لتاريـخ الشعب الأرمني ، المجلد الأول ، يريڤان ـ 1977 م (بالأرمنية) .

52ՀԵՂԻՆԱԿԱՅԻՆ ԿՈԼԵԿՏԻՖ. **Հայ ժողովրդի Պատմութիւն,** Ա. Հատոր, Երեւան-1951 .

52 ـ مجموعة من الباحثين تاريخ الشعب الأرمني ، المجلد الأول ، يريفان ـ 1951 م (بالأرمنية) .

53 **Precis De L'Histoire D'Egypte,** Par Divers Historiens Et Archeologues, Preface De S. E. Mohamed Zaky El-Ibrachy Pacha, Imprime Par l'Impremerie De l'Institut Francais D'Archeologie Du Caire,

-WIET, GASTON. Deuxieme Partie, **L'Egypte Musulmane De La Conguete Arab A La Conguete Ottomane,** Tome II, Le Caire- 1932.

-SAMMARCO, ANGELO. Tome Quatrieme, **Les Regens De ABBAS, De SAID, Et D'ISMAIL (1848-1879),** Stampato in Roma-1935 .

53 ـ مدخل إلى تاريخ مصر . بقلم مؤرخين وعلماء آثار مختلفين ، المقدمة بقلم محمد زكي الأبرشي باشا ، طبع بمطبعة المعهد الفرنسي للآثار في القاهرة ،

ـ فييت ، غاستون . القسم الثاني ، مصر الإسلام من الفتح العربي حتى الفتح العثماني ، القاهرة ـ 1932 م (المجلد الثاني) .

- ساماّركو ، أنجلو . القسم الرابع ، عهد عباس ، سعيد واسماعيل (1848 - 1879 م) ، روما - 1935 م (بالفرنسية) .

54 ՄՍՐԼԵԱՆ, ԳԷՈՐԳ. Ականաւոր Հայեր Եգիպտոսի Մէջ, Գահիրէ-1947 .

54 - مصرليان ، كيورك . من أعلام الأرمن في مصر ، القاهرة - 1947 م (بالأرمنية) .

55 Հայկական Սովետական Հանրագիտարան. Երեւան, Հատոր 1-1974, Հատոր 3-1977, Հատոր 4-1978, Հատոր 6-1980, Հատոր 10-1984, Հատոր 11-1985 .

55 - الموسوعة السوفيتية الأرمنية . منشورات أكاديمية العلوم في يريڤان ، يريڤان : المجلد الأول - 1974 م . المجلد الثالث - 1977 م . المجلد الرابع - 1978 م . المجلد السادس - 1980 م . المجلد العاشر - 1984 م . المجلد الحادي عشر - 1985 م (بالأرمنية) .

56 ՄՈՎՍԷՍ ԽՈՐԵՆԱՑԻ. Հայոց Պատմութիւն, աշխարհաբար թարգմ. եւ մեկնաբանութիւնները՝ Ստեփան Մալխասեանի, Երեւան- 1981

56 - موسيس خوريناتسي . تاريخ الأرمن أو تاريخ الأمّة الأرمنية ، الترجمة إلى اللغة الأرمنية الحديثة والشرح استيبان مالخاسيان ، يريڤان - 1981 م (بالأرمنية) .

57 ՄՈՎՍԷՍ ԿԱՂԱՆԿԱՏՈՒԱՑԻ. Պատմութիւն Աղուանից Աշխարհի, թարգմանութիւնը, յառաջաբանը եւ ծանօթագրութիւնները՝ Վարագ Առաքելեանի, Երեւան- 1969 .

57 - موسيس كغانكدوا تسي . تاريخ بلاد الأغوان ، الترجمة من اللغة الأرمنية القديمة والمقدمة والحواشي ڤاراك آراكيليان ، يريڤان - 1969 م (بالأرمنية) .

58 ՆԵՐՍԻՍԵԱՆ, ՊՐՈՖ. ՄԿՐՏԻՉ Գ. (խմբագիր). Հայ Ժողովրդի Պատմութիւն, Հնագոյն Ժամանակներից Մինչեւ Մեր Օրերը, Բ. Լրացուած հրատարակութիւն, Երեւան- 1985 .

58 ـ نرسيسيان ، البروفسور مكرديج ك . ومجموعة من الباحثين .
تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا ، الطبعة الثانية ،
يريڤان ـ 1985 م (بالأرمنية) .

59 ՆԱԼՊԱՆՏԵԱՆ, Յ.Թ. . Արաբական Աղբիւրները Հայաստանի Եւ Հարեւան Երկրների Մասին, Երեւան- 1965 .

59 ـ نعلبنديان ، هـ . ط . المصادر العربية عن أرمينيا والبلاد
المجاورة ، يريڤان ـ 1965 م (بالأرمنية) .

60 ՅՈՎՍԷՓԵԱՆՑ, ԳԱՐԵԳԻՆ Ա. ԿԱԹՈՂԻԿՈՍ. Յիշատակարանք Ձեռագրաց, (Ե. Դարէն Մինչեւ 1250 Թ.), Ա. Հատոր, Տպարան Կաթողիկոսութեան Հայոց Կիլիկիոյ, Անթիլիաս-Լիբանան, 1951 .

60 ـ هوسيبيان ، الكاثوليكوس كاركين الأول . حواشي
المخطوطات(الأرمنية) (من القرن الخامس الميلادي حتى سنة
1250 م) ، المجلد الأول ، مطبعة كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا ،
أنطلياس ـ لبنان ، 1951 م (بالأرمنية) .

61 ՅՈՎՀԱՆՆԻՍԵԱՆ, ՆԻԲՈԼԱՅ Յ..
ա.-Եւ ՍԱՐԳԻՍԵԱՆ, Յ. Ս. .Սիրիան Անկախութեան Համար Մղուած Պայքարում (1917-1946 թթ.), Երեւան- 1975 .
բ.- Լիբանանեան Ճգնաժամը Եւ Լիբանանի Հայ Համայնքի Դիրքորոշումը (1975-1984 թթ.), Երեւան- 1992 .

61 ـ هوفهانيسيان ، نيكولا هـ . :

أ ـ وسركيسيان ، هـ . س . **سورية في نضالها من أجل الاستقلال** (1917 ـ 1946 م) ، يريڤان ـ 1975 م (بالأرمنية) .

ب ـ **المحنة اللبنانية وموقف الجالية الأرمنية في لبنان** (1975 ـ 1984 م) ، يريڤان ـ 1992 م (بالأرمنية) .

62 ՅՈՎՀԱՆՆԻՍԵԱՆ, ՊԵՏՐՈՍ Յ. եւ ԱԲՐԱՀԱՄԵԱՆ,ԱՇՈՏ Գ. . **Հայ Ժողովրդի Պատմութեան Քրէստոմատիա,** Հատոր 1, Հնագոյն Ժամանակներից Մինչեւ **IX** Դարի Կէսերը, Երեւան- 1981 .

62 ـ هوفهانيسيان ، (بيدروس) هـ . وأبراهاميان : آ (شود) ك . **مختارات من تاريخ الشعب الأرمني منذ أقدم العصور وحتى منتصف القرن التاسع الميلادي** ، المجلد الأول ، يريڤان ـ 1981 م (بالأرمنية) .

63 WILKINSON, SIR GARDNER. **Modern Egypt And Thebes:** Vol. II, London- 1843 .

63 ـ ويلكنسون ، سير غاردنر . **مصر الحديثة وطيبا** ، المجلد الثاني ، لندن ـ 1843 م (بالانكليزية) .

64 ՀԵՐՈՏՈԴՈՍ. **Պատմութիւն Ինը Գրքից,** թարգմանութիւնը՝ Սիմոն Գրգեաշարեանի, Երեւան- 1986

64 ـ هيرودوتس . **تاريخ من تسعة كتب** ، ترجمه إلى الأرمنية سيمون قرقه ياشاريان ، يريڤان ـ 1986 م (بالأرمنية) .

65 ԵՂԻՇԷ. **Վարդանի եւ Հայոց Պատերազմի Մասին,** թարգմանութիւնը, ներածութիւնը ե. ծանօթագրութիւնները՝ Երուանդ Տէր Մինասեանի, Երեւան- 1971 .

65 ـ يغيشه . عن ڤارطان وحرب الأرمن ، الترجمة من اللغة الأرمنية القديمة والمدخل والحواشي يروانت دير ـ ميناسيان ، يريڤان ـ 1971 م (بالأرمنية) .

فهرس
الجرائد والنشرات والمجلات العربية والأرمنية

1 **«Ազդակ»** Օրաթերթ, 8 Մարտ 1986, Պէյրութ.

1 ـ جريدة « آزتاك»، 8 آذار، 1986 م ، بيروت (بالأرمنية) .

2 **«Էջմիածին»** Ամսագիր, Յունուար-Փետրուար, Դ. Տարի-1947, Էջմիածին, Մսրլեան Գէորգ, **«Հայ Զօրաքանակներ Եգիպտոսի Մէջ»**

2 ـ دورية « آتشميادزين » ، كانون الثاني ـ شباط ، السنة الرابعة ـ 1947 م ، آتشميادزين ـ أرمينيا ، مصرليان كيورك ، « **فيالق أرمنية في مصر** » (بالأرمنية) .

3 **«Սովետական Հայաստան»**, Նոյեմբեր 1959, թիւ 11, Թոփուզեան Յովհաննէս, **«Հայ-Եգիպտական Կապեր»**.

3 ـ شهرية « **أرمينيا السوفيتية** » ، تشرين الثاني ، 1959 م ، العدد طوبوزيان هوفهانيس ، « **العلاقات الأرمنية ـ المصرية** »(بالأرمنية) .

4 ـ جريدة « **الأهرام** » ، 22 تشرين الثاني ، 1952 م ، القاهرة .

4 **«Ծիլեր»**, 1977, թիւ 1, Հալէպ, Մինասեան Միհրան, **«Ֆուրաթ Թերթը»**.

5 ـ مجلة « البراعم » ، 1977 م ، العدد 1 ، حلب ، مهران ميناسيان ، « **جريدة فرات** » (بالأرمنية) .

6 ـ جريدة « **بيروت** » ، 16 تشرين الثاني ، 1943 م ، بيروت .

7 ـ صحيفة « **تشرين** » ، 26 نيسان ، 1992 م ، دمشق .

8 ـ مجلة « دراسات اشتراكية » ، العدد التاسع (96) ، أيلول ،
1989 م ، مراياتي الأب بطرس وميناسيان مهران ، « المترجمات العربية والأرمنية في القرون الوسطى » .

9 Դամասկահայ Ամենուն Տարեգիրքը, 1958, Լութֆիկ Երիքեան, Ա. Տարի, Տպագրութիւն՝ Տպ. Երիքեան, Դամասկոս.

9 ـ الدليل الأدبي للجالية الأرمنية في دمشق ، 1958 م ، لوطفيك يريكيان ، السنة الأولى ،مطبعة يريكيان ، دمشق (بالأرمنية) .

10 «Զարթօնք» Օրաթերթ, 8 Յունիս, 1967, Պէյրութ.

10 ـ جريدة « زارتونك » ، 8 حزيران ، 1967 م ، بيروت (بالأرمنية) .

11 «Ժողովուրդի Ձայն» Օրաթերթ, Պէյրութ.

11 ـ جريدة « صوت الشعب » بيروت (بالأرمنية) .
ـ 1 كانون الثاني ، 1943 م .
ـ 11 كانون الأول ، 1943 م .
ـ 11 كانون الثاني ، 1943 م .
ـ 31 أيار ، 1945 م .

«Գեղարդ» Սուրիահայ Տարեգիրք, խմբագիր՝ Հայկ Պարիկեան, Հալէպ. Ա. Տարի, 1975, Փարթամեան Նուպար, «Ակնարկ մը Սուրիոյ Հնագիտութեան Վրայ». «Սուրիական Բանակի Հայ Զօրավարները». Բ. Գիրք, 1976-1978 Միացեալ թիւ, Սաատէ Կապրիէլ, Ֆրանս. Հայացուց՝ Սապպաղեան Պերճ, «Հայերու Ներկայութիւնը Սուրիական Ծովափին Վրայ», Երէցեան Սօքք.

Աբրահամ, «Եազուպիյէ». Գ. Գիրք, 1985, Գարտաշեան Արտաշէս Հ., «Նիւթեր Սուրիոյ Հայ Գաղութին Պատմութեան Համար».

12 ـ « كيفارت » ، كتاب سنوي للآداب والفنون والدراسات ، نشرة الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية بحلب ، حلب . رئيس التحرير هايك باريكيان . السنة الأولى ـ 1975 م ، بارطاميان نوبار « لمحة على الآثار في سورية » . « القوّاد الأرمن في الجيش السوري » . المجلد الثاني ، 1976 ـ 1978 م ، صعدة غابرثيل ، ترجمها عن الفرنسية صبّاغيان بيرج ، « وجود الأرمن على الساحل السوري » ، يريتسيان د . أبراهلم ، « اليعقوبية ـ جالية أرمنية قديمة » . المجلد الثالث ، 1985 م ، كارداشيان أرداشيس هـ . ، « مواد لتاريخ الجاليـة الأرمنية في سورية »(بالأرمنية) .

13 Արեւելագիտական Ժողովածու, II, Երեւան- 1964, Թուրշեան 3., «ԺԱ. եւ ԺԲ. Դարերի Եգիպտահայ Գաղութի Պատմութիւնից».

13 ـ المجموعة الاستشراقية ، العدد 2 ، يريڤان ـ 1964 م (بالأرمنية) ، طورشيان هـ . ، « من تاريخ الجالية الأرمنية في مصر في القرنين الحادي عشر والثاني وعشر للميلاد » .

14 «Հայաստանի Կոչնակ» Շաբաթաթերթ, Նիւ Եորք.

14 ـ أسبوعية « ناقوس أرمينيا » ، نيو ـ يورك (بالأرمنية) .

ـ 20 حزيران 1925 م ، العدد 25 .

ـ 15 شباط 1930 م ، العدد 27 .

ـ 9 شباط 1935 م ، العدد 6 .

ـ 29 أيار 1948 م ، العدد 22 .

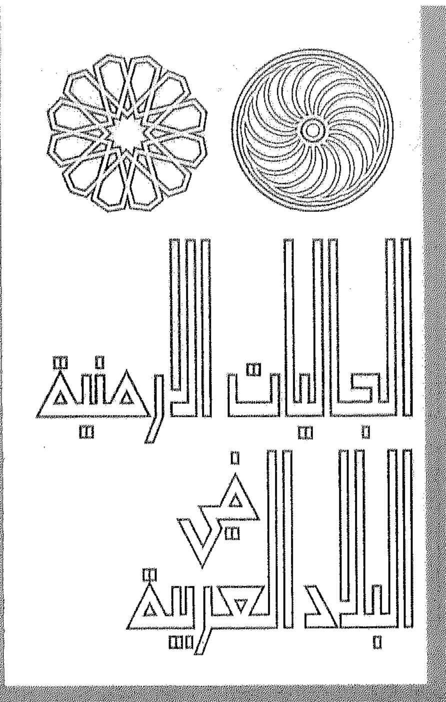
ـ 3 تموز 1948 م ، العدد 27 .
15 ـ جريدة « النذير » ، 25 أيلول، 1946 م ، حلب .
16 ـ جريدة « النصر » ، 29 أيار، 1945 م ، دمشق .

17 «Հասկ» Հայագիտական Տարեգիրք, Նոր Շրջան, Բ.- Գ. Տարի 1981- 1982, Հրատարակութիւն Կիլիկիոյ Կաթողիկոսութեան, Կաթողիկոսարան Հայոց, Անթիլիաս- Լիբանան, Կարապետեան Պերճ Մ., **«Հռոմկլան եւ Անոր Անկման Պատճառները (Հայ եւ Օտար Աղբիւրներու Համաձայն)».**

17 ـ سنوية « هاسك » الأدبية ، السنة الثانية والثالثة ، 1981 ـ 1982 م ، منشورات كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا ، أنطلياس ـ لبنان ، قره بيتيان بيرج م . ، **« روم قلعة وأسباب سقوطها (وفق المصادر الأجنبية والأرمنية)** (بالأرمنية) .







نادي الشبيبة السورية ـ اللجنة الثقافية ـ حلب ـ ص.ب. 3699

دار الحوار للنشر والتوزيع

سورية ـ اللاذقية ـ ص.ب. 1018 ـ هاتف 222339